والتر تيفيس

مناورة الملكة



والتر تيفيس

مناورة الملكة



الكتاب

مناورة الملكة

تأليف

والتر تيفيس

ترجمة

عبد المجيد سباطة

الطبعة

الأولى، 2021

الإيداع القانوني:

2021MO3235

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9920-657-10-5

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء - المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 303339 0522 - 307651 0522

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:

Walter Tevis

The Queen's Gambit

والتر تيفيس

مكتبة | 773
سُر مَن قرأ

مناورة الملكة

رواية

ترجمة عبد المجيد سباطة





إلى إيليانورا

ملاحظة المؤلِّف

ظل الأساتذة الكبار في لعبة الشطرنج، من أمثال روبرت فيشر، بوريس سباسكي وأناتولي كاربوف، ولسنوات عديدة، مصدراً لإلهام عدد كبير من مزاولي اللعبة، وقد أكون أنا من بينهم، ولكن، بما أن **مناورة الملكة** تبقى مجرد رواية بأحداث متخيلة، فقد ارتأيت أنه من الأفضل عدم الإشارة إليهم ضمن الأحداث، منعاً لحدوث أي خلط أو تناقض مع شخصيات العمل.

أشكر جو أنكريل، فيرفيلد هوبان وستيوارت موردن، وكلهم لاعبو شطرنج بارعون، ساعدوني بتقديم عدة كتب ومجلات، وتوضيح بعض القواعد الخاصة بمسابقات اللعبة، كما كنت محظوظاً بتلقّي مساعدة ودية ومفيدة من الأستاذ الدولي بروس باندولفيني الذي أعاد قراءة المسوّدة وأعانني على تصحيح بعض الأخطاء المتعلقة بقوانين اللعبة، التي يبرع فيها حقاً.

والتر تيفيس



الفصل الأول

تولّت مساعِدة اجتماعية مهمة إخبار بيث بوفاة والدتها، وفي اليوم التالي نُشرت صورتها في صحيفة **هيرالد-ليدر**، حيث التقطت من شرفة منزلهم الرمادي في شارع ميبلوود، وكانت ترتدي ثوباً قطنياً عادياً. ويمكننا أن نرى بالفعل أنها لم تكن تتمتع بأي جمال لافت. وقد أرفقت الصورة بتعليق: «إليزابيث هارمون تتطلع إلى مستقبل غامض، بعدما حوّلتها حادثة السير التي وقعت بالأمس على طريق نيو سيركل إلى طفلة يتيمة. تركها الحادث، الذي أسفر عن مقتل شخصين وجرح آخرين، من دون عائلة، وهي في الثامنة من عمرها. كانت إليزابيث وحدها في المنزل، وعلمت بالحادث قبل وقت قصير من التقاط هذه الصورة. تؤكد السلطات أنها ستوفر للطفلة كل ما تحتاج إليه».

كان على بيث أن تتناول مهدئاً مرتين في اليوم، هناك في مأوى ميثوين في ماونت سترلينغ بولاية كنتاكي، كما هو الشأن بالنسبة إلى باقي الأطفال من نزلاء المأوى، وذلك «لضبط مزاجهم». وكما هو ملاحظ، كان مزاج بيث على ما يرام، لكنها أقبلت على تناول

حبوب الدواء الصغيرة باستمتاع، فقد خففت بعضاً من الآلام في أعماق معدتها، كما ساعدتها على النوم طوال فترة تواجدها في دار الأيتام.

يقدم لهم السيد فيرغوسن الحبوب في كوب كرتوني صغير. إضافة إلى الحبة الخضراء التي تُحسّن المزاج، هناك حبوب برتقالية وبنّية لتقوية الجسم. وعلى الأطفال الوقوف ضمن صف طويل، للحصول على حصصهم.

أطول الفتيات سوداء البشرة، واسمها جولين. كانت في الثانية عشرة من عمرها. في اليوم الثاني بعد وصولها، وقفت بيث خلفها في صف توزيع الفيتامينات، استدارت جولين نحوها، وحدجتها بنظرة فوقية مهددة.

- يتيمة حقيقية أم ابنة زنا؟

لم تحر بيث جواباً. كانت خائفة. هما في آخر الصف، وعلى بيث أن تنتظر إلى حين وصول دورها إلى الشباك الذي يقف السيد فيرغوسن خلفه. سبق أن سمعت والدتها وهي تصف والد بيث بأنه لقيط وابن زنا، لكنها لم تفهم معنى ذلك.

- ما اسمك يا فتاة؟ سألتها جولين.

- بيث.

- هل والدتك ميتة؟ وماذا عن والدك؟

حدّقت بيث في وجهها شبه مصدومة. كلمتا «والدة» و«ميتة» لا تطاقان. تمنت لو تتمكن من الهرب، لكنها لا تعرف مكاناً آخر لتذهب إليه.

- والداك، واصلت جولين متخلية عن عدائيتها، هل لقيا حتفهما؟

لم تستطع بيث التفكير في أي شيء لتقوله أو تفعله. وقفت هناك خائفة تنتظر حصتها من المهدئات.

«أنتم حفنة من الملاعين الصغار!» كان صوت رالف القادم من مهجع الذكور. سمعته بيث لأنها كانت في المكتبة، حيث توجد نافذة تطل على مهجع الذكور. لم تستحضر كلمة «ملعون» أي صورة في ذهنها، وهي كلمة غريبة فعلاً، لكن عندما سمعتها أدركت أنهم سيجبرون رالف على غسل فمه بالصابون، كما فعلوا معها عندما قالت «اللعنة» - الكلمة التي كانت والدتها ترددها طوال الوقت.

طلب منها الحلاق أن تظل ساكنة تماماً. «إذا قمتِ بأي حركة، فقد يتسبب ذلك في قطع أذنك». لم يكن يبتسم على الإطلاق.
حاولت بيث أن تفعل ذلك، لكن تحقيق السكون التام بدا أمراً مستحيلاً. استغرق الحلاق وقتاً طويلاً ليمنحها تسريحة مشابهة لباقي نزيلات المأوى. كانت مشغولة بالتفكير في كلمة «ملعون».

لحارس المبنى، الذي يدعى شايبل، بنية غير متناسقة، فهو أكثر بدانة من جانب مقارنة بالجانب الآخر. تم إرسال بيث إلى الطابق السفلي ذات يوم لتنظيف مماحي السبورة، وذلك بضرب بعضها ببعض، فوجدته بجوار المدفئة، جالساً على كرسي حديدي، ينظر بعبوس إلى رقعة ملونة بالأخضر والأبيض، عليها، بدلاً من أحجار الضامة، قطع بلاستيكية صغيرة غريبة الشكل ومتفاوتة الطول، القطع الصغرى أكثر عدداً. رمقها الحارس بنظرة حادة، فغادرت المكان دون أن تتفوه بكلمة.

تناول الجميع السمك يوم الجمعة، سواء كانوا كاثوليكيين أم لا[1]. سمك مربع الشكل، مغلف بقشرة بنية داكنة ومغطى بصلصة برتقالية سميكة تشبه المايونيز المعلب. كانت الصلصة بطعم حلو بشع، أما السمك فطعمه أسوأ بكثير. شعرت بيث بالغثيان، لكنها كانت مجبرة على تناول طعامها وعدم ترك أي فتات، وإلا ستعلم السيدة ديردورف بالأمر، ولن يتبناها أحد.

تم تبنّي بعض الأطفال بسرعة كبيرة. أليس، فتاة تبلغ من العمر ست سنوات، دخلت المأوى بعد شهر من وصول بيث، وبعد ثلاثة أسابيع أخذها أشخاص بدوا لطفاء، ويتكلمون بلكنة أجنبية. عبروا الفناء في اليوم الذي جاؤوا فيه لاصطحاب أليس، فتمنت بيث لو أنها تلقي بنفسها بين أذرعتهم، وقد لمحت آثار السعادة على وجوههم، لكنها أدارت ظهرها عندما نظروا إليها. كانت هناك طفلات أخريات ظللن هناك لفترات طويلة جداً، ويدركن أنهن لن يرحلن أبداً. يقلن بأنه قد حكم عليهن بـ«المؤبد». تساءلت بيث إن كان محكوماً عليها بـ«المؤبد» مثلهن.

كانت حصص التربية البدنية صعبة، خصوصاً لعبة الكرة الطائرة. لم تتمكن بيث أبداً من إرسال الكرة بالشكل الصحيح. إذ تضربها بقوة أو تدفعها بأصابع متصلبة. آلمها إصبعها بشدة ذات مرة، ثم تورَّم. لا تصرخ ولا تضحك كما تفعل الأخريات أثناء اللعب.

---

(1) يحرص المسيحيون المتدينون على تناول السمك يوم الجمعة، حيث يرتبط تقديس السمك بالخبز والنبيذ في الطقوس الدينية المسيحية. (المترجم)

كانت جولين أفضلهن، ليس فقط لأنها أطولهن وأكبرهن سناً، بل أيضاً لأنها تعرف دوماً ما الذي يتوجب عليها فعله. فعندما تأتي الكرة من فوق الشبكة، تكون قادرة على التموضع تحتها دون أن تضطر للصراخ آمرة الفتيات بالابتعاد عن طريقها، يكفيها أن تقفز وتضرب الكرة نحو الجانب الآخر بحركة مرنة طويلة. اعتاد فريق جولين على الفوز دوماً.

بعد أسبوع من إصابة بيث في إصبعها، استوقفتها جولين عقب انتهاء حصة التربية البدنية، فيما اندفعت الأخريات متسابقات نحو الحمامات. رفعت جولين يديها قائلة: «دعيني أريك كيف يتم ذلك». كانت أصابعها الطويلة متباعدة ومثنية قليلاً. «هكذا». ثنت ذراعيها ورفعت يديها بلطف، كما لو كانت تحمل كرة وهمية. «هيا حاولي».

افتقرت محاولة بيث إلى الإتقان، فكررت جولين المحاولة ضاحكة. أعادت بيث الكرّة عدة مرات فتحسنت شيئاً فشيئاً، وهكذا أخذت جولين الكرة ورمتها نحو بيث التي تلقّتها بأطراف أصابعها، فصار الأمر أسهل تدريجياً.

- واصلي التدرب الآن، مفهوم؟ قالت جولين وهي تركض باتجاه الحمامات.

تدربت بيث لمدة أسبوع، فلم تعد الكرة الطائرة اختباراً صعباً لقدراتها. لم تفلح أبداً في إتقان اللعبة، لكنها لم تعد مخيفة كما في السابق.

تقوم الآنسة غراهام، كل يوم ثلاثاء بعد حصة مادة الحساب، بإرسال بيث إلى الطابق السفلي لتنظيف المماحي. كان ذلك بمثابة

امتياز لها، فبيث هي أفضل طالبات الصف، وإن كانت أصغرهن. هي لا تحب القبو، برائحته الكريهة وخوفها الشديد من السيد شايبل. لكنها رغبت بشدة في معرفة المزيد عن اللعبة التي يلعبها بمفرده في مواجهة رقعته.

اقتربت منه ذات يوم، ثم وقفت بالقرب منه منتظرة تحريكه لإحدى القطع. كان يضع يده على رأس حصان بلاستيكي يرتكز على قاعدة صغيرة. ثم رفع عينيه العابستين نحوها بعد ثانية واحدة.

- ماذا تريدين يا صغيرة؟

اعتادت بيث على تجنب أي مواجهات أو لقاءات، خاصة مع البالغين، لكنها تماسكت هذه المرة.

- ما اسم هذه اللعبة؟

حدّق فيها.

- عليكِ البقاء في الأعلى مع الأخريات.

واصلت التحديق في وجهه بلا هوادة، ساعدتها الجدية التي يمارس بها هذا الرجل لعبته الغريبة على التشبث برغبتها.

- لا أريد البقاء مع الأخريات، قالت. أريد معرفة اسم هذه اللعبة التي تلعبها.

نظر إليها بتركيز أكبر، ثم هز كتفيه.

- اسمها الشطرنج.

تدلى مصباح عارٍ من سلك أسود معلق بين السيد شايبل والمدفأة. حرصت بيث على تجنب ظهور ظل رأسها فوق رقعة الشطرنج. كان ذلك صباح يوم الأحد، حيث تجمَّع الآخرون في المكتبة لإحياء القداس. رفعت يدها طالبة الإذن بالذهاب إلى

الحمام الموجود في الطابق السفلي. ظلت واقفة مدة عشر دقائق كاملة، تراقب الحارس وهو يلعب الشطرنج. لم ينطق أي منهما بكلمة، لكن ظهر جلياً أنه بدأ يتقبل وجودها.

ظل يحدق في القطع أمامه لعدة دقائق متتالية، وبلا حراك، كما لو كان يكرهها، ثم مد يده لتتجاوز بطنه والتقط بأطراف أصابعه إحدى القطع من أعلى، كفأر ميت يُمسَك بذيله، ثم وضعها على مربع آخر، دون أن يرفع عينيه نحو بيث.

ارتسم ظل بيث على الجدار الإسمنتي، من قمة رأسها إلى أخمص قدمَيها. تابعت اللعبة دون أن يرف لها جفن، مركزة على كل حركة يقوم بها الحارس.

تعلمت بيث كيف تدّخر حبوب المهدئات لتناولها ليلاً، كانت تعينها على النوم بعمق. تُدخل الحبة المستطيلة في فمها، عندما تتسلم حصتها من السيد فيرغوسن، ثم تضعها تحت لسانها وتأخذ رشفة من عصير البرتقال المعلب المصاحب، وعندما ينتقل السيد فيرغوسن إلى الطفلة التالية، تسحب الحبة من فمها ثم تضعها في جيب وزرة الطالبات الصغيرات التي ترتديها، ولم تكن الحبة تذوب خلال احتفاظها بها تحت لسانها.

لم تنم إلا قليلاً جداً خلال أول شهرين في المأوى. تظل بلا حراك، مغمضة جفنيها، وتحاول أن تنام، لكنها تسمع أصوات الفتيات في الأسرّة الأخرى وهنّ يسعلن، أو يستدرن، أو يتمتمن بكلام غير مفهوم، أو عندما يظهر ظل إحدى المشرفات المارات عبر الردهة عابراً سريرها، ويخيل إليها أنها قادرة على رؤيتها حتى وهي مغمضة العينين. قد يرن هاتف بعيد، أو يسمع صوت شطف

بالمرحاض، وكان أسوأ ما في الأمر هو سماعها لمن يتحدث في المكتب الموجود آخر الممر. مهما كان صوت المشرفة التي تتحدث إلى الحارسة الليلية لطيفاً، فتجد بيث نفسها متوترة ومستيقظة بالكامل، تنقبض معدتها وتشعر بطعم الخل في فمها، ما يعني استحالة تلمّس طريقها إلى النوم لما تبقّى من الليل.

هي أشبه بالمقيدة إلى سريرها، تشعر ببطنها المشدود وتعتريها رعشة إثارة تعلم أنها ستختفي قريباً. تظل وحيدة في الظلام، تراقب ردود أفعالها، وتنتظر انحسار اضطراباتها الداخلية، فتبتلع الحبتين وتسترخي، حيث يغمرها شعور بالرضا، مثل أمواج بحر دافئ.

- هل يمكنكَ أن تعلمني؟

لم يجبها السيد شايبل، ولم يتفاعل مع سؤالها بإيماءة حتى. تسمع الأصوات البعيدة التي تغني، **فلنجمع الحُزم**[1].

انتظرت لعدّة دقائق. بح صوتها من شدة الضغط على حبالها الصوتية، لكنها أجبرت الكلمات على مغادرة فمها:

- أريد أن أتعلم لعب الشطرنج.

مد السيد شايبل يده الضخمة إلى إحدى أكبر القطع السوداء، والتقطها بمهارة من الرأس، ثم وضعها على الجانب الآخر من الرقعة. سحب يده، ثم عقد ذراعيه على صدره، مواصلاً تجاهله لبيث.

- لا ألاعب الغرباء.

---

(1) Bringing in the Sheaves: أنشودة دينية أميركية شعبية، من تأليف نولز شو. (المترجم)

بدا صوته الرتيب أشبه بصفعة على خدها. أولته ظهرها وصعدت درجات السلّم، وقد شعرت بطعم المرارة في فمها.

- أنا لست غريبة، قالت له بعد مرور يومين. أنا أعيش هنا.

حلّقت فراشة صغيرة حول المصباح العاري خلف رأسها، فعبر ظلها الباهت رقعة الشطرنج على فترات منتظمة.

- بإمكانك أن تعلمني، لقد تابعتك فتمكنت من معرفة بعض القواعد.

- الفتيات لا يلعبن الشطرنج، قال السيد شايبل بصوت يخلو من أي تعبير.

تسلحت بشجاعتها، ثم تقدمت خطوة إلى الأمام، وأشارت إلى إحدى القطع الأسطوانية من دون لمسها، قطع أطلقت عليها اسم المَدافع في مخيلتها.

- تنتقل هذه القطعة من أقصى الأعلى إلى الأسفل أو من أقصى الخلف إلى الأمام، إن كان هنالك متسع لها.

صمت السيد شايبل لبعض الوقت، ثم أشار إلى قطعة أخرى يشبه رأسها ليمونة مشقوقة.

- وهذه؟

كاد قلب بيث يقفز بين ضلوعها.

- بشكل مائل، على الأقطار.

بالإمكان ادّخار حبوب المهدئات بتناول واحدة فقط خلال الليل. احتفظت بيث بالحبوب الإضافية في علبة فرشاة أسنانها، حيث لن يراها هنالك أحد. يكفيها فقط تجفيف الفرشاة جيداً

بواسطة منشفة ورقية بعد استخدامها، أو تركها وفرك أسنانها بإصبعها.

في المرة الأولى تناولت ثلاث حبات، الواحدة تلو الأخرى. شعرت بما يشبه وخز الإبر في الجزء الخلفي من عنقها. كان هذا بمثابة اكتشاف جديد خلال تلك الليلة، حيث ارتدت منامتها الزرقاء، واستلقت على سريرها في أسوأ زاوية داخل مهجع الفتيات، بالقرب من باب الممر وبجانب المراحيض، مستسلمة للحرارة التي غمرت جسدها. لقد حلت إحدى عقد حياتها: هي تعرف قطع الشطرنج الآن، كيف تتقدم وكيف تهاجم باقي القطع، وتعرف كيف تُسكّن آلام بطنها ومفاصل ذراعيها وساقيها، بفضل المهدئات التي يوزعونها في دار الأيتام.

- حسناً يا صغيرة، قال السيد شايبل. بإمكاننا اللعب الآن. سألعب بالقطع البيضاء.

كانت مطالبة بتنظيف المماحي بعد حصة الحساب، فيما ستبدأ حصة الجغرافيا بعد عشر دقائق. «لا وقت لدي»، قالت. لقد تعلمتْ كيفية تحريك القطع يوم الأحد الماضي، خلال ساعة إحياء القداس، التي تسمح لها بالبقاء في القبو، ولم ينتبه أحد لغيابها، طوال فترة تواجدها هناك، مع قدوم مجموعة من الفتيات من ناحية أخرى في المدينة، لكن الأمر مختلف تماماً مع مادة الجغرافيا، إذ يرعبها السيد شل، وإن كانت من المتفوقات.

قال الحارس بلهجة جافة:

- إما الآن وإلا فلا.

- لدي حصة في مادة الجغرافيا...

- إما الآن وإلّا فلا.

لم تستغرق بيث سوى ثانية واحدة لتقرر. وجدت صندوقاً قديماً لعلب الحليب بالقرب من المدفأة، فدفعته أمام الرقعة، جلست ثم قالت: «العب».

هزمها بما علمت فيما بعد أن اسمها ضربة الراعي[1] وبأربع نقلات فقط. جرى ذلك بسرعة فائقة، لكن ذلك لم يمنعها من التأخر بربع ساعة كاملة عن حصة الجغرافيا. قالت إنها تأخرت في المرحاض.

كان السيد شل واقفاً أمام مكتبه، واضعاً يديه على وركيه، حيث خاطب الجميع سائلاً:

- من منكن، أيتها الآنسات الصغيرات، رأت هذه الآنسة الصغيرة في المرحاض؟

تتالت الضحكات المكتومة، ولم ترفع أي منهن يدها، بمن فيهن جولين، رغم أن بيث سبق أن كذبت لأجلها مرتين.

- وكم من آنسة صغيرة من الحاضرات هنا ذهبت إلى المرحاض قبل هذه الحصة؟

ضحكات مكتومة أخرى، وثلاث أياد مرفوعة.

- هل رأتها إحداكن بالصدفة، وهي منهمكة في غسل يديها الجميلتين؟

لم تجبه أي منهن، فاستدار نحو السبورة، حيث سجّل صادرات دولة الأرجنتين، وأضاف كلمة «الفضة». اعتقدت بيث لوهلة أن

---

(1) ضربة الراعي أو خطة نابليون: أول وأشهر كش مات في لعبة الشطرنج، حيث تهاجم خانة f7 التي يحرسها الملك، بواسطة الملكة والفيل، وذلك باستغلال ضعف حمايتها. (المترجم)

الأمور انتهت عند هذا الحد، لكنه أضاف، مولياً ظهره لكل من في القسم: «توبيخ بخمس نقاط».

يعادل الحصول على توبيخ بعشر نقاط ضرب المؤخرة بحزام جلدي. لم تشعر بيث بأثر هذا الحزام إلا في مخيلتها، لكن هذا الخيال اتسع ليشمل ألم تعرُّض أكثر أطرافها حميمية لحرارة النيران. وضعت يدها على قلبها، متأكدة من وجود حبوب المهدئات الصباحية في أعماق جيب وزرتها، فتراجع خوفها بشكل ملحوظ، وتذكرت علبة فرشاة أسنانها، المخبأة بعناية في جارور الخزانة الحديدية الصغيرة بالقرب من سريرها، وتضم بدورها أربع حبات إضافية.

ظلت مستلقية على ظهرها ليلاً، مع حلول موعد النوم. لم تكن قد تناولت الحبة المستقرة في راحة يدها. استمعت للأصوات الليلية التي بدت أكثر إثارة للصخب مع اعتياد عينيها على الظلام. سمعت صوت السيد بيرن في نهاية الممر وهو يكلم الحارسة، السيدة هولاند. تشنّج جسد بيث من الصوت. رمشت بعينيها، وتطلعت إلى السقف المظلم، مجبرة نفسها على رؤية رقعة الشطرنج بمربعاتها الخضراء والبيضاء، ثم وضعت القطع، كل واحدة في مكانها: القلعة، الحصان، الفيل، الملكة[1]، الملك، وصفّ البيادق التي تتقدمها. فحركت بيدق الملك الأبيض إلى الصف الرابع، ثم فعلت الشيء نفسه مع بيدق الملك الأسود. تستطيع فعل ذلك! الأمر بسيط للغاية. تابعت ذلك، فلعبت المباراة التي خسرتها مرة أخرى.

نقلت حصان السيد شايبل إلى الصف الثالث.

---

(1) تختلف تسمية هذه القطعة بين الشعوب، بين من يسميها الملكة ومن يسميها الوزير، وقد اخترنا تسميتها طوال أحداث هذه الرواية بالملكة للعلاقة الوثيقة بين الاسم وسياق الأحداث. (المترجم)

تلاشت الأصوات في الخلفية، وقد تحولت إلى ما يشبه الهمس المتناغم، فيما واصلت بيث، المستلقية على سريرها، مباراتها بسعادة كبيرة.

في يوم الأحد التالي، تمكنت من إيقاف ضربة الراعي بحصانها، بعدما كررت اللعبة في ذهنها مئات المرات، ممّا مكنها من التخلص من غضبها وشعورها بالمهانة، محتفظة بالقطع والرقعة الوهمية وفق ما وفره وضوح إبصارها الليلي. وعندما لعبت ضد السيد شايبل مرة أخرى يومئذ، كانت قد أعدت عدتها لكل شيء، فقدمت حصانها كما في خيالها. لقد أحبت ملمس هذه القطعة بالذات، مع شعورها بأثر رأس الحصان الصغير على يدها.

حدجها الحارس بنظرة غاضبة عندما حركت حصانها. التقط ملكته من رأسها ليحاصر ملك بيث بوضعية كش ملك، لكنها استعدت لذلك أيضاً، إذ تخيلت هذه الحركة عندما كانت مستلقية على سريرها في الليلة الماضية.

احتاج السيد شايبل إلى أربع عشرة نقلة للإيقاع بملكتها في الفخ. حاولت المتابعة من دون ملكتها، متجاهلة هذه الخسارة القاتلة، لكنه مد ذراعه ليمنع يدها من التقاط البيدق الذي سعت لتحريكه.

- استسلمي الآن، قال بلهجة خشنة جافة.

- أستسلم؟

- أجل يا صغيرة، فقدانك للملكة بتلك الطريقة يجبرك على الاستسلام.

حدّقت فيه بنظرات تدل على عدم فهمها قصده. ترك يدها، ثم

التقط قطعة الملك السوداء وأسقطها على الرقعة. تدحرجت القطعة بضع لحظات قبل أن تتوقف.

- لا.

- بلى، هذا إعلان استسلامك.

ملأتها رغبة عارمة في قذف شيء ما في وجهه.

- هذا غير موجود في القواعد التي أخبرتني بها.

- هذه ليست قاعدة، بل تعبير عن الروح الرياضية.

الآن فهمت قصده، لكنها لم تستسغ الأمر. «أريد متابعة اللعب»، التقطت ملكها وأعادته إلى مربعه.

- لا.

- تابع اللعب.

نهض رافعاً حاجبيه. لم تره واقفاً أبداً في القبو - فقط عندما يكنس الممرات أو يمسح السبورات السوداء. أما هناك، فقد كان مضطراً للانحناء قليلاً لكي لا يصطدم رأسه بالعوارض الخشبية في السقف المائل. «لا»، قال. «لقد خسرتِ المباراة».

بالنسبة إليها، لم يكن ذلك عدلاً. فهي غير مهتمة بالروح الرياضية، بل ترغب في اللعب والفوز، تريد أن تفوز، بما يفوق رغبتها في أي شيء آخر. تفوهت بكلمة لم تنطق بها منذ وفاة والدتها:

- أرجوك.

- انتهت المباراة.

حاصرته بنظراتها الغاضبة.

- أيها القذر...

فرد ذراعيه أمام جسده الضخم وقال ببطء:

- لا شطرنج بعد الآن، اخرجي.

تمنت لو كانت أكبر قليلاً، لكنها ليست كذلك. تركت الرقعة وصعدت درجات السلّم. تطلع إليها الحارس من دون إضافة كلمة واحدة.

تابعت طريقها عبر الممر، يوم الثلاثاء التالي، حاملة المماحي بين يديها، لتكتشف أن باب القبو مقفل بالمفتاح. دفعته مرتين بوركها، دون أن تفلح في تحريكه. طرقته في البداية بهدوء، ثم بقوة أكبر، لكن طرقاتها لم تجد جواباً. أرعبها ذلك. كانت تعلم بأنه موجود هناك، أمام رقعة الشطرنج، غاضباً منها إثر تصرفها السابق، لكنها عاجزة عن فعل شيء. وعندما عادت بالمماحي، لم تنتبه الآنسة غراهام إلى أنها عادت قبل الأوان المعتاد، وأن المماحي غير نظيفة.

يوم الخميس، كانت واثقة من تكرار ما جرى، لكن ذلك لم يحدث. وجدت الباب مفتوحاً، فنزلت عبر الدرجات، والسيد شايبل متظاهراً بأن كل شيء على ما يرام. كانت القطع في مكانها، فنظفت المماحي بسرعة ثم جلست أمام الرقعة. حرك السيد شايبل بيدق ملكه، فحركت بيدق ملكها مربعين إلى الأمام. لن ترتكب أي خطأ هذه المرة.

تحرك فوراً، فردت بالمثل. لعبا بصمت. شعرت بيث بتصاعد حدة التوتر، وقد أعجبها ذلك.

قدّم السيد شايبل حصانه في النقلة العشرين، وهو ما لم يكن عليه فعله، فتمكنت بيث من الدفع ببيدقها إلى الصف السادس. تراجع بحصانه. كانت نقلة خاسرة وقد ارتعشت بيث عندما رأته يقوم

بها. فبادلت فيلها بالحصان، وتقدمت بالبيدق من جديد. نقلة أخرى ويصبح البيدق ملكة.

نظر الحارس إلى البيدق المستقر على المربع، فأسقط ملكه بحركة غاضبة. لم ينطق أي منهما بكلمة. كان ذلك فوزها الأول. تبخر توتر بيث وغمرها إحساس جميل لم تشعر بمثله في حياتها من قبل.

اكتشفت أنها قادرة على تفويت وجبة الغداء ليوم الأحد، دون أن ينتبه أحد لذلك، مما منحها فرصة البقاء مع السيد شايبل لثلاث ساعات كاملة، إلى حين موعد مغادرته في الثانية والنصف. لا يتجاذبان أطراف الحديث، يأخذ القطع البيضاء دوماً، تاركاً لها القطع السوداء، ويكون هو صاحب النقلة الأولى. فكرت في الاعتراض، ثم فضلت الإحجام عن ذلك.

قال ذات أحد، بعدما تمكن من هزمها في مباراة أخرى:

- عليكِ تعلم الدفاع الصقلي.

- ماذا تقصد؟ تساءلت بنبرة غاضبة، متأثرة بوقع هزيمتها، بعدما تمكنت من الانتصار عليه مرتين في الأسبوع الماضي.

- عندما ينقل صاحب القطع البيضاء البيدق إلى مربع الملك الرابع، يرد صاحب القطع السوداء هكذا.

مد ذراعه، ودفع بالبيدق الأبيض مربعين إلى الأمام، وهو ما اعتاد عليه تقريباً، ثم التقط بيدق الفيل لجهة الملكة السوداء ووضعه على بُعد مربعين، نحو المركز. كانت تلك أول مرة يعلّمها شيئاً ما.

- وماذا بعد ذلك؟ سألته.

التقط حصان الملك الأبيض ووضعه خلف البيدق، على اليمين.

- الحصان إلى KB 3.

- ماذا تعني بـ KB 3؟

- المربع الثالث أمام فيل الملك الأبيض، حيث وضعتُ الحصان.

- للمربعات أسماء؟

أومأ برأسه بهدوء، فشعرت بأنه يكلمها مرغماً، وإن لم يتفوه سوى ببضع كلمات.

- إذا لعبتِ جيداً، فسوف تعرفين بأن للمربعات أسماء.

مالت نحوه.

- أرني إياها.

رمقها بنظرة فوقية.

- لا، ليس الآن.

شعرت بيث بالغيظ. تتفهم جيداً رغبته في الاحتفاظ ببعض الأسرار، فهذا ما تفعله بدورها، لكنها تمنت لو تتمكن من صفعه، لإجباره على الكلام. أخذت نَفَساً عميقاً.

- هذا هو الدفاع الصقلي إذاً؟

بدا مرتاحاً لتخليها عن إصرار معرفة أسماء المربعات. «ليس هذا كل شيء». تابع حركاته، حيث علّمها النقلات الأساسية وبعض التفريعات، لكنه لم يذكر أسماء المربعات. علّمها تفريع ليفينفيش وتفريع ناجدورف، وطلب منها تكرارهما، ففعلت ذلك من دون ارتكاب أي خطأ.

ولكن، عندما لعبا من جديد، قام بتحريك بيدق ملكته إلى

الأمام، فأدركت فوراً أن ما علّمها إياه لم يكن ذا فائدة في وضعية كهذه. كادت تحرقه بنظراتها. لو كانت تملك سكيناً لطعنته، كما خاطبت نفسها. لكنها عادت بذهنها إلى الرقعة وحركت بيدق ملكتها، عازمة على أن تهزمه.

حرك بيدق فيله إلى جانب بيدق ملكته، كما يفعل في أغلب الأحيان.

- هل هذا يشبه الدفاع الصقلي؟ سألته.

- افتتاحيات.

لم يرفع عينيه، مفضلاً مراقبة الرقعة.

- وهذه؟

هز كتفيه.

- مناورة الملكة.

شعرت بالارتياح. لقد علّمها شيئاً إضافياً. فضلت بيث عدم أخذ البيدق المتوفر، والمحافظة على جو الإثارة المتصاعد على الرقعة. هي تحب ذلك. تحب جو القوة التي تسيطر بها القطع على صفوف الرقعة وأقطارها. وبوجود القطع المتناثرة في كل مكان فوقها، في خضم المباراة، يشعرها تقاطع قوى القطع بما يشبه سريان التيار الكهربائي في جسدها. حررت حصان ملكها شاعرة بتضاعف حجم قوته.

تمكنت من أخذ قلعتيه في عشرين نقلة، فأعلن استسلامه.

عادت إلى سريرها، ووضعت المخدة على رأسها لحجب الضوء المتسلل عبر باب الممر، محاولة التفكير في طريقة تمكنها من توظيف الفيل والقلعة للحصول على وضعية كش ملك مفاجئة.

فبتحريك الفيل، ينكشف الملك، ويكتسب الأول حرية فعل ما يريد في النقلة التالية - بما في ذلك أخذ الملكة. أمضت وقتاً طويلاً، وهي في قمة إثارتها، تفكر في مدى قوة هذا الهجوم، ثم ألقت بالمخدة جانباً، وتمددت على ظهرها، متخيلة شكل الرقعة مرة أخرى في السقف، واستعاد ذهنها كل مبارياتها ضد السيد شايبل، الواحدة تلو الأخرى. وتبين لها وجود حالتين كان بإمكانها استغلالهما لخلق وضعية القلعة والفيل التي قامت بابتكارها، ففي الحالة الأولى، يمكن لشوكة[1] أن تقيد الخصم، أما في الثانية، فسوف يكون الدهاء كافياً لذلك. استعادت تفاصيل المباراتين في ذهنها، مستخدمة نقلات جديدة، وانتصرت في كلتيهما، فنامت وعلى محيّاها ابتسامة رضا.

قدّم أستاذ مادة الحساب المماحي لطالبة أخرى، قائلاً إن بيث بحاجة إلى الراحة. لم يكن ذلك عادلاً في نظرها، فهي تحصد أعلى العلامات في المادة، لكنها لم تكن قادرة على فعل شيء. ويوماً بعد يوم، مع مغادرة الصهباء الصغيرة للفصل لتنظيف المماحي، أنجزت بيث تمارين الجمع والطرح السخيفة بيد مرتعشة، ويوماً بعد يوم، تضاعفت رغبتها اليائسة في لعب الشطرنج.

تناولت حبة مهدئ واحدة يومي الثلاثاء والأربعاء، واحتفظت بالباقي. تمكنت من الخلود إلى النوم يوم الخميس، بعدما لعبت شطرنجها الذهني لما يقارب الساعة، وخبأت حبتَي المهدئ. وقامت

---

(1) الشوكة أو الهجوم المزدوج: نقلة تكتيكية يهاجم من خلالها اللاعب قطعتي خصمه بقطعة واحدة، ما يجبر الخصم على التخلي عن القطعة الأدنى قيمة. (المترجم)

بالشيء نفسه يوم الجمعة، كذلك الشأن بالنسبة إلى يوم السبت بأكمله، أثناء عملها في مطبخ الكافيتريا، وبعد الظهر، خلال عرض الفيلم المسيحي بالمكتبة، والخطبة الطويلة حول «الترقي الروحي والشخصي» قبل وجبة العشاء، حيث شعرت بما يشبه الحرارة الداخلية كلما رغبت في تناولها، مع احتفاظها بست حبات في علبة فرشاة أسنانها.

تناولتها دفعة واحدة في تلك الليلة، مباشرة بعد إطفاء الأضواء، وانتظرت. حل بها شعور لذيذ - لان بطنها وزال التوتر المسيطر على عضلاتها. ظلت مستيقظة لأطول فترة ممكنة، ممّا سمح لها بالاستمتاع بذلك الدفء، والسعادة الكيميائية العميقة.

سألها السيد شايبل عن أحوالها يوم الأحد، فاستغربت منه هذا الاهتمام. «لم يسمحوا لي بمغادرة الفصل»، قالت.

أومأ برأسه. كانت القطع في مكانها، ولكنها فوجئت بوضعه القطع البيضاء أمامها، وبوجود صندوق علب الحليب بالقرب من الرقعة.

- أنا من سيلعب أولاً؟ قالت بارتياب.

- أجل، لكل منا دوره. هكذا يكون اللعب.

اعتدلت في جلستها وحركت البيدق أمام الملك، فقام السيد شايبل بتقديم بيدق الفيل المجاور للملكة، دون أن يتفوه بكلمة. لم تنس نقلات الشطرنج أبداً. لقد لعب بتفريع ليفينفيش. لم تحوّل هي بصرها عن الحركة المائلة الطويلة للفيل الخصم، والمستعد للانقضاض. وبوصولها إلى النقلة السابعة عشرة، وجدت طريقة لتحييده، بعدما نجحت في مبادلة فيلها الأضعف بفيله ثم تقدّمت بحصانها، وأخرجت قلعتها، لتقضي على ملكه في عشر نقلات.

الأمر بسيط، ولا يستدعي سوى الإبقاء على العينين مفتوحتين، ومراقبة الاتجاهات التي يمكن أن تتخذها المباراة.

فوجئ السيد شايبل بالكش مات (Checkmate)، فقد حاصرت ملكه في الصف الأخير، ومدت ذراعها إلى أقصى نقطة في الرقعة لوضع القلعة على المربع الفائز بحركة جافة. «مات»، قالت بهدوء.

بدا السيد شايبل مختلفاً ذلك اليوم، لم ترتسم على وجهه تلك التكشيرة التي اعتادت عليها بعد كل فوز تتمكن من تحقيقه، ومال نحوها قائلاً: «سوف أعلمك ترميز الشطرنج».

رفعت عينيها نحوه.

- أقصد أسماء المربعات، سوف أعلمك إياها.

رمشت بيث بعينيها.

- هل أصبحت جيدة بما يكفي الآن؟

همَّ بقول شيء ما، ثم تراجع.

- كم عمرك يا صغيرة؟

- ثمانية أعوام.

- ثمانية أعوام. مال نحوها أكثر، وفق ما سمحت به كرشه: أنت يا صغيرة، والحق يقال، مثيرة للدهشة.

لم تفهم معنى كلامه.

- معذرة.

مد ذراعه إلى الأسفل، ليلتقط زجاجة شبه فارغة، نزع سدادتها، ليعبّ رشفة طويلة.

- هل هذا ويسكي؟

- أجل يا صغيرة، لا تخبري أحداً بذلك.

- لن أخبر أحداً بشيء. علمني ترميز الشطرنج.

أعاد الزجاجة إلى مكانها، وتابعته بيث بعينيها، متسائلة في أعماقها عن طعم الويسكي والشعور المصاحب لتذوّقه، ثم وجهت نظرها وتركيزها إلى الرقعة، حيث تمارس اثنتان وثلاثون قطعة سلطتها الخاصة بصمت.

استيقظت ذات مرة على حين غرة، لتجد من يجلس على طرف سريرها، فشعرت بالفزع.

- اهدئي، همست جولين. هذه أنا.

لم تجبها بيث بكلمة، ظلت مستلقية على ظهرها، تنتظر.

- لا داعي لهذا التصلب، همست جولين. لن أصيبك بأي أذى. أطلقت ضحكة صغيرة. فقط يغمرني شعور بالأرق. هل تدركين معنى ذلك؟

تعالى صوت الركض في الممر، ثم فُتح الباب، ليغمر المكان طوفان من الضوء. كانت إحدى الحارسات الليليات من اللواتي لا تعرفهن بيث. ظلت المرأة هناك لما يقارب الدقيقة. حيث عم الهدوء المكان. رحلت جولين، ولم تجرؤ بيث على التحرك لترى ما إذا كانت قد عادت إلى سريرها. غادرت الحارسة في نهاية المطاف. حركت بيث رأسها فرأت ظل جولين المستلقية على سريرها. بحثت عن ثلاث حبات في درجها، تناولتها كلها، ثم استلقت على ظهرها، منتظرة تبدد الطعم السيّئ في فمها.

بالكاد نامت بيث تلك الليلة.

شعرت بالفزع في اليوم التالي بالكافيتريا، مع سماعها صوت جولين الهامس: «أنت أبشع فتاة بيضاء على الإطلاق». كانت قد

لحقت بها في طابور انتظار تناول المهدئات. «أنفك قبيح ووجهك قبيح وبشرتك مثل ورق الصنفرة، أيتها البيضاء الصغيرة المقرفة».

لم تجبها بيث، وقد أيقنت بأن كل ما قالته جولين صحيح.

ملك، حصان، بيدق. توشك رقعة الشطرنج على التفكك، ثم فجأة، تأتي الملكة. القلعتان على الأطراف، مطوّقتان في البداية، لكنهما مستعدتان، تستجمعان قواهما لتحررهما بنقلة واحدة. تحدثت الآنسة هادلي في مادة العلوم الطبيعية عن المغناطيس و«خطوط القوة». كانت بيث شبه غافية من شدة الملل، ثم استيقظت فجأة. خطوط القوة: الأفيال على الأقطار والقلاع على الصفوف.

يمكن أن تتحول المقاعد في الفصل إلى مربعات. إذا كان ذو الشعر الأحمر المدعو رالف حصاناً، فبإمكانها التقاطه، وتحريكه مقعدين إلى الأمام ثم مقعداً إلى الجانب، قبل وضعه في المكان الفارغ إلى يمين دنيس، بما سيحاصر برتراند في وضعية كش ملك، وهو الجالس في الصف الأمامي. تقرر لديها أنه الملك، فدفعتها الفكرة إلى الابتسام. مر أكثر من أسبوع منذ آخر مرة تحدثت فيها مع جولين، لكنها لم تسمح لنفسها بالبكاء. تبلغ من العمر حالياً تسع سنوات تقريباً، وهي ليست بحاجة إلى جولين. لا يهم ما هو شعورها، المهم أنها ليست بحاجة إليها.

«تفضلي»، قال السيد شايبل.

قدّم لها كيساً ورقياً بنياً، ظهر يوم الأحد، فتحته فوجدت كتاب جيب بغلاف سميك - **افتتاحيات الشطرنج الحديثة**.

بدأت تقلب الصفحات غير مصدِّقة. كانت مليئة بأعمدة رأسية طويلة تتضمن رموزاً شطرنجية، مع رسوم بيانية صغيرة وعناوين فصول مثل «افتتاحيات بيدق الملكة» أو «أنظمة الدفاع الهندي». رفعت بصرها نحوه.

قطب جبينه. «أنت بحاجة إلى هذا الكتاب»، قال. «سيخبرك بما ترغبين في معرفته».

جلست على صندوق علب الحليب الخاص بها أمام رقعة الشطرنج، دون أن تجيبه، وحضنت الكتاب بقوة منتظرة اللعب.

كانت حصة اللغة الإنجليزية الأكثر إملالاً، بسبب الصوت البطيء للسيد إسبيرو وحديثه عن الشعراء بأسماء مثل جون غرينليف ويتير أو ويليام كولن برايانت. «أين سيظهر ضباب الندى، / بينما تشرق السماء في الأنفاس الأخيرة من اليوم...». كان ذلك سخيفاً. هو يقرأ كل كلمة بصوت عالٍ، وبعناية شديدة.

احتفظت بكتاب **افتتاحيات الشطرنج الحديثة** في قمطرها، بينما كان السيد إسبيرو يقرأ. تابعت التفريعات الواحد تلو الآخر، ولعبت كل نقلة ذهنياً. ومنذ اليوم الثالث، بدأت الرموز مثل P-K4 وN-KB3 تظهر في ذهنها مثل القطع الملموسة على المربعات الحقيقية. لم تجد صعوبة في رؤيتها، ومن دون الحاجة إلى رقعة. كان بإمكانها وضع الكتاب على ركبتيها، على تنورة بثنيات لونها أزرق غامق بما يميز مأوى ميثوين، فيما يتلو السيد إسبيرو الأبيات الشعرية بأسلوبه الممل مثل: «من يتوحد بروحه مع حب الطبيعة / بأشكالها الظاهرة، يجد أنها تتحدث بلغة مختلفة»، لتطقطق القطع أمام عينيها الناعستين. كانت هنالك متابعات، ومباريات كلاسيكية

كاملة وصولاً إلى الانسحاب في النقلة السابعة والعشرين أو التعادل في النقلة الأربعين، ثم تعلمت كيف تخضع القطع لكل الحركات، وحبست أنفاسها أحياناً أمام أناقة هجمة مزدوجة، أو تضحية، أو وضعية تتضمن توازناً في القوى. وفي كل مرة تجد بيث نفسها متمسكة بالفوز، أو بما سيمكنها من تحقيقه.

«لها صوت السعادة في هذه الساعات البهيجة / ابتسامة وفصاحة الطبيعة. . .»، يتلو السيد إسبيرو، فيما تراقص بيث بروحها المتفتحة -بما يشبه الهوس- قطع الشطرنج، وقد أذهلتها بأشكالها القديمة.

- **بيضاء قذرة!** قالت جولين بعد انتهاء حصة التاريخ.

- **زنجية!** ردت بيث.

توقفت جولين والتفتت لتحدّق فيها.

تناولت بيث ست حبات مهدئة يوم السبت التالي. استرخت مستسلمة لعذوبتها الكيميائية، وقد وضعت يداً على بطنها.

- صباح الخير أيتها البيضاء، قالت جولين بصوت عذب وقد لانت ملامحها.

- جولين، ردت بيث.

اقتربت جولين منها. كانتا وحيدتين في غرفة تغيير الملابس، بعد حصة التربية البدنية.

- ماذا تريدين؟ قالت جولين.

- أريد معرفة معنى كلمة ملعون. حدّقت فيها جولين طويلاً، ثم ضحكت.

تحركت بيث مبتعدة، لكنها لم تتخلص من فضولها.

فازت بخمس مباريات متتالية يوم الأحد التالي. مرت ثلاثة أشهر منذ بدأت تلعب الشطرنج مع السيد شايبل، وصارت موقنة بأنه لم يعد قادراً على هزمها أبداً. صارت قادرة على استباق كل مراوغة أو تهديد قد يشكله. لم يعد بإمكانه إرباكها بحصانيه، أو باحتفاظه بقطعة في مربع خطير، أو محاصرة إحدى قطعها المهمة. صارت تتوقع تخطيطه وتمنعه من ذلك مع استعدادها للهجوم.

سألها بعد انتهاء المباراة:

- أنت في الثامنة من عمرك؟

- سأبلغ التاسعة في شهر نوفمبر القادم.

هز رأسه.

- هل ستأتين إلى هنا يوم الأحد القادم؟

- أجل.

- حسناً، لا تتخلفي عن الموعد.

يوم الأحد التالي، كان مع السيد شايبل شخص آخر في القبو. شخص نحيف، يرتدي قميصاً مخططاً وربطة عنق.

- إنه السيد غانز، هو عضو في نادي الشطرنج، قال الحارس.

- نادي الشطرنج؟ قالت بيث في شك، وهي تتفرس في القادم الغريب.

كان يشبه السيد شل، لكن بوجه باسم.

- نحن نلعب الشطرنج في هذا النادي.

- وأنا مدرب فريق ثانوية دانكن، أضاف السيد غانز.

لم تسمع هي بشيء مماثل من قبل.

- ما رأيكِ في أن نلعب مباراة شطرنج معاً؟ سألها السيد غانز.

أجابته بيث بالجلوس على صندوق علب الحليب.

جلس السيد شايبل بجسده الضخم على مقعد قابل للطي بالقرب من الرقعة، فيما جلس السيد غانز على المقعد الآخر، ومد ذراعه بحركة سريعة وعصبية ليلتقط بيدقين: أحدهما أبيض والآخر أسود. هزّهما للحظات ثم أخفاهما بيديه قبل مد ذراعيه نحو بيث، بقبضتين مضمومتين.

- اختاري إحداهما، قال السيد شايبل.

- لماذا؟

- ستلعبين باللون الذي ستختارينه.

- أوه. أشارت فوراً إلى يد السيد غانز اليسرى. هذه.

فتح يده، حيث استقر البيدق الأسود فوق راحته. «آسف»، قال مبتسماً، فأشعرتها ابتسامته بنوع من الارتباك.

استقرت القطع السوداء أمام بيث. أعاد السيد غانز القطعتَين إلى مكانهما، ثم حرك البيدق الذي يتقدم الملك، فأراحها ذلك قليلاً. هي تتقن افتتاحية الدفاع الصقلي جيداً، وفقاً للكتاب الذي قرأته. دفعت ببيدق فيل ملكتها بمربعين. وعندما أخرج حصانه، قررت استخدام تفريع ناجدورف.

لكن بدا أن السيد غانز أذكى من ذلك بكثير، فهو يلعب أفضل من السيد شايبل، ورغم ذلك، أدركت بيث بعد ست نقلات أنها ستهزمه من دون أدنى صعوبة، وهو ما فعلته بهدوء وقسوة، لتجبره على الانسحاب بعد النقلة الثالثة والعشرين.

أسقط ملكه على طرف الرقعة.

- من المؤكد أنك تتقنين اللعب يا آنستي الصغيرة. هل يوجد نادٍ هنا؟

حدجته بنظرات تدل على عدم الفهم.

- هل هناك نادٍ للشطرنج تلعب فيه باقي الفتيات؟

- لا.

- أين تلعبين إذاً؟

- هنا، في القبو.

- أخبرني السيد شايبل بأنكما تلعبان بعض المباريات كل يوم أحد، لكن ماذا عن باقي الأيام؟

- لا شيء.

- ولكن كيف تمكنت من إتقان اللعبة؟

لم تشأ إخباره بقدرتها على اللعب الذهني في الفصل أو أثناء استلقائها على سريرها. فكرت في إلهائه مقترحة:

- هل ترغب في لعب مباراة أخرى؟

ضحك.

- حسناً، إنه دورك للبدء بالقطع البيضاء.

فازت مرة أخرى، وبسهولة أكبر، مستخدمة افتتاحية ريتي[1]. يقول الكتاب إنه نظام «حديث جداً»، وقد أحبت الدور الذي يلعبه هنا فيل الملك. توقفت بعد عشرين نقلة لتوضح له وضعية كش مات

---

(1) افتتاحية ريتي (Réti): افتتاحية شطرنج تحمل اسم اللاعب المجري- التشيكوسلوفاكي ريتشارد ريتي، وتهدف القطع البيضاء من خلالها إلى السيطرة على وسط الرقعة من دون احتلاله. (المترجم)

المصيرية بعد ثلاث نقلات أخرى. احتاج إلى نصف دقيقة ليفهم ذلك. هز رأسه بدهشة ثم أسقط ملكه على الرقعة.

- أنت مذهلة. لم أر شيئاً مماثلاً من قبل. نهض، ثم مشى إلى جوار المدفأة، حيث لاحظت بيث وجود كيس بلاستيكي صغير.

- عليَّ الذهاب الآن، لكنني أحضرت معي هدية لك.

سلَّمها الكيس، فتطلعت إليه، متمنية احتواءه على كتاب آخر عن الشطرنج، مع إدراكها وجود شيء مغلف بورق كريب وردي.

- افتحيه، قال السيد غانز مبتسماً.

سحبت الطرد سيّئ التغليف وفتحته، لتجد دمية وردية ترتدي فستاناً أزرق، شقراء الشعر بفم صغير. تفحصتها بيث لبضع لحظات.

- إذاً؟ قال السيد غانز.

- هل ترغب في لعب مباراة أخرى؟ كانت تمسك بالدمية من ذراعها.

- عليَّ الذهاب الآن، قد أعود في الأسبوع المقبل.

تفاعلت مع كلامه بإشارة من رأسها.

توجد في نهاية الممر صفيحة زيت قديمة وكبيرة الحجم، تم تحويلها إلى سلة مهملات. رمت الدمية هناك عند ذهابها لحضور حصة الفيلم الذي يبث بعد ظهر الأحد.

أثناء حصة العلوم، قال الأستاذ، السيد هيوم، إنه من الضروري تناول الخضراوات مرة واحدة يومياً على الأقل، وبدأ في وضع لائحة بهذه الخضراوات على السبورة. وخلف النوافذ، إلى يسار بيث، بدأت تزهر أوراق شجرة الكرز اليابانية.

عاد السيد غانز يوم الأحد التالي، ومعه رقعته الشخصية، التي تتضمن مربعات بيضاء وسوداء، وقطعاً خشبية مصقولة في علبة خشبية بحشية حمراء. تفحصتها بيث بعينيها، ثم مدت يدها لتلتقط حصاناً عندما انهمك السيد غانز في ترتيب القطع فوق الرقعة. كان أثقل مما اعتادت عليه، وأسفله حشية خضراء. لم تفكر يوماً في امتلاك شيء ما، لكنها رغبت لحظتها في حيازة تلك القطع.

كان السيد شايبل قد وضع رقعته في مكانها المعتاد، وبحث عن صندوق قديم آخر ليضع رقعة السيد غانز فوقه لتحاذي رقعته، مع فاصل يعادل مسافة قدم واحد. كان يوماً مشمساً، وتسللت أشعة الشمس عبر النافذة، مخترقة الشجيرات القزمة في الممر المفضي إلى مدخل دار الأيتام. لم ينطق أي منهم بكلمة عند وضع القطع في مكانها. أخذ السيد غانز حصانه من يد بيث بهدوء ثم وضعه في مكانه.

- نعتقد أنك قادرة على اللعب ضد كلينا في الوقت نفسه.

- في الوقت نفسه؟

أومأ برأسه.

وضعا صندوق علب الحليب القديم خاصتها بين الرقعتين، وكانت القطع البيضاء من نصيبها في المباراتَين فبدأت كلاً منهما بالبيدق أمام الملك.

رد السيد شايبل بالدفاع الصقلي، وتقدم السيد غانز بالبيدق المدافع عن الملك. لم تكن بحاجة حتى إلى التفكير في التتمة، فردّت بنقلتين ووجهت بصرها نحو النافذة.

هزمتهما من دون عناء. أعاد السيد غانز تنظيم القطع للبدء من

جديد، فبدأت هذه المرة بالبيدق أمام الملكة وبعده بيدق فيل ملكتها - مناورة الملكة. شعرت باسترخاء تام، كما لو يتعلق الأمر بحلم جميل. كانت قد تناولت سبع حبوب مهدئة حوالي منتصف الليلة السابقة، وتواصل تأثيرها على جسدها حتى تلك اللحظة. وفي خضم المباراة، عندما كانت مشغولة بتأمل الزهور وردية اللون على الشجيرات، على الجانب الآخر من النافذة، سمعت صوت السيد غانز.

- بيث، لقد وضعتُ الفيل على مربع الفيل الخامس.

- الحصان إلى مربع الملك الخامس، أجابت دون أن تلتفت، منتبهة لما يشبه اللمعان على الشجيرات بفعل أشعة شمس الربيع.

- الفيل إلى مربع الحصان الرابع، قال السيد غانز.

- الملكة إلى مربع الملكة الرابع، ردت من دون أن تلتفت.

- الحصان إلى مربع فيل الملكة الثالث، قال السيد شايبل بنبرة صارمة.

- الفيل إلى مربع الحصان الخامس.

واصلت بيث تحديقها ناحية الشجيرات المزهرة.

- البيدق إلى مربع الحصان الثالث.

لان صوت السيد غانز بشكل غريب.

- الملكة إلى مربع القلعة الرابع، كش ملك، قالت بيث.

سمعت صوت السيد غانز وهو يلتقط فجأة أنفاسه.

قال بعد ثانية:

- الملك إلى مربع الفيل الأول.

- إنها وضعية كش مات بثلاث نقلات، قالت بيث بلا اكتراث.

كش ملك الأولى باستخدام الحصان، الملك لديه المربعان الأسودان، والفيل يضعه في وضعية كش، ثم يقوم الحصان بنقلة كش مات.

أطلق السيد غانز زفرة حارة طويلة قال بعدها :

- يا إلهي!

الفصل الثاني

كنّ يتابعن فيلم ظهر السبت عندما جاء السيد فيرغوسن لاصطحابها إلى مكتب السيدة ديردورف. كان فيلماً عن العادات الحميدة عنوانه **كيفية الجلوس إلى طاولة الطعام**. نهضت بيث من دون أدنى حسرة على تفويت فرصة المشاهدة، لكنها شعرت بالخوف. هل اكتشفوا أنها لم تشارك أبداً في قداس الأحد؟ أو أنها تدخر المهدئات؟ ارتعشت ساقاها وشعرت بدغدغة في فخذيها. رافقها السيد فيرغوسن، الذي يرتدي قميصه وسرواله الأبيضين، إلى نهاية الممر، على مشمع أرضي أخضر تخترقه شقوق سوداء. أحدثت فردتا حذائه البني الضخم صريراً مسموعاً على المشمع، فيما تسببت الأنابيب الزجاجية المشعة في أن تطرف عينيها لاإرادياً. حلت ذكرى ميلادها بالأمس، ولم يلفت ذلك انتباه أحد. لم يخاطبها السيد فيرغوسن بكلمة كعادته. كان يتقدمها بخطوات سريعة، ليتوقف أمام باب بزجاج فقد لمعانه، مع نقش حروف: **هيلين ديردورف - المشرفة العامة**. فتحت بيث الباب ثم دخلت.

طلبت منها سكرتيرة ترتدي بلوزة بيضاء التقدم نحو المكتب حيث تنتظرها السيدة ديردورف. دفعت الباب الخشبي الثقيل

وتقدمت. كان السيد غانز جالساً على الأريكة الحمراء، مرتدياً بدلة بنية اللون. كانت السيدة ديردورف خلف مكتبها. تطلعت إلى بيث من فوق نظارتها ذات الإطار القديم. بقدوم بيث، تظاهر السيد غانز بمحاولة النهوض، راسماً على وجهه ابتسامة إحراج، قبل أن يتراجع للجلوس في مكانه بتهالك.

- إليزابيث...، قالت السيدة ديردورف.

كانت بيث قد أغلقت الباب خلفها، وتقدمت خطوة إلى الأمام. ظلت واقفة تنظر إلى المديرة.

- إليزابيث، يقول السيد غانز إنك... عدلت وضعية نظارتها... طفلة عبقرية.

نظرت إليها، كما لو كانت تنتظر من بيث نفي ذلك، لكن الأخيرة ظلت صامتة، فتابعت:

- لقد وجّه إلينا طلباً غير معتاد. إنه يرغب في اصطحابك إلى الثانوية...

ألقت نظرة سريعة على السيد غانز.

- يوم الخميس، قال.

- بعد ظهر الخميس. إنه يعتقد أنك لاعبة شطرنج استثنائية، ويتمنى تقديمك لأعضاء ناديه.

ظلت بيث صامتة، دون أن تتمكن من التغلب على خوفها، فيما تنحنح السيد غانز.

- يضمّ النادي اثني عشر عضواً، وأتمنى لو تتاح لك الفرصة للعب ضدهم.

- إذاً؟ قالت السيدة ديردورف. هل أنت موافقة؟ يمكننا اعتبار ذلك بمثابة رحلة تربوية. وجهت للسيد غانز ابتسامة صارمة. نحن

نحرص على تمتع نزيلاتنا بالحق في خوض تجارب احتكاك بالعالم الخارجي.

كانت تلك أول مرة تسمع فيها بيث مثل هذا الكلام، فبحسب علمها، لا أحد بإمكانه مغادرة المكان بلا سبب.

- نعم، قالت بيث. أنا أرغب في الذهاب.

- حسناً، قالت المديرة. اتفقنا. سيأتي السيد غانز مرفوقاً بإحدى طالبات الثانوية لاصطحابك يوم الخميس بعد وجبة الغداء.

نهض السيد غانز مستعداً للمغادرة، فهمّت بيث باللحاق به، لكن السيدة ديردورف نادتها.

- إليزابيث، قالت بعدما صارتا وحدهما في غرفة المكتب، لقد أخبرني السيد غانز بأنك تلعبين الشطرنج مع الحارس.

لم تعثر بيث على جواب مناسب.

- مع السيد شايبل.

- نعم، سيدتي.

- هذا مخالف تماماً للنظام يا إليزابيث. هل كنت تنزلين إلى القبو؟

فكرت بيث لوهلة في الكذب، لكن السيدة ديردورف لن تجد أي عناء يذكر في كشفها. «نعم سيدتي»، كررت.

توقعت بيث كلاماً يعبّر عن الغضب، لكن صوت المديرة ظل مسترخياً بشكل غريب:

- لا يمكننا مواصلة السماح بذلك، قالت. نحن نؤمن طبعاً بالتميُّز، هنا في ميثوين، لكننا لن نسمح لك بلعب الشطرنج في القبو.

شعرت بيث بانقباض في بطنها.

- ربما توجد رقع شطرنج في خزانة الألعاب، سأرسل فيرغوسن لإلقاء نظرة.

سُمع صوت جرس في المكتب الأول، وأطلق مصباح صغير في الهاتف إشاراته المتتالية.

- هذا كل شيء يا إليزابيث. حافظي على أدبك في الثانوية، ولا تنسي تنظيف أظافرك.

في الرسوم المتحركة «الميجور هوبل»، ينتمي حامل هذا الاسم إلى نادي البوم. هو مكان بأرائك كبيرة، ورجال يشربون الجعة وهم يتحدثون عن الرئيس آيزنهاور، أو عن كم تنفق زوجاتهم في شراء القبعات. للميجور هوبل كرش بارزة، مثل السيد شايبل، وعند تواجده بنادي البوم، وقنينة جعة بيده، تخرج الكلمات من فمه مرفوقة بفقاعات صغيرة. يتفوه بكلمات مثل: «هارومف» أو «إيغاد!» في كرة تسبح بين الفقاعات. هذا هو «النادي»، يشبه قاعة القراءة في مكتبة ميثوين، ربما ستلاعب منافسيها الاثني عشر في قاعة مشابهة.

لم تخبر أحداً بشأن ذلك، حتى جولين نفسها. وكانت تفكر في الأمر عند استلقائها على السرير بعد إطفاء الأضواء، فتعتري بطنها رعشة ترقُّب. هل ستكون قادرة على خوض كل هذا العدد من المباريات في الوقت نفسه؟ أراحت ظهرها وفتحت جيب منامتها بحركة قلقة. توجد هناك حبتان، والخميس آت بعد ستة أيام. ربما يقصد السيد غانز أنها ستلعب مباراة مع أحدهم، ثم مباراة أخرى مع خصم آخر، إن كانت الأمور تتم بهذه الطريقة.

بحثتْ عن معنى كلمة «مذهلة». يقول المعجم بأن معناها: «غير

اعتيادية، متميزة، لافتة». رددت الكلمات بصمت: «غير اعتيادية، متميزة، لافتة». فتحولت إلى ما يشبه الأغنية في ذهنها.

حاولت تخيل اثنتي عشرة رقعة مرة واحدة على السقف، لكن أربع أو خمس رقع فقط بدت واضحة. لعبت هي بالقطع السوداء تاركة البيضاء لـ«الآخرين»، جعلتهم يتقدمون بالبيدق أمام الملك، لترد هي بالدفاع الصقلي، ولاحظت أنها قادرة على خوض أربع مباريات، والتركيز على واحدة، بينما تنتظرها المباريات الثلاث المتبقية.

سمعت صوتاً قادماً من المكتب في نهاية الممر: «كم الساعة؟» ومن يجيب بـ: «الثانية وعشرون دقيقة». كانت أمها تتحدث باستمرار عن «ساعات الليل الصغيرة»، قد تكون هذه إحدى تلك الساعات. واصلت بيث مبارياتها الذهنية، حيث لعبت خمس مباريات دفعة واحدة ونسيت الحبات المستقرة في جيبها.

صباح اليوم التالي، وكعادته كل يوم، قدم لها السيد فيرغوسن الكوب الصغير الخاص بها، لكنها نظرت إلى الأسفل فوجدت قرصين برتقاليين فقط. نظرت إلى الرجل الجالس خلف النافذة الزجاجية الصغيرة في الصيدلية.

- هذا كل شيء، قال. التالية.

لم تصدر أي حركة، حتى عندما تقدمت فتاة خلفها لدفع ظهرها.

- أين هي الحبات الخضراء؟

- لن تحصلي عليها بعد الآن.

وقفت بيث على رؤوس أصابع قدميها لتلقي نظرة فوق المنضدة. هناك، خلف السيد فيرغوسن، يرقد الوعاء الزجاجي

الكبير وما زال ثلثه مملوءاً بالحبوب الخضراء. لا بدّ أنه يحتوي على المئات منها، وهي تبدو مثل كرات العلكة الصغيرة.

- إنها هناك، قالت، مشيرة إليها.

- سوف نتخلص منها، قال. لقد صدر قانون جديد. يمنع تقديم المهدئات للأطفال.

- حان دوري، قالت غلاديس خلفها.

لكن بيث ظلت جامدة، فتحت فمها دون أن تصدر أي صوت.

كررت غلاديس بصوت أعلى: «حان دوري للحصول على الفيتامينات».

في بعض الأمسيات كانت تنغمس في لعب الشطرنج الذهني إلى درجة تدفعها إلى النوم من دون تناول المهدئات. لكن ذلك لم يحصل في تلك الليلة. ولم تتمكن من التفكير في الشطرنج. كانت هناك ثلاث حبات في علبة فرشاة أسنانها. ثم لا شيء. فكرت عدة مرات في تناول واحدة، ثم قررت التراجع عن ذلك.

- يقولون إنك ستحظين بالشهرة. وجّهت جولين ضحكتها لنفسها أكثر من بيث. ستلعبين الشطرنج أمام أعين الناس.

- من أخبرك بذلك؟

كانتا في غرفة تغيير الملابس بعد مباراة في الكرة الطائرة. تأرجح ثديا جولين تحت قميصها، بعدما برزا بشكل واضح خلال سنة واحدة فقط.

- أنا أعرف كل شيء يا صغيرة، أليست تلك اللعبة التي تشبه

الضامة حيث تتحرك القطع في كل الاتجاهات؟ كان عمي هيوبرت يلعبها.

- هل أخبرتك السيدة ديردورف بذلك؟

- لا أقترب من تلك السيدة أبداً، قالت جولين مبتسمة. فيرغوسن هو مَن أخبرني. قال إنك ذاهبة بعد غد إلى المدرسة الثانوية في المدينة.

نظرت بيث إليها غير مصدقة، فمن غير المعتاد أن يتشارك الموظفون أسرارهم مع الأيتام.

- فيرغوسن...؟

انحنت جولين إلى الأمام، قائلة بجدية:

- نحن نلعب دور الصديقين من وقت لآخر، لن تخبري أحداً بذلك، مفهوم؟

أومأت بيث برأسها.

اعتدلت جولين وواصلت تجفيف شعرها بمنشفة الصالة الرياضية البيضاء. بالإمكان دائماً التأخر في الاستحمام وارتداء الملابس بعد مباراة الكرة الطائرة، قبل استئناف الحصص الدراسية.

لمعت في ذهن بيث فكرة.

- جولين، قالت بعد لحظة بصوت خفيض.

- همم، همم.

- ألم يزوّدك فيرغوسن بحبوب خضراء إضافية؟

حدقت جولين في وجهها بقسوة. ثم لانت أساريرها تدريجياً.

- لا يا حلوتي. كان بودّي ذلك. لكن رقابة الولاية شديدة بسبب الآثار الجانبية التي تسببت بها هذه الحبوب.

- ما زالت موجودة في الوعاء الزجاجي الكبير.

- متأكدة؟ لم أنتبه للأمر. ظلت جولين محدقة فيها. لاحظتُ أنك عصبية في الآونة الأخيرة. هل تعانين من أعراض الإدمان؟

كانت بيث قد تناولت آخر حبة بحوزتها في الليلة السابقة.

- لا أدري.

- انظري حولك. سيزداد عدد اليتيمات المتوترات هذه الأيام.

انتهت من تجفيف شعرها ثم غادرت. ومع الضوء القادم من الخلف، وشعرها المجعد وعينيها السوداوين الكبيرتين، بدت جولين جميلة جداً. فيما شعرت بيث، الجالسة بجانبها على المقعد، بأنها قبيحة، شاحبة وصغيرة وقبيحة. وتخشى الذهاب إلى فراشها من دون حبوبها. كانت قد نامت ساعتين أو ثلاثاً في الليلتين الأخيرتين. شعرت بألم لاذع في عينيها، وتعرقت رقبتها حتى بعد مغادرتها للحمام. واصلت التفكير في الوعاء الزجاجي الكبير القابع خلف فيرغوسن، ثلثه ممتلئ بالحبوب الخضراء - بما يكفي لملء علبة فرشاة أسنانها مئة مرة.

كانت تلك أول مرة تركب فيها سيارة منذ وصولها إلى ميثوين قبل أربعة عشر شهراً أو خمسة عشر تقريباً. . . ماتت أمها في سيارة سوداء مشابهة، وقد اخترق طرف حاد من عجلة القيادة عينها، كما أخبرتها المساعِدة الاجتماعية وهي تنظر إلى ثؤلول على خدها. لم تقل بيث شيئاً. ولم تشعر بشيء أيضاً. قالت المرأة إن والدتها قد توفيت. كانت الجنازة بعد ثلاثة أيام. التابوت مغلق، وتعرف بيث معنى التابوت. حيث ينام دراكولا هناك. توفي والدها في العام الماضي بسبب «نمط حياة لامبالٍ»، كما قالت الأم.

جلست بيث في الخلف مع فتاة كبيرة تبدو أقرب إلى الغباء، تدعى شيرلي، وهي عضوة في نادي الشطرنج، فيما كان السيد غانز يقود السيارة. انقبضت معدة بيث كما لو كانت مقيدة بالأسلاك. أبقت ركبتيها مشدودتين فيما عيناها مثبتتان على الياقة المخططة حول رقبة السيد غانز، وأيضاً على السيارات والحافلات التي تمر وتراها من خلال الزجاج الأمامي.

حاولت شيرلي بدء محادثة.

- هل تلعبين مناورة الملكة؟

أومأت بيث برأسها، وقد بدت خائفة من الكلام. لم تنم طوال الليل، ولم تتجاوز مدة نومها بضع ساعات في الليالي الماضية. سمعت فيرغوسن في الليلة السابقة وهو يضحك متحدثاً مع موظفة الاستقبال، ضحكة مجلجلة عبرت الممر وصولاً إلى المهجع حيث كانت مستلقية بجسد متصلب.

ثم حدث شيء غير متوقع، فعندما بدت مستعدة للمغادرة، وصلت جولين راكضة نحوها، وحدجت السيد غانز بواحدة من نظراتها القاسية مستفسرة: «هل يسمح الوقت بكلمتين معها على انفراد؟»، رد هو قائلاً: «حسناً»، فسحبت جولين بيث من يدها على عجل وقدمت لها ثلاث حبات خضراء: «تفضلي يا عزيزتي، أعتقد أنك بحاجة إليها»، ثم شكرت السيد غانز وابتعدت متجهة نحو الفصل، وكتاب الجغرافيا مطوي تحت ذراعها النحيفة.

لم تجد بيث طريقة مناسبة لتناول المهدئات التي وضعتها في جيبها. كانت خائفة، وفمها جاف. هي تعلم أن باستطاعتها ابتلاعها دون أن ينتبه لها أحد. لكنها مذعورة بالرغم من ذلك. سيصلون قريباً. شعرت بالدوار.

توقفت السيارة عند الإشارة الضوئية الحمراء. هناك على الجانب الآخر من مفترق الطرق توجد محطة وقود بيور أويل ذات لافتة زرقاء كبيرة. فتنحنحت بيث وقالت:

- أنا بحاجة للذهاب إلى الحمام.

قال السيد غانز: «سنصل بعد عشر دقائق».

لكنها هزت رأسها بقوة.

- لا يمكنني الانتظار.

هز السيد غانز كتفيه، واجتاز مفترق الطرق عند الضوء الأخضر ثم دخل محطة الوقود. دفعت بيث باب مرحاض السيدات ثم أغلقته وراءها. كان قذراً، بلاطه الأبيض متسخ ووعاء المرحاض مكسور. تركت الماء البارد ينهمر لبضع لحظات ثم وضعت الحبات في فمها. قوّست يدها وغرفت بها رشفة من الماء، فبدأ شعور عارم بالتحسن يغمرها.

كانت قاعة دراسية كبيرة، فيها ثلاث سبورات على الجدار الخلفي. كُتبت على السبورة الوسطى، وبحروف كبيرة بالطبشور الأبيض، عبارة **أهلا بك يا بيث هارمون!** وفوقها، على الجدار، صورة ملونة للرئيس أيزنهاور ونائبه نيكسون. قاموا بإزالة معظم الطاولات التي أزاحوها لتصطف على جانب واحد من الرواق، ودفعوا بعضها نحو الزاوية. تم ترتيب ثلاث طاولات قابلة للطي على شكل حرف U وسط القاعة، على كل منها أربع رقع شطرنج باللونين البيج والأخضر، وقطع بلاستيكية، مع مقاعد معدنية تقابل فقط القطع السوداء، أما البيضاء فلا.

كانت قد مرّت عشرون دقيقة على توقفهم في محطة بيور أويل.

لم تعد بيث ترتجف، لكنها شعرت بالألم في عينيها ومفاصلها. كانت ترتدي تنورتها الزرقاء الداكنة وصداراً أبيض يحمل اسم ميثوين على الجيب، وبأحرف حمراء مطرزة.

لم يكن هنالك أحد في القاعة لدى وصولهم. فتح السيد غانز الباب مستخدماً مفتاحاً أخرجه من جيبه. رن جرس بعد مرور دقيقة، فسمعوا أصوات هتاف وصرخات التلاميذ الذين بدأوا بالدخول، ومعظمهم من الذكور. فتيان كبار مثل الرجال، إنها مدرسة ثانوية. كانوا يرتدون سترات ثقيلة ويحثون الخطى، وأيديهم في جيوبهم. تساءلت بيث عن المكان الذي يفترض أن تجلس فيه، لكنها لن تتمكن من الجلوس إن كان المطلوب منها خوض عدة مباريات في الآن نفسه. يجب عليها أن تنتقل من رقعة إلى أخرى لتحريك القطع. «هِيْ، كن حذراً يا ألان!»، صرخ أحد التلاميذ في وجه زميله، موجهاً إصبعه نحو بيث. انتبهت فجأة إلى أنها مجرد فتاة صغيرة لا قيمة لها - يتيمة عادية بشعر بني وملابس موحدة منحتها إياها إدارة دار الأيتام. كانت أصغر مرتين من هؤلاء التلاميذ المغرورين، المفعمين بالثقة، بأصواتهم الجهورية وستراتهم ذات الألوان الزاهية. شعرت بأنها سخيفة وبلا قوة. لكن هذه الأحاسيس تلاشت مع رؤيتها لرقع الشطرنج والمواقع المعتادة للقطع فوقها.

قد لا تكون في مكانها الطبيعي، هنا في هذه الثانوية الحكومية الكبيرة، لكنها في ملعبها الأثير، أمام اثنتي عشرة رقعة شطرنج.

- خذوا أماكنكم واصمتوا من فضلكم. تكلم السيد غانز بصرامة مفاجئة. سيلعب تشارلز ليفي عند الرقعة رقم 1، بصفته أفضل لاعبينا، وبإمكان الآخرين اختيار الرقع التي يريدونها، ويُمنع الحديث أثناء المباريات.

صمت الجميع فجأة، واستدارت كل الأعين نحو بيث التي واجهتهم بنظرات متحدية، دون أن يرف لها جفن، وقد شعرت تجاههم بكراهية أكثر سواداً من الليل.

التفتت نحو السيد غانز.

- هل أبدأ الآن؟

- الرقعة رقم 1.

- ثم أمرّ إلى الرقعة التالية؟

- بالضبط، قال مؤيداً كلامه بإيماءة من رأسه.

انتبهت بيث إلى أنه حتى لم يقدمها للتلاميذ. اقتربت من الرقعة الأولى، حيث ينتظرها تشارلز ليفي خلف القطع السوداء. مدت ذراعها لتلتقط البيدق أمام الملك وتضعه في الصف الرابع.

المفاجئ بالنسبة إليها هو رداءة مستواهم في اللعب، كلهم. وقد أدركت ذلك منذ الجولات الأولى التي لعبتها ضدهم. كان تحريكهم للبيادق عشوائياً، ويعرّضون قطعهم لخطر الهجمات المزدوجة. حاول بعضهم شن هجمات غير منظمة ضد ملكها، لكنها أبعدتهم عنه مثل الذباب. انتقلت من رقعة إلى أخرى بسرعة ويسر، مع تلاشي ألم معدتها والثقة التي حددت حركة يدها. كانت في كل مرة بحاجة فقط إلى نظرة واحدة لتحديد الوضعية وطبيعة المطلوب منها، فجاءت ردودها مباشرة ودقيقة وقاتلة. حاصرت قطع تشارلز ليفي -الذي يُعتبر أفضلهم- في اثنتي عشرة نقلة، ثم وصلت إلى وضعية كش مات بعد ست نقلات إضافية، في الصف الأخير، وباستخدام حصان وقلعة.

شعرت بما يشبه النور يغمر ذهنها، وروحها تنشد الترانيم مع تناغم نقلات قطع الشطرنج. سيطرت رائحة الطباشير على القاعة، وأصدر حذاؤها صريراً مسموعاً مع تنقلها بين اللاعبين. ران الصمت

على المكان، وأدركت حقيقة وجودها وسط القاعة، صغيرة الحجم، متماسكة، وفي موقع القيادة. زقزقت العصافير في الخارج لكن بيث لم تنتبه لأصواتها.

حدق فيها بعض التلاميذ بانتباه شديد، وجاء آخرون من الممر واصطفوا أمام الجدار لمتابعة هذه الفتاة الغريبة التي جاءت من دار للأيتام في الضواحي، لتنتقل من لاعب إلى آخر بطاقة وعزيمة قيصر على أرض المعركة، أو بافلوفا[1] تحت الأضواء. فاق عدد الجمهور اثني عشر شخصاً، بعضهم يبتسمون بسخرية أو يتثاءبون، فيما جزم آخرون بأن القاعة القديمة المتهالكة لم تشهد مثل هذا القدر من الطاقة المتراكمة من قبل.

قد يكون ما تقوم به تافهاً، لكن من يتقنون إصاخة السمع سيدركون جيداً أن الطاقة المدهشة لذهنها تكاد تُصدر أصواتاً منتظمة ترتطم ذبذباتها بالجدران، وهو ما أنار طريق قطعها فوق رقعة الشطرنج. تمكنت من إلحاق الهزيمة بهم جميعاً في ساعة ونصف، من دون أدنى خطأ أو نقلة مهدورة.

توقفت بيث أخيراً، ثم نظرت حولها، حيث تجمعت القطع التي حصلت عليها حول رقع الشطرنج. حدّق فيها بعض التلاميذ، فيما فضّل معظمهم تحاشي نظراتها، وسُمع صوت تصفيقات خجولة.

احمرت وجنتاها، وظل جزء من أعماقها متشبثاً برقع الشطرنج ومواقع القطع المتبقية. لم يعد بحوزتها شيء الآن. كانت مجرد فتاة صغيرة من جديد، لا حول لها ولا قوة.

---

(1) آنا بافلوفا (1881-1931): راقصة باليه روسية، تعتبر من أفضل راقصات الباليه الكلاسيكي عبر التاريخ. (المترجم)

أهداها السيد غانز علبة تضم كيلوغراماً من شوكولاتة ويتمان، ثم أعادها مرة أخرى إلى السيارة. صعدت شيرلي دون أن تتفوه بكلمة، مع حرصها على عدم ملامسة بيث في المقعد الخلفي، وعادوا إلى دار ميثوين للأيتام صامتين.

لم تكن حصة الخامسة مساء محتملة. حاولت لعب الشطرنج ذهنياً، لكن، ولأول مرة بعد الساعات التي قضتها في الثانوية، أحست بأن ذلك عبثي، وبلا طعم. حاولت أيضاً مع كتاب الجغرافيا، حيث ستجتاز اختباراً في المادة يوم غد، لكن الكتاب الضخم لم يكن يضم بين دفتيه سوى الصور، التي تجدها هي بلا معنى تقريباً.

لم تكن جولين موجودة، وهي بحاجة ملحّة إلى رؤيتها، ومعرفة إن كانت حبوب مهدئات أخرى بحوزتها. ظلت من حين إلى آخر تتفقد جيب وزرتها بيدها، كما لو كانت مؤمنة بالخرافات الساذجة، على أمل العثور على شيء صغير، صلب ومستدير، لكنها لم تكن تجد شيئاً.

خلال وجبة العشاء، كانت جولين تتناول السباغيتي الإيطالية عندما دخلت بيث وأخذت طبقها، ثم توجهت نحو طاولة صديقتها قبل الحصول على حصتها، حيث وجدت فتاة سوداء أخرى مع جولين، نزيلة جديدة تدعى سامانثا، كانتا تثرثران.

تقدمت بيث مباشرة نحو جولين.

- هل معك المزيد منها؟

عقدت جولين حاجبيها، ثم هزت رأسها.

- كيف كان اللقاء؟ هل مر كل شيء على ما يرام؟

- لا بأس به. ولا حتى واحدة فقط؟

- صغيرتي، قالت جولين وقد أشاحت بوجهها، لا أرغب في سماع كلمة عن هذا الموضوع.

تم اختيار **الرداء**[1] لبثّه ضمن فقرة فيلم يوم السبت في المكتبة. وجود فيكتور ماتير ضمن طاقم التمثيل يعني أن المعنويات ستكون مرتفعة، وأن الجميع سيحضرون العرض، وسيجلسون بانتباه، على صف من المقاعد التي جرى ترتيبها بعناية في آخر القاعة، بالقرب من آلة العرض المضطربة. ظلت جفون بيث شبه مغلقة خلال نصف الساعة الأولى، عيناها حمراوان وتؤلمانها. لم تنم ليلة الخميس إلى الجمعة، وبالكاد نامت ساعة واحدة في الليلة التالية. شعرت بآلام في بطنها، وبطعم الخل أسفل حلقها. ظلت ملتصقة بالمقعد القابل للطي، ويدها في جيب وزرتها، حيث تعبث بمفك البراغي الذي خبأته هناك منذ الصباح، إذ دخلت إلى ورشة النجارة الخاصة بالفتيان بعد وجبة الإفطار، وأخذته من فوق الطاولة. لم يرها أحد. أحكمت قبضتها على المفك حتى شعرت بالآلام في أصابعها، التقطت نَفَساً عميقاً، ثم تسللت خلسة نحو الباب الذي يحرسه السيد فيرغوسن.

- أريد الذهاب إلى الحمام، همست بيث.

أومأ السيد فيرغوسن برأسه، وعيناه مركزتان على فيكتور ماتير بصدره العاري في الحلبة.

---

(1) The Robe: فيلم ملحمي إنجليزي-أميركي من إنتاج سنة 1953، بطولة ريتشارد برتون وفيكتور ماتير، وإخراج هنري كوستر، يتناول حكاية قائد روماني يقود الوحدة العسكرية التي ستشرف على صلب يسوع وفق المعتقد المسيحي. (المترجم)

سارت في الممر الضيق بخطوات واثقة، تجاهلت تموجات المشمعات الباهتة، وتجاوزت مراقد الفتيات والقاعة متعددة الوظائف، حيث توجد أكوام من مجلات **السعي المسيحي وريدرز دايجست**، حتى الشباك المقفل للصيدلية في الجدار المقابل.

كانت هناك عدة مقاعد خشبية في الغرفة، فوضعت يدها على أحدها. لا أحد في الجوار. سمعت صرخات المصارعين في الفيلم آتية من المكتبة، ولا أصوات أخرى سواها، باستثناء وقع خطواتها، وقد خيّل إليها أنها مثيرة للجلبة.

وضعت بيث المقعد الخشبي أمام الشباك، ثم صعدت عليه، ما جعل رأسها في مستوى المزلاج والقفل المثبت أعلاه. كان لنافذة الشباك الزجاجية -التي فقدت لمعانها- إطار خشبي مطلي بطبقة سميكة من الطلاء الأبيض. تغضّن جبينها، وتسارعت دقات قلبها، مع تفحصها للبراغي التي تثبّت المزلاج الأبيض، حيث بقيت آثار من الطلاء في الشقوق.

في المرات القليلة التي زارها فيها والدها في المنزل، يوم كان محافظاً على اتزانه، ظل يحب القيام بأعمال صيانة صغيرة في البيت القديم، المتواجد في حي فقير جداً، حيث تشربت كل المصنوعات الخشبية الطلاء. تذكر بيث كيف ساعدت والدها، وهي بعد في الخامسة أو السادسة من عمرها، على انتزاع القوابس القديمة من الجدران بواسطة مفك البراغي الكبير. كانت تنفذ المهمة بإتقان يدفع والدها إلى تشجيعها على المواصلة. «أنت تفهمين بسرعة فائقة، يا حلوتي الصغيرة»، قال، فتغمرها سعادة كبيرة. لكن، مع وجود بقايا طلاء في حواف البراغي، كان يقول: «دعيها، سيتولى بابا أمرها»، فيفعل شيئاً لا تفهمه هي، بما يسمح لها بوضع المفك في ثنية البرغي

وإدارته بسهولة. ماذا يفعل لإزالة آثار الطلاء؟ ونحو أي اتجاه تتم إدارة المفك؟ اجتاحها للحظة شعور مفاجئ وخانق بالعجز. تعالت صرخات الحلبة في الفيلم، ليتبعها صوت زئير، ويتصاعد صوت الموسيقى التصويرية الحماسية في الآن نفسه. بإمكانها التراجع والعودة ثم الجلوس في مقعدها كما لو أن شيئاً لم يكن.

لكن استسلامها سيعني بكل تأكيد بقاءها على هذه الحالة. ستتمدد على سريرها ليلاً، مع عينين مركزتين على الأضواء المنبعثة من أسفل الباب، وأذنين منتبهتين للأصوات القادمة من الممر، والمذاق الفظيع في فمها، لن يعرف جسدها طعم الراحة والهدوء. التقطت مقبض مفك البراغي وبدأت تضرب رؤوس البراغي الكبيرة بقوة. لم يحدث شيء. صرّت على أسنانها وفكرت بعمق، ثم أومأت برأسها بغضب، وأمسكت بالمفك من جديد، عازمة على انتزاع طبقة الطلاء باستخدام النصل، مقلدة ما كان يفعله والدها. ضغطت بيديها، وقدماها مثبتتان على المقعد الخشبي، مركزة على الشق، فتطايرت قطعة طلاء صلبة، كاشفة عن جزء من رأس البرغي. واصلت الضغط معتمدة على نصل المفك، ليظهر الرأس العاري للبرغي كاملاً.

أمسكت بيث بالمفك بيدها اليمنى، واضعة النصل على الرأس بحرص شديد، ثم أدارته نحو اليسار، مثلما رأت والدها يفعل. الآن تذكرت كل التفاصيل، وهي تعلم أنها تمتلك ذاكرة جيدة. أدارت المفك بكل قوتها، ولم يحصل شيء. انتزعته، ثم أعادت تثبيته بيديها، فقوست كتفيها وضغطت على المقبض بقوة جعلتها تشعر بالألم في راحتَي يديها، وفجأة سمعت صوت صرير تبعه تحرُّر البرغي من حصاره. واصلت إدارة المفك حتى تمكّنت من انتزاع

البرغي بيدها ووضعه في جيب وزرتها، قبل معاودة الكرّة مع البرغي الثاني. يفترض أن يضم جزء المزلاج الذي اختارته أربعة براغي -برغي واحد في كل زاوية- لكن جرى الاكتفاء ببرغيين اثنين فقط، وقد انتبهت لذلك في الأيام القليلة الماضية، مع ملاحظتها أيضاً، كلما حل موعد تناول الفيتامينات، إلى أن المهدئات الخضراء ما زالت موجودة في الوعاء الزجاجي الكبير.

وضعت بيث البرغي الثاني في جيبها، فتراخى نصف المزلاج بحركة تلقائية، ومعه القفل المثبت إلى طرفه، فيما ظل النصف الآخر ملتصقاً بالنافذة. لم تكن بحاجة إلى وقت طويل حتى تفهم أنها لم تكن بحاجة سوى إلى انتزاع نصف المزلاج، كما اعتقدت بداية.

فتحت النافذة، ومالت قليلاً قبل إدارة المقبض، ثم مررت رأسها إلى الداخل. لا وجود لإنارة، لكنها تمكنت من تمييز شكل الوعاء الكبير. دسّت ذراعيها عبر الفتحة، وارتكزت على أصابع قدميها، ثم اندفعت محاولة الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة. حُشر بطنها عند حافة الشباك، لكنها تمطت سامحة لقدمَيها بالتحرر من المقعد. انتبهت لوجود ما يشبه الحافة الحادة تحت الفتحة، فخيّل إليها أنها ستقوم بشطرها إلى نصفين، لكنها تجاهلت الأمر وواصلت تمططها المنتظم، لتتقدم شيئاً فشيئاً. شعرت وسمعت صوت تمزُّق وزرتها، ولم تُلقِ بالاً لذلك أيضاً، فهي تملك وزرة إضافية في خزانتها، وبإمكانها تغييرها.

لامست يداها السطح البارد والأملس لطاولة حديدية، طاولة بيضاء صغيرة يقف خلفها السيد فيرغوسن أثناء توزيعه للأدوية، وفوقها علب قامت بإزاحتها جانباً لتجد لنفسها مكاناً، بعدما تراجعت صعوبة حركتها بعض الشيء. انزلقت، ليستقر وركاها على

الطاولة الصغيرة، لتحس بعد ذلك بساقيها وهما تحتكان بحافتها، قبل أن تسقط أخيراً على سطحها، محافظة على توازنها في اللحظة الأخيرة، مما حال دون سقوطها أرضاً. إنها في الداخل! فتحت قبضتَي يديها مرتين متتاليتين، ثم نزلت عن الطاولة. كان الضوء الخافت كافياً لكي ترى ما حولها. اتجهت نحو آخر الغرفة الصغيرة، وتوقفت أمام الوعاء الذي يُرى بالكاد. كان مغلقاً بغطاء زجاجي، نزعته ووضعته على الطاولة من دون إحداث أي صوت، ثم أدخلت يديها بهدوء داخل الوعاء، فلامست أناملها عشرات، بل مئات الحبوب البراقة، ثم غطست يديها أكثر، وصولاً إلى معصمَيها. التقطت بيث نَفَساً عميقاً، كتمته لوقت طويل، ثم أطلقت زفرة حارة وأخرجت يدها اليمنى حاملة حفنة من المهدئات، ووضعتها في فمها ثم ابتلعتها من دون أدنى اهتمام بعددها، حتى آخر حبة.

ملأت جيب وزرتها بعد ذلك بثلاث حفنات من الحبوب. استقر على الجدار، إلى يمين الشباك، موزع للأكواب الكرتونية، أفلحت في الوصول إليه مرتكزة على أصابع قدميها، حيث أخذت أربعة أكواب، وهو العدد الذي خططت له خلال الليلة الماضية، ووضعتها على الطاولة التي تضم الوعاء، وقامت بصفّها بشكل منتظم، وملأتها على التوالي. تراجعت بيث خطوة واحدة ثم تطلعت إلى الوعاء، حيث تراجع مستوى امتلائه إلى النصف، وهي ظاهرياً مشكلة بلا حل. عليها أن ترى ما الذي يمكن أن يحدث بعد ذلك. أدارت بيث ظهرها للحبوب، ثم توجهت إلى الباب الذي يمر منه السيد فيرغوسن عندما يبدأ عملية التوزيع. ستغادر بعد فتحه من الداخل، وتنتقل مرتين لإيصال الحبوب إلى الخزانة الحديدية المحاذية لسريرها. تستطيع إخفاءها داخل علبة مناديل ورقية فارغة

بحوزتها، ستكوّم بعض المناديل الورقية فوقها للتمويه، ثم تضعها داخل الخزانة المطلية بلون حديدي براق، تحت جواربها وملابسها النظيفة.

لم تتمكن من فتح الباب المقفل بالمفتاح. تفحصت القفل والمقبض بيدها، وبعناية شديدة، فشعرت أثناء ذلك بما يشبه كتلة ثقيلة وصلبة تتشكل أسفل حلقها، وبخدر يسري في ذراعَيها، كما لو كانتا ذراعَي جثة. وبدا شكها في استحالة فتح الباب في محله: لا بدّ من وجود مفتاح، حتى لو تعلق الأمر بفتحه من الداخل. ولم يكن باستطاعتها العودة عبر النافذة الصغيرة المفتوحة وهي تحمل أربعة أكواب كرتونية ممتلئة بالمهدئات.

كادت تجن. سيلحظون غيابها الطويل عن متابعة الفيلم، وسيأتي فيرغوسن للبحث عنها، وقد تتعطل آلة العرض، ويرسلون الأطفال إلى القاعة متعددة الوظائف برفقة فيرغوسن لحراستهم، وسيجدونها هنا. اجتاحها شعورُ مَن وقعت في مصيدة: الشعور البغيض نفسه الذي أوشك على انتزاع قلبها، عندما أخرجوها من بيتها وأحضروها إلى هذا المكان، لتُجبَر على النوم في مرقد مع دزينتين من الفتيات الغريبات عنها، تسمع كل ليلة رغماً عنها أصواتاً لا تقل رعباً عن الصرخات الصادرة عن والديها عندما يكونان في المطبخ وسط إضاءة خافتة. كانت وقتذاك تنام على سرير قابل للطي في غرفة المعيشة، فتشعر أيضاً بأنها أسيرة فخ يصيب ذراعَيها بالتصلب، مع تسلل الضوء والصراخ القادمَين من المطبخ إلى غرفة المعيشة.

تمسكت بيث بمقبض الباب لبضع لحظات، عاجزة عن إصدار أي حركة، مع انقطاع أنفاسها، ثم استعاد قلبها نبضه الطبيعي،

وتمكنت من تحريك ذراعَيها ويدَيها بشكل عادي. ما زال بإمكانها مغادرة الغرفة عن طريق النافذة الصغيرة، وجيبها ممتلئ بالحبوب. قد تترك الأكواب على الطاولة البيضاء، ثم تصعد عبر النافذة، وتمد ذراعها لإخراجها، الكوب تلو الآخر، كما لو كان الأمر يتعلق بمباراة في الشطرنج.

تقدمت بيث لتضع الأكواب على الطاولة، وقد غمرها هدوء هائل، شبيه بذاك الذي سيطر عليها في الثانوية بعدما أدركت أنها لن تُهزَم. استدارت بعد إحضار الكوب الرابع للنظر إلى الوعاء الزجاجي. سيعرف فيرغوسن بأن الحبوب قد سُرقت، هذا مما يستحيل إخفاؤه. تتذكر عندما قال والدها ذات مرة: «مَن يسرق سنتاً يسرق دولاراً».

حملت الوعاء لتضعه على الطاولة، ثم سكبت محتوى الأكواب وتراجعت لترى. سيكون من السهل جداً التقاطه من الخارج. بل إنها تعرف أيضاً أين ستخفيه، على رف خزانة منسية في مهجع الفتيات، إذ يوجد هناك سلّم صغير ودلو قديم مطلي بالزنك، لم يُستخدَم مطلقاً، وسيكون قادراً على استيعاب الوعاء. لن يداهمها أي خطر ما دام بإمكانها إغلاق المهجع من الداخل. وحتى إذا تم البحث عن المهدئات فلن يشك فيها أحد، كما أنها لن تتناول كميات كبيرة دفعة واحدة، ولن تخبر أحداً بأمرها، ولا حتى جولين نفسها.

سرى مفعول الحبوب التي ابتلعتها قبل بضع دقائق. تلاشى توترها تماماً، وأصبح صفاؤها الذهني كاملاً. صعدت على طاولة السيد فيرغوسن البيضاء، ثم دفعت رأسها عبر الشباك لتفقُّد الممر فوجدته فارغاً هادئاً كما تركته. لا يبعد الوعاء عن ركبتها اليسرى

سوى بضعة سنتيمترات. مالت بجسدها للخروج والوصول إلى المقعد الخشبي، وقد سيطر عليها إحساس بالهدوء والقوة وبأنها سيدة قرارها وقدرها.

مالت بيث أكثر، كما لو كانت أسيرة حلم، ثم أمسكت بقمة الوعاء بيديها. غزا جسدها شعور لذيذ بالاسترخاء. لانت أساريرها، فيما حدقت عيناها في بحر من الحبوب الخضراء. بلغها صوت موسيقى مهيبة قادمة من المكتبة. مائلة، بنصف جسدها داخل الغرفة والنصف الآخر مقترباً من المقعد، على حافة النافذة، ومن دون أدنى شعور بحدتها، صارت معلقة مثل دمية بالية. زاغ بصرها، وتحول اللون الأخضر إلى بقعة كبيرة مشعة وضبابية.

«إليزابيث!». بدا أن الصوت يتردد داخل رأسها. «إليزابيث!». رمشت بعينيها. كان صوتَ امرأة، صوتاً حاداً يشبه صوت والدتها. لم تدر رأسها. تراخت أصابعها الممسكة بقمة الوعاء الزجاجي، لكنها شددت قبضتها على وسطه. شعرت أن حركتها أقرب للعرض البطيء، كما يجري في أفلام مسابقات رعاة البقر عندما يسقط شخص عن حصان ويُرى سقوطه ببطء يوحي بأنه لم يصب بأي أذى. رفعت الوعاء بيديها، واستدارت، فاصطدم معصماها الملتويان بحافة النافذة، وأفلتت الوعاء الذي انزلق وسقط ليتهشم بالقرب من المقعد الخشبي. امتزجت الشظايا بمئات الحبوب الخضراء التي تناثرت فوق المشمع الأرضي. قطع من الزجاج تعكس الضوء مثل أحجار الراين الكريمة، وحبوب خضراء تتدحرج بعيداً نحو قدمَي السيدة ديردورف التي ظلت تردد: «إليزابيث! إليزابيث!»، وبعد وقت بدا طويلاً جداً، توقفت الحبوب عن التدحرج.

وقف السيد فيرغوسن خلف السيدة ديردورف، مرتدياً قميصه

وسرواله الأبيضين، وبجانبه السيد شل، ثم الأطفال الذين أتوا مسرعين لاستطلاع حقيقة ما يجري، وبعضهم يرمش بعينيه إثر المتابعة الطويلة للفيلم الذي انتهى للتو. ثبت الجميع أنظارهم على بيث المترنحة على الكرسي، يداها مفتوحتان وقد تخيلت أن الوعاء ما زال بين يديها.

أخذها فيرغوسن بسيارة الخدمة البنية الصغيرة إلى المستشفى، وصولاً إلى غرفة مضيئة، حيث أجبروها على ابتلاع أنبوب مطاطي رمادي. كان ذلك سهلاً. لا شيء يستحق أهمية تُذكر. ما زالت تتخيل كومة الحبوب الخضراء في الوعاء. تشعر بأن أشياء غريبة تحدث داخل جسدها، لكنها لم تكترث لذلك. نامت ولم تستيقظ إلا عندما غرزوا إبرة في ذراعها. لم تعرف بيث كم من الوقت ظلت معهم، لكنها لم تقض الليلة هناك. أعادها فيرغوسن في المساء، حيث جلست في المقعد الأمامي للسيارة، وهي يقظة تماماً هذه المرة، ومن دون شعور بالقلق. كان هذا المستشفى الجامعي الذي حصل فيه فيرغوسن على شهادته، حيث أشار بيده إلى جناح علم النفس قائلاً: «أنا درستُ هنا».

أومأت بيث برأسها، ولم تعلّق بكلمة. تخيلت السيد فيرغوسن وهو يدرس، يجتاز الامتحانات ويرفع يده عندما يرغب في الخروج. لم تكن تحبه على الإطلاق حتى تلك اللحظة، معتبرة أنه لا يختلف عن الآخرين في شيء.

- يا إلهي! قال، حسبت أن ديردورف ستنفجر.

تابعت الأشجار بعينيها عبر نافذة السيارة.

- كم ابتلعتِ؟ عشرين حبة؟

- لم أقم بعدِّها.

ضحك.

- استمتعي بها إذاً. غداً سيبدأ فطامك عنها.

لدى عودتها إلى ميثوين، ذهبت إلى فراشها فوراً، ثم نامت نوماً عميقاً مدة اثنتي عشرة ساعة كاملة. في الصباح التالي، أخبرها فيرغوسن، الذي عاد إلى تحفّظه، بضرورة الذهاب إلى مكتب السيدة ديردورف. فاجأها أنها لم تشعر بالخوف. لقد تلاشى أثر الحبوب، لكنها مرتاحة وهادئة. وعند ارتداء ملابسها اكتشفت أمراً مذهلاً، ففي عمق جيب قميصها القطني الذي نجا من كل ما جرى بعد نقلها إلى المستشفى وخلع ملابسها، عثرت على ثلاث وعشرين حبة، عليها أن تخفيها داخل علبة فرشاة أسنانها.

جعلتها السيدة ديردورف تنتظر لما يقارب الساعة. لكنها لم تُلقِ بالاً لذلك. قرأت في مجلة **ناشيونال جيوغرافيك** مقالاً عن قبيلة هندية كانت تعيش في الكهوف. أشخاص من ذوي البشرة السمراء بشعر أسود وأسنان قذرة. تضم صور المقال أطفالاً في كل مكان، معظمهم ملتصقون بكبار السن. بدا لها كل شيء غريباً: لم يلمسها كبار السن أبداً، إلا إذا تعلّق الأمر بمعاقبتها. رفضت فكرة استخدام السيدة ديردورف للمكواة، ولكنها ستصمد إذا استخدمتها. ارتبكت مع إدراكها أن ما ضُبطت بسببه يتجاوز كل العقوبات المعتادة، وإن أيقنت في أعماقها أيضاً بحقيقة تواطؤ دار الأيتام التي دفعتهم جميعاً إلى إدمان المهدئات، ليكونوا أقل حركة وأكثر طواعية.

لم تدعُها السيدة ديردورف للجلوس. كان السيد شل جالساً على الأريكة الزرقاء الصغيرة فيما جلست الآنسة لونسديل على الأريكة

الحمراء. هي مسؤولة عن الأنشطة الدينية، وقد استمعت بيث للعديد من خطبها قبل أن تعتاد على التغيب يوم الأحد للعب الشطرنج. هي تتحدث دوماً عن خدمة المسيح، وأضرار الرقص وخطر الشيوعية والكثير من الأشياء التي تركتها الآنسة لونسديل بلا تفسير.

- لقد ناقشنا قضيتك لمدة ساعة كاملة يا إليزابيث، قالت السيدة ديردورف. كانت عيناها، المثبّتتان على بيث، جامدتين وقاسيتين.

تطلعت بيث إليها بصمت. شعرت بأن شيئاً ما سوف يحصل، كما يحدث في الشطرنج، عندما يمتنع اللاعب عن إظهار نقلته التالية.

- لقد صدمنا سلوكك بشدة -لوهلة انقبضت عضلات فكها مثل الكابلات الفولاذية- لم يحدث شيء مؤسف مثل هذا منذ تأسيس ميثوين، ويجب ألّا يتكرر ذلك.

قال السيد شل: «نشعر بخيبة أمل كبيرة».

قالت بيث: «لا أستطيع النوم من دون تناول المهدئات».

عمَّت لحظات من الصمت المباغت. لم يتوقع أي منهم أنها ستتفوه بكلمة واحدة. «وهذا سبب إضافي يمنعك من تناولها»، قالت المديرة. لكن صوتها بدا غريباً بعض الشيء، وكأنها خائفة.

قالت بيث: «ما كان يجب عليكم تقديمها إلينا منذ البداية».

صرخت السيدة ديردورف: «لن أتسامح مع وقاحة كهذه من جانب طفلة». ثم نهضت ومالت نحو بيث من فوق مكتبها وأضافت: «ستندمين إن كررت مثل هذا الرد الوقح».

انقطعت أنفاس بيث، وقد بدت المديرة أقرب إلى عملاقة، فتراجعت خائفة كما لو أنها لامست مكواة ساخنة.

جلست السيدة ديردورف ثم عدلت إطار نظارتها.

- اتخذنا قراراً بمنعك من الدخول إلى المكتبة أو الخروج للفسحة. لن تحضري حصص بث الأفلام يومَي السبت والأحد، وستخلدين إلى النوم في الثامنة مساء. مفهوم؟

أومأت بيث برأسها.

- أجيبي.

- نعم.

- ستأتين إلى القداس قبل نصف ساعة من انطلاقه، وسوف تكونين مسؤولة عن ترتيب المقاعد. ستبلغني الآنسة لونسديل بأي تقصير من جانبك. إن تم ضبطك وأنت تتبادلين الهمس مع إحداهن خلال القداس أو الحصص الدراسية، فسوف تعاقبين بعشر نقاط سيئة. صمتت السيدة ديردورف لبعض الوقت، ثم أكملت: «هل تفهمين ما تعنيه عشر نقاط سيئة يا إليزابيث؟».

أومأت بيث برأسها.

- أجيبي.

- نعم.

- إليزابيث، أخبرتني الآنسة لونسديل بأنك كنت تتغيّبين دوماً عن القداس، ولفترات طويلة. لن يتكرر ذلك بعد الآن. سوف تكتبين ملخصاً للخطبة كل يوم أحد وتسلمينه إلى مكتبي صباح يوم الاثنين. استندت ديردورف إلى ظهر مقعدها، ووضعت يديها على ركبتيها: «إليزابيث...».

وجهت بيث كل اهتمامها إلى ما ستقوله المديرة.

- نعم سيدتي.

رسمت السيدة ديردورف على وجهها ابتسامة خيّل إليها أنها ذات وقع مشؤوم.

- لا شطرنج بعد اليوم.

صباح اليوم التالي، بعد الإفطار، وقفت بيث في الطابور لتناول الفيتامينات، فلاحظت وجود براغي في الفتحات الأربع على جانبي القفل في النافذة.

عندما جاء دورها، نظر إليها فيرغوسن مبتسماً.

- هل تريدين حصتك؟

هزت رأسها ومدَّت يدها للحصول على فيتاميناتها.

قدّم لها حصتها قائلاً: «لا تحزني يا هارمون».

بدا لطيفاً، وإن كانت تلك أول مرة يتكلم فيها بهذا الأسلوب وقت توزيع الفيتامينات.

لم تكن الآنسة لونسديل بذلك السوء المتوقع. بدت محرجة عند رؤيتها لبيث تحضر في التاسعة والنصف صباحاً، فشرحت لها بنوع من العصبية كيفية فتح الكراسي وترتيبها، ثم ساعدتها في ترتيب الصفين الأول والثاني، فواصلت بيث من دون صعوبة تُذكر، وإن كانت مجبرة على الاستماع إلى الآنسة لونسديل متحدثة عن الشيوعية الملحدة التي تسللت إلى كل الولايات المتحدة. شعرت بيث برغبة في النوم، ولم تجد الوقت الكافي لإتمام وجبتها. لكنها مطالبة بالاستماع لكي تكتب تقريرها. واصلت الاستماع إليها وهي تقول بجدية عارمة إنها مطالبة بالحذر، لأن الشيوعية مثل المرض الذي يمكن أن يصيبك. وهو ما لم تفهمه بيث. قالت الآنسة إن الشيوعية معتقد يؤمن به الغرباء الأشرار، مثل النازيين الذين عذبوا الملايين من اليهود.

سينتظرها السيد شايبل إن لم تخبره السيدة ديردورف بشيء.
كانت ترغب في النزول إلى القبو للعب الشطرنج، وتجربة مناورة الملكة ضده. قد يعود السيد غانز مع لاعب آخر من نادي الشطرنج لمنازلتها. بالكاد سمحت لنفسها بالتفكير في الأمر للحظة، لتشعر بانقباض في قلبها، مع رغبة في الركض، وألم في العينين.
رمشت بيث بعينيها وهزت رأسها مستمعة إلى الآنسة لونسديل التي كانت تتحدث الآن عن روسيا، حيث الحياة هناك رهيبة للغاية.

قالت جولين:
- لو رأيت نفسك وأنت فوق المقعد الخشبي. بدوتِ في غاية النشوة، فيما تصرخ السيدة ديردورف في وجهك.
- كان شعوراً غريباً.
- اللعنة، أراهن أنه كان كذلك، بل أراهن أنه كان شعوراً رائعاً! اقتربت منها جولين أكثر. صدقاً، كم عدد الحبات التي ابتلعتِها؟
- ثلاثون.
حدقت جولين في وجهها.
- اللعنة!

بدا النوم من دون مهدئات أمراً في غاية الصعوبة، وإن لم يكن مستحيلاً. احتفظت بيث بالحبوب المتبقية لحالات الطوارئ، وإن اقتضى الحال بقاءها لساعات طويلة بلا نوم كل ليلة، فسوف تقضيها في محاولة تعلم أساسيات الدفاع الصقلي. يتضمن كتاب **افتتاحيات الشطرنج الحديثة** سبعاً وخمسين صفحة عنها، مع مئة وسبعين تفريعاً

عن نقلة P-QB4، سوف تحفظها عن ظهر قلب وتلعبها ذهنياً. وبعد إتقانها لكل التفريعات، سيكون بإمكانها الانتقال إلى تفريعات بيرتش ونيمزوفيتش وروي لوبيز[1]. **افتتاحيات الشطرنج الحديثة** كتاب ضخم ومكثف. سوف يكون كل شيء على ما يرام.

خرجت ذات يوم من حصة الجغرافيا، فرأت السيد شايبل في آخر الممر ومعه دلو على عجلات، منهمكاً في تنظيف الأرضية. اتجه كل الطلاب نحو الجانب الآخر، حيث يوجد باب الساحة للاستراحة. تقدمت بيث نحوه، وتوقفت في الجزء المبلل من الأرضية. ظلت ساكنة لما يقارب الدقيقة قبل أن يرفع رأسه باتجاهها.

- أنا آسفة، قالت. لن يسمحوا لي بمواصلة اللعب بعد الآن.

عقد حاجبيه، ثم هز رأسه بصمت.

- أنا معاقَبة. أنا... نظرت إلى وجهه الذي لا يكشف عن أي تعبير. أريد أن ألعب معك من جديد.

بدا للحظة أنه يرغب في الحديث، لكنه نظر إلى الأسفل بدلاً من ذلك، وانحنى بجسده الكبير قليلاً، مواصلاً عمله. شعرت بيث فجأة بمذاق مُرّ في فمها. عادت أدراجها ثم سارت عبر الممر الطويل من الجهة المعاكسة.

قالت جولين إن حالات التبني تكثر مع اقتراب عيد الميلاد. وبعد مرور عام على منع بيث من لعب الشطرنج، تم إنجاز إجراءات

(1) تغييرات أو دفاعات أو افتتاحيات تحمل أسماء أبطال معروفين في لعبة الشطرنج. (المترجم)

حالتين للتبني مطلع شهر ديسمبر. هما فتاتان جميلتان، فكرت بيث، فيما قالت جولين صراحة وبصوت عال: «فتاتان من البيض».

ظل سريرا الفتاتين فارغين لبعض الوقت. لكن ذات صباح، وقبل تناول الطعام، دخل فيرغوسن إلى مهجع الفتيات. ضحكت بعضهن عند رؤيته حاملاً جراباً ممتلئاً بالمفاتيح في حزامه. اقترب من بيث، المنهمكة في ارتداء جواربها، وقد اقتربت من بلوغ العاشرة من عمرها. رفعت نظرها إليه بعد ارتداء الجورب الثاني.

قطب حاجبَيه وقال:

- لقد وجدنا لكِ مكاناً آخر يا هارمون. اتبعيني.

سارت خلفه عبر المهجع، وصولاً إلى الجدار المقابل. كان هناك سرير فارغ تحت النافذة، أوسع قليلاً من باقي الأسرّة، والمساحة المحاذية له أكبر.

- يمكنك وضع أغراضك في الخزانة. حدق فيها فيرغوسن طويلاً. أعتقد أن هذا السرير سيكون أفضل لك.

ظلت واقفة في مكانها مذهولة. إنه أفضل سرير في المهجع. دوَّن فيرغوسن شيئاً ما في دفتر ملاحظاته. مدّت يدها لتلامس بأناملها ذراعه، فوق معصمه، حيث تجمّع زغب أسود كثيف، وقالت: «شكراً».

الفصل الثالث

- أرى أنك ستبلغين الثالثة عشرة في غضون شهرين، قالت السيدة ديردورف.

- نعم سيدتي.

كانت بيث أمام مكتب السيدة ديردورف، جالسة على الكرسي الخشبي. جاء فيرغوسن لمناداتها فغادرت الحصة الدراسية. إنها الحادية عشرة صباحاً، وقد مرت ثلاث سنوات منذ دخلت هذه الغرفة آخر مرة.

تكلمت السيدة الغريبة الجالسة على الأريكة فجأة، قائلة ببهجة مصطنعة:

- كم هو رائع أن تكوني في الثانية عشرة!

ترتدي السيدة سترة زرقاء فوق فستان حريري. قد تكون أكثر جمالاً من دون مكياجها، وأحمر شفتَيها، والطريقة التي تلوي بها شفتَيها عندما تتحدث، فيما يرتدي الرجل الجالس بجانبها بدلة من نسيج صوفي خشن.

- لقد حصلت إليزابيث على نتائج جيدة في جميع المواد، تابعت المديرة. هي الأولى في مادتَي القراءة والحساب.

- هذا رائع جداً! قالت السيدة. كنت غبية في مادة الحساب. منحت بيث ابتسامة كبيرة. اسمي ألما ويتلي، أضافت بنبرة من تفضي بسر.

تنحنح الرجل ولم يعلّق. بدا أنه يرغب بشدة في مغادرة المكان.

أومأت بيث برأسها، دون أن تفلح في إيجاد رد مناسب على كلامها.

لماذا طلبوا حضورها؟

واصلت السيدة ديردورف استعراض تفوُّق بيث الدراسي. استمعت إليها صاحبة السترة الزرقاء باهتمام بالغ. لم تخبرها المديرة بشيء عن المهدئات الخضراء أو لعبة الشطرنج؛ بدت لهجتها دالة على استحسان متحفظ تجاه بيث. وبعد انتهائها، ران صمت طويل ومحرج. تنحنح الرجل للمرة الثانية، واعتدل في جلسته مربكاً، ثم التفت إلى بيث، وإن ظهر جلياً أن نظراته تتجاوز رأسها.

- هل ينادونك إليزابيث؟ قد يعتقد مَن يسمعه بأن فقاعة عالقة في حلقه. أو بيتي؟

نظرت إليه.

- بيث، ينادونني بيث.

نسيت ما جرى في مكتب المديرة خلال الأسابيع القليلة التالية، وانهمكت في واجباتها المدرسية ومطالعاتها. كانت قد عثرت على مجموعة من الكتب المخصصة للفتيات، فصارت تقرأ كلما سنحت لها الفرصة - في الحصص الدراسية أو في سريرها في المساء أو بعد ظهر الأحد. أعجبتها قصة الابنة الكبرى لعائلة كبيرة ومغامرة. تم اقتناء جهاز تلفاز في ميثوين، قبل ستة أشهر، وضعوه في غرفة

المعيشة مع تشغيله لمدة ساعة كل ليلة، لكن بيث فضلت قراءة مغامرات إلين فوربس على مشاهدة **أنا أحب لوسي**[1] أو **غان سموك**[2]. كانت تبقى وحدها في المهجع، حيث تجلس على سريرها وتقرأ حتى موعد إطفاء الأضواء، دون أن يزعجها أحد.

دخل فيرغوسن إلى المهجع الفارغ ذات مساء، في منتصف شهر سبتمبر، بينما كانت تقرأ.

- ألم تبدئي في حزم حقائبك؟

أغلقت كتابها، مستخدمة إبهامها لتذكُّر الصفحة.

- لماذا؟

- ألم يخبرك أحد بشيء؟

- يخبرني بماذا؟

- لقد تمت إجراءات التبني، سيأتون لأخذك بعد وجبة الإفطار.

ظلت صامتة، جالسة على حافة السرير، تنظر إلى قميص فيرغوسن الأبيض الكبير.

- أين هو كتابي يا جولين؟

- أي كتاب؟ ردّت جولين بصوت ناعس، مباشرة قبل إطفاء الأضواء.

---

(1) I Love Lucy: مسلسل هزلي أميركي بالأبيض والأسود، بدأ عرضه سنة 1951. (المترجم)

(2) Gunsmoke: مسلسل رعاة بقر أميركي بالأبيض والأسود، بدأ عرضه سنة 1952. (المترجم)

- افتتاحيات الشطرنج الحديثة بغلافه الأحمر. لقد احتفظت به في منضدة سريري.

هزت جولين رأسها.

- لا أفهم شيئاً مما تقولين.

لم تتصفح بيث كتابها منذ عدة أسابيع، لكنها تذكر بدقة موضعه في عمق الدرج الثاني. كانت قد وضعت حقيبة بلاستيكية بنية اللون على السرير. تضم فساتينها الثلاثة وأربع مجموعات من الملابس الداخلية وفرشاة أسنانها ومشطاً وقطعة صابون ماركة دايل ومشابك شعر وعدداً قليلاً من المناديل القطنية. أصبحت منضدة سريرها فارغة تماماً. بحثت عن كتابها في المكتبة ولم تجده، حيث يستحيل العثور عليه في مكان آخر. مرت ثلاثة أعوام لم تلعب خلالها أي مباراة في الشطرنج، باستثناء مبارياتها الذهنية، لكن هذا الكتاب هو الشيء الوحيد الذي توليه عنايتها الشديدة.

ألقت بيث نظرة جانبية على صديقتها.

- متأكدة من أنك لم تري الكتاب؟

أبدت جولين غضبها.

- كوني حذرة في اتهامك، لا علاقة لي باختفاء كتابك هذا.

ثم لان صوتها قليلاً. يقولون إنك ستغادرين الدار.

- هذا صحيح.

ضحكت جولين.

- ماذا هناك؟ ألا ترغبين في المغادرة؟

- لا أدري.

اندست جولين تحت الملاءة، ثم شدتها لتدثر كتفيها.

- قولي فقط: «نعم يا سيدي» و«نعم يا سيدتي»، وسوف يكون

كل شيء على ما يرام. أخبريهم عن مدى سعادتك بوجود بيت مسيحي ملتزم مثل منزلهم، وقد يوفرون لك تلفازاً في غرفتك.

بدت طريقة كلامها غريبة بعض الشيء.

- جولين، قالت بيث. أنا آسفة.

- ولماذا تتأسفين؟

- يؤسفني أنك لم تحظي بفرصة للتبني.

التقطت جولين نَفَساً عميقاً، تعبيراً عن الازدراء.

- اللعنة! أنا بخير هنا.

ابتعدت عن بيث ثم لفّت الغطاء كاملاً حول جسدها. أوشكت بيث على مد ذراعها نحوها، عندما فتحت الآنسة فورث الباب وقالت: «حان موعد إطفاء الأضواء يا فتيات!» فاستلقت بيث - وللمرة الأخيرة- على سريرها الأثير.

في اليوم التالي، رافقتهم السيدة ديردورف إلى موقف السيارات، وانتظرت جلوس السيد ويتلي خلف عجلة القيادة، ثم جلوس بيث ومعها السيدة ويتلي في المقعد الخلفي.

«كوني مهذبة يا إليزابيث»، قالت المديرة.

أومأت بيث برأسها، وهي ترى في الوقت نفسه شخصاً يقف على الشرفة الأمامية لمبنى الإدارة. إنه السيد شايبل، واضعاً يديه في جيبي سترته، ومحدقاً في السيارة. أرادت الخروج والذهاب لرؤيته، لكنها تعلم أن السيدة ديردورف ستعترضها، فتهالكت على المقعد الخلفي مرة أخرى. شغّل السيد ويتلي السيارة، فيما بدأت زوجته ثرثرتها.

انطلقت السيارة مبتعدة، فالتفتت بيث إلى الوراء ملوّحة للسيد

شايبل عبر النافذة الخلفية، لكنه لم يتجاوب مع تحيتها. لم تكن متأكدة حتى من أنه رآها.

قالت السيدة ويتلي: «لو رأيت الطريقة التي تعاملن بها معي».

كانت ترتدي السترة الزرقاء نفسها، مع فستان رمادي قديم، وجورباها ملفوفان إلى الأسفل.

- لقد قمن بمعاينة خزاناتي وثلاجتي، وانتبهت فوراً إلى أن مؤونتي أثارت ارتياحهن. يمكنك تناول المزيد من التونة في المقلاة. إن رؤية طفل يأكل لمتعة حقيقية بالنسبة إليّ.

وضعت بيث بعض التونة في طبقها. وجدتها شديدة الملوحة، لكنها لم تعلّق. كانت وجبتها الأولى في منزل عائلة ويتلي. سافر الزوج إلى دنفر في رحلة عمل وسيبقى هناك لعدة أسابيع. انتبهت لوجود صورة له فوق البيانو القريب من الستائر السميكة في غرفة المعيشة، فيما انبعث من التلفاز صوت ذكوري عميق يعدد مميزات مسكنات أناسين.

قام السيد ويتلي باصطحابهم إلى لكسينغتون[1] صامتاً، ثم صعد إلى الطابق العلوي للمنزل على الفور، لينزل بعد بضع دقائق حاملاً حقيبة سفر، حيث قبّل خد السيدة ويتلي وهز رأسه لتحية بيث، ثم غادر.

- أردن معرفة كل شيء، كم يكسب ألستون شهرياً، وسبب عدم إنجابنا للأطفال، بل إنهن طرحن سؤالاً عمّا... مالت السيدة

(1) لكسينغتون: مدينة في ولاية كنتاكي بالولايات المتحدة الأميركية. (المترجم)

ويتلي بنصفها العلوي فوق الطبق الزجاجي ماركة بيركس، وأضافت بصوت مسرحي هامس. . . إذا كنت قد تلقيت علاجاً نفسياً. اعتدلت في جلستها، وزفرت بقوة: هل يمكنك تخيل ذلك؟ هل يمكنك تخيل ذلك؟

- لا يا سيدتي، قالت بيث في محاولة منها لكسر حاجز الصمت.

تناولت قطعة من التونة بشوكتها، وأتبعتها برشفة من الماء.

- إنهن يمارسن عملهن بجدية بالغة، قالت السيدة ويتلي. لكن في نهاية المطاف، أظنهن مجبرات على القيام بواجبهن على أكمل وجه.

لم تلمس السيدة ويتلي طبقها، فخلال ساعتين قضتاهما معاً، أمضت وقتها في النهوض من المقعد الذي تجلس عليه لتفقُّد الفرن أو تصويب وضع نسخة مطبوعة لإحدى لوحات روزا بونور[1] المثبتة على الحائط أو إفراغ منفضة سجائرها. كانت تتحدث بشكل مستمر تقريباً، فتكتفي بيث أحياناً بـ«نعم، سيدتي» أو «لا، سيدتي». لم تر غرفتها بعد، وما زالت حقيبتها البلاستيكية البنية بالقرب من الباب، حيث وضعتها هناك حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، محاذية لكومة من المجلات المتدلية من الرف.

- من يدري، قالت السيدة ويتلي، ربما يتوجب عليهم إظهار دقّتهم وصرامتهم أمام العائلات التي ستتبنّى الأطفال. لا يمكن السماح لبعض الأوغاد بتبنّي أطفال صغار في مرحلة النمو.

---

(1) Rosa Bonheur (1822-1899): رسامة ونحاتة فرنسية، من أشهر فنانات القرن التاسع عشر. (المترجم)

وضعت بيث شوكتها بحرص.

- من فضلك، هل يمكنني الذهاب إلى الحمام؟

- طبعاً، بالتأكيد!

وجهت السيدة ويتلي شوكتها نحو غرفة المعيشة، وهي التي لم تفلتها من يدها طوال الوجبة، رغم أنها لم تأكل شيئاً أصلاً.

- الباب الأبيض على يسار الأريكة.

نهضت بيث، وسارت بخطوات متسللة بعيداً عن البيانو الذي يحتل عملياً معظم مساحة غرفة الطعام الصغيرة، ثم دلفت إلى غرفة المعيشة التي تكدست فيها طاولات القهوة والمصابيح وتلفاز صندوقه كبير من خشب الورد، حيث بدأ بث مسلسلات فترة ما بعد الظهيرة. خطت بحرص فوق سجادة أوريون الفخمة متجهة إلى الحمام، لتجده مزيناً بالكامل باللون الأزرق الناعم الشبيه بلون سترة السيدة ويتلي، مع سجادة ومناشف صغيرة مخصصة للضيوف ومقعد مرحاض وورق صحي كلها زرقاء اللون. رفعت بيث الغطاء، وتقيأت التونة، ثم ضغطت لشطف المياه.

صعدت السيدة ويتلي إلى أعلى الدرج، وتوقفت للحظة، وركها على الدرابزين وأنفاسها مقطوعة، ثم تقدمت بضع خطوات في الردهة المغطاة بالسجاد، وفتحت الباب بطريقة مسرحية. «هذه الغرفة ستكون لك». مع صغر مساحة المنزل، اعتقدت بيث أن غرفتها ستكون كذلك، لكنها شهقت عند دخولها إليها، وقد وجدتها فسيحة للغاية، الأرضية عارية ومطلية باللون الرمادي، مع وجود سجادة بيضاوية وردية اللون بالقرب من سرير يتسع لشخصين. كانت هذه أول مرة تحصل فيها بيث على غرفة خاصة بها.

ظلت واقفة، وحقيبتها في يدها، تنظر إلى أرجاء الغرفة. توجد خزانة خشبية بأدراج ومكتب مصنوع من الخشب ذاته، بلون قريب من البرتقالي، ومصباح زجاجي وردي وغطاء سرير حريري باللون نفسه على الفراش الواسع. قالت السيدة ويتلي: «قد لا تدركين مدى صعوبة العثور على أثاث جيد ومصنوع من خشب الجميز، وإن كنت أعتقد بأنني تدبرت أمري بشكل جيد، وإن كنت أنا من أقول ذلك عن نفسي». بالكاد استمعت بيث إلى حديثها. هذه غرفتها. نظرت إلى الباب بطلائه الأبيض السميك، حيث استقر المفتاح أسفل المقبض. بإمكانها إقفاله، وبالتالي عدم السماح لأي كان بالدخول.

دلتها السيدة ويتلي على الحمام آخر الردهة، ثم انسحبت للسماح لها بتفريغ أغراضها، مغلقة الباب خلفها. وضعت بيث حقيبتها وتجولت في أرجاء الغرفة، بالكاد توقفت بجوار النوافذ للنظر إلى الشارع الذي تصطف الأشجار على جانبيه. كانت خزانة الملابس أكبر من خزانة والدتها، مع منضدة بجانب السرير فوقها أباجورة صغيرة. كانت غرفة رائعة. كان بودّها لو تتمكن جولين من رؤيتها. شعرت بيث برغبة في البكاء، وتمنت لو كانت جولين معها، لتتجول في الغرفة بدورها، وتتفحص الأثاث، وتساعدها في ترتيب ملابسها في الخزانة.

تحدثت السيدة ويتلي في السيارة عن مدى سعادتها بالحصول على طفلة كبرت بالفعل. لماذا لم يتبنّيا جولين؟ فكرت بيث في ذلك، لكنها لم تقل شيئاً. بعدما نظرت إلى السيد ويتلي بفكه المشدود ويديه الشاحبتين الممسكتين بعجلة القيادة، ثم السيدة ويتلي، أيقنت بأنهما لن يفكرا في تبنّي جولين أبداً.

جلست على السرير طاردة هذه الأفكار من ذهنها. كان سريراً

ناعماً رائعاً، برائحة نظيفة ومنعشة. انحنت لخلع حذائها، ثم تمددت على المساحة الواسعة واللينة للسرير، ملقية نظرة استمتاع على الباب المغلق بإحكام، بما يضمن لها الامتلاك الفعلي لهذه الغرفة.

ظلت مستيقظة لساعات طوال تلك الليلة، رافضة النوم. كان هناك عمود إنارة أمام نافذتها المزودة أيضاً بستائر سميكة وغير شفافة، بإمكانها سحبها لتعتيم الغرفة بالكامل. أرتها السيدة ويتلي غرفة نومها في الجانب الآخر من الردهة، قبل أن تتمنى لها ليلة سعيدة. بمساحة مماثلة لغرفة بيث، بالإضافة إلى التلفاز والكراسي وأغطية السرير الزرقاء. قالت: «أعتبرها حقاً مجرد علية مرتبة بعناية».

سمعت بيث صوت سعال السيدة ويتلي البعيد، وهي مستلقية على سريرها، ثم سمعت صوت قدميها العاريتين في الردهة المؤدية إلى الحمام، لكنها لم تُلقِ بالاً لذلك. فبابها مغلق بالمفتاح، لا أحد بإمكانه فتحه وتسليط الأضواء الساطعة على وجهها. السيدة ويتلي وحدها في غرفتها، وبالتالي لن تكون هناك جدالات أو خلافات، فقط صوت الموسيقى وبعض الأصوات المكتومة للتلفاز. كم سيكون رائعاً أن تتواجد جولين معها، لكن هذا سيعني فقدانها لخصوصية غرفة نومها، ولن تتمكن من الاستلقاء وحدها في سريرها الكبير، بذراعين وساقين ممدودتين، مستمتعة بالصمت وشعور الانتعاش الذي توفره الأغطية الوثيرة.

ذهبت إلى المدرسة يوم الاثنين التالي، وقد رافقتها السيدة ويتلي في سيارة أجرة، رغم أنها تبعد بالكاد عن المنزل بكيلومتر واحد. ستتابع دراستها في الصف السابع. كانت مدرسة شبيهة إلى حد كبير

بالمدرسة الثانوية التي لعبت فيها مباريات الشطرنج قبل سنوات. هي تعلم بأنها ترتدي ملابس رثة، لكن لم يُلقِ أحد بالاً لذلك. حدّق فيها بعض التلاميذ للحظات عندما قام الأستاذ بتقديمها لزملائها في الفصل، وهذا كل شيء. أعطوها كتباً وعرّفوها بفصلها. وبعد إلقائها نظرة على الكتب ومتابعتها للدرس، أدركت أن الدروس ستكون سهلة. خلال الفسح بين الحصص الدراسية، وفي خضم الضجيج، كانت تفضل العزلة، وإذا حصل ونظر إليها أحد، فإنها تشعر بالانزعاج. لا شيء بتلك الصعوبة المتوقعة. شعرت بيث بأنها قادرة على مواجهة كل ما قد يحدث في هذه المدرسة الصاخبة والمشمسة.

في وقت الغداء بالكافتيريا، فضلت الجلوس وحدها إلى طاولة مع شطيرة من اللحم وحصتها من الحليب، لكن فتاة أخرى قدمت للجلوس في الجهة المقابلة. لم تتحدّث كلتاهما لفترة. كانت فتاة بلا جمال لافت للنظر، مثل بيث.

تناولت بيث نصف شطيرتها، ثم نظرت إلى وجه الفتاة.

- هل يوجد هنا نادٍ للشطرنج؟

نظرت إليها الفتاة بدهشة.

- ماذا؟

- هل يوجد نادٍ للشطرنج في الإعدادية؟ أريد الانضمام إليه.

- أوه، لا أعتقد بوجود شيء من هذا القبيل. بإمكانك المحاولة لكي تصبحي مشجّعة إحدى الفرق الرياضية.

واصلت بيث تناول شطيرتها.

- يبدو أنك تخصصين كل وقتك للدراسة، قالت السيدة ويتلي. ألا ترفّهين أبداً عن نفسك؟

الواقع أن بيث لم تكن تدرس، بل تقرأ رواية استعارتها من مكتبة الإعدادية. كانت جالسة على الأريكة بالقرب من نافذة غرفتها. طرقت السيدة ويتلي الباب قبل الدخول، مرتدية روباً قطنياً وردياً وخفَّين من الساتان الوردي. ذهبت للجلوس على سرير بيث، وعلى شفتيها ابتسامة باهتة، كما لو كانت تفكر في أمر آخر. بعد أسبوع من العيش معها، لاحظت بيث أنها غالباً ما تكون على هذا المنوال.

- كنت ألعب الشطرنج أحياناً، قالت بيث.

رمشت السيدة ويتلي بعينيها.

- الشطرنج؟

- أحبه كثيراً.

هزت السيدة ويتلي رأسها كما لو كانت تحاول إزالة شيء ما علق بشعرها.

- أوه، الشطرنج! اللعبة الملكية. كم هذا رائع!

- هل تلعبينها؟ سألتها بيث.

- رباه، طبعاً لا! قالت وضحكت ضحكة تنمّ عن التقليل من شأن نفسها. أنا لا أملك العقل المناسب للعبها. لكن والدي كان يلعبها. كان طبيباً جراحاً، وذا ثقافة عالية. أعتقد أنه كان من أفضل لاعبي الشطرنج في عصره.

- هل يمكنني لعب الشطرنج معه؟

- هذا غير ممكن، لقد توفي منذ سنوات.

- هل يوجد أي شخص آخر يمكنني اللعب معه؟

- الشطرنج؟ ليست لديّ أدنى فكرة. تفحصتها السيدة ويتلي عن كثب. أليست لعبة مخصصة للذكور؟

- تلعبها الفتيات أيضاً.

- كم هذا رائع!

ولكن، بدا من الواضح أن عقل السيدة ويتلي موجود في مكان بعيد جداً.

أمضت السيدة ويتلي يومين في تنظيف المنزل استعداداً لقدوم الآنسة فارلي، وأرسلت بيث لتصفيف شعرها ثلاث مرات صباح يوم زيارتها.

عندما فُتح الباب، كانت الآنسة فارلي برفقة رجل طويل يرتدي سترة لاعبي كرة القدم. صُدمت بيث لرؤيته: إنه فيرغوسن. بدا محرجاً قليلاً: «أهلاً هارمون، لقد قمت بدعوة نفسي للحضور». دخل غرفة المعيشة وظل واقفاً، يداه في جيبَيه.

حملت الآنسة فارلي معها عدة استمارات وقائمة أسئلة. سألت عن نظام بيث الغذائي، وتعليمها، وخططها لفصل الصيف، وفي معظم الأحيان كانت السيدة ويتلي هي من تجيب.

قالت: «لو تعلمين، كم هي رائعة، لقد تكيفت بيث مع بيئتها المدرسية، وأساتذتها معجبون جداً باجتهادها...».

لم تتذكّر بيث أية محادثات بين السيدة ويتلي وأساتذتها، لكنها لم تقل شيئاً.

قالت الآنسة فارلي: «كنت أرغب في مقابلة السيد ويتلي أيضاً. هل سيعود قريباً إلى المنزل؟».

ابتسمت السيدة ويتلي.

- اتصل بنا ألستون هذا الصباح ليقول إنه متأسف جداً لعدم

قدرته على الحضور. إنه يعمل بجد. نظرت إلى بيث محافظة على ابتسامتها. إن ألستون يعتني بنا جيداً.

- هل تتاح له الفرصة لقضاء بعض الوقت مع بيث؟

- بالتأكيد! إنه بمثابة أب رائع لها.

نظرت بيث إلى يديها مصدومة. جولين نفسها لن تتمكن من إتقان الكذب بهذا الشكل، حتى أنها بدأت تصدق صورة ألستون ويتلي التي رسمتها زوجته، قبل أن تتذكّر الصورة الحقيقية، لرجل بارد وصموت، لا يكلف نفسه عناء إجراء مكالمات هاتفية للاطمئنان عليهما.

لم ينطق فيرغوسن بكلمة واحدة طوال فترة الزيارة. وعندما حان وقت المغادرة مد يده إلى بيث التي تسارعت دقات قلبها: «سعيد جداً برؤيتك يا هارمون». أمسكت بيده، متمنية إيجاد طريقة ما لإبقائه بالقرب منها.

بعد بضعة أيام، رافقتها السيدة ويتلي إلى وسط المدينة لكي تشتري لها بعض الملابس. عندما اقتربت الحافلة من المحطة، صعدت بيث من دون تردد، رغم أنها المرة الأولى التي تركب فيها الحافلة. كان يوم سبت خريفياً جميلاً، وبيث غير مرتاحة بتنورة ميثوين الصوفية، فكانت تتوق للحصول على تنورة جديدة. تسلّت بعدّ المربعات السكنية إلى وسط المدينة.

نزلتا عند المربع السابع عشر. أمسكت السيدة ويتلي بيدها، وإن لم يكن لذلك أي داعٍ، وقادتها عبر رصيف مزدحم، ثم دفعتها إلى الباب الدوار لمتجر بين سنايدر الضخم. أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة صباحاً. كانت ممرات المتجر ممتلئة بالنساء اللائي

يحملن حقائب كبيرة داكنة وأكياساً بلاستيكية. تنقلت السيدة ويتلي في الزحام بخفة من تمتلك الخبرة، فيما لحقت بها بيث.

قبل إلقاء نظرة على أي قطعة ملابس، قادتها السيدة ويتلي إلى الدرج الواسع المؤدي إلى الطابق السفلي وقضت عشرين دقيقة في جناح يحمل لوحة إعلانية: «تخفيضات في أسعار المناشف». استخرجت ستة مناديل زرقاء من الأكوام متعددة الألوان، متجاهلة الألوان الأخرى، فيما بيث تنتظرها. وضعت السيدة ويتلي مجموعتها على المنضدة، شبه ذاهلة، ثم قررت فجأة أنها ليست بحاجة إلى المزيد من المناشف. انتقلتا إلى جناح آخر مخصص لبيع «الكتب المخفضة السعر». قرأت السيدة ويتلي بصوت عال عناوين كتب ثمنها تسعة وثلاثون سنتاً، ولم تشتر أياً منها.

انتقلتا أخيراً إلى الطابق الأرضي، وتوقفتا في جناح العطور، حيث قامت السيدة ويتلي برش معصمها بعطر **سوار دو باري** وعطر **الزمرد**. ثم قالت: «حسناً يا عزيزتي، لننتقل الآن إلى الطابق الرابع». وأردفت مبتسمة: «ملابس الفتيات».

استدارت بيث بين الطابقين الثاني والثالث، ورأت لوحة إعلانية: **الكتب والألعاب**، وبجوارها خلف واجهة زجاجية، رأت ثلاث رقع شطرنج. «شطرنج!» ضغطت بيدها على كمّ السيدة ويتلي.

- ماذا هناك؟ قالت السيدة ويتلي بانزعاج.
- توجد رقع شطرنج للبيع. هل بإمكاننا العودة إلى هناك؟
- لا ترفعي صوتك بهذا الشكل، سنعود إليها فيما بعد.

لكنهما لم تعودا بعد ذلك. أمضت السيدة ويتلي بقية الصباح في استعراض المعاطف مخفّضة الثمن على مقاس بيث، متفحصة

حوَاشيها، وسحبها إلى جوار النافذة لكي تتمكن من رؤية القماش «في ضوء النهار الطبيعي»، لينتهي بها المطاف إلى شراء معطف واحد، قبل أن تصر على العودة بالمصعد.

- ألن نرى رقع الشطرنج؟ سألت بيث.

لم تجبها السيدة ويتلي. ظلت بيث واقفة وهي تتصبّب عرقاً. لم يعجبها المعطف الذي حملته في علبة كرتون. كان باللون الأزرق ذاته لسترة السيدة ويتلي، ولم يكن يناسبها البتة. لم تكن بيث تعرف الكثير عن عالم الملابس، لكنها أدركت أن هذا المتجر لا يبيع سوى الخردة.

توقف المصعد في الطابق الثالث، فأرادت بيث التحدث عن رقع الشطرنج مرة أخرى، لكن الباب انغلق، فنزلتا إلى الطابق الأرضي. أمسكت السيدة ويتلي بيدها وقادتها عبر الشارع إلى محطة الحافلات، مشتكية من صعوبة العثور على أي شيء «هذه الأيام». «أوه، رغم كل شيء»، قالت بتفلسف عندما توقفت الحافلة بالقرب منهما، «لقد حصلنا على ما نريد».

في الأسبوع التالي، سمعت بيث بضع فتيات يدردشن خلفها، قبل وصول أستاذ مادة اللغة الإنجليزية:

- هل اشترت حذاءها من متجر بين سنايدر أم ماذا؟ قالت إحداهن.

- أفضّل الموت على الذهاب إلى هناك. أجابتها أخرى ضاحكة.

كانت بيث تذهب إلى الإعدادية كل صباح سيراً على الأقدام، عبر الشوارع المظللة، من البيوت الصامتة إلى المروج المحاطة

بالأشجار، وهو ما يفعله طلاب آخرون مثلها، فتعرفت على بعضهم، لكنها ظلت وحيدة منعزلة. التحقت بالدورة الخريفية متأخرة بخمسة عشر يوماً، ثم بدأت الاختبارات الفصلية بعد أربعة أسابيع. لم يكن لديها صباح الثلاثاء أي اختبارات لاجتيازها، ما يعني مبدئياً الذهاب إلى الفصل، ولكن، بدلاً من ذلك، استقلت الحافلة إلى وسط المدينة حاملة دفترها وأربعين سنتاً قامت بادخارها من مصروف خمسة وعشرين سنتاً في الأسبوع. تأكدت مما بحوزتها قبل ركوب الحافلة.

ما زالت رقع الشطرنج في مكانها، لكنها اكتشفت بعد اقترابها منها أنها ليست ذات قيمة. دهشت عندما رفعت الملكة البيضاء ووجدتها بلاستيكية جوفاء. أعادتها إلى مكانها، فاقتربت البائعة وقالت:

- أيمكنني مساعدتك؟

- هل عندكم **افتتاحيات الشطرنج الحديثة**؟

- لدينا رقع شطرنج وضامة ولعبة الطاولة وألعاب الأطفال المختلفة.

- إنه كتاب شطرنج.

- جناح الكتب في الزاوية الأخرى.

ذهبت بيث لتفقّد الرفوف. لم تجد شيئاً عن الشطرنج، فعادت إلى البائعة، واضطرت للانتظار لبعض الوقت قبل أن تلفت انتباهها.

- أحاول العثور على كتاب عن الشطرنج.

قالت المرأة التي أدارت ظهرها لها مرة أخرى:

- هذا الجناح لا يهتم بالكتب.

- هل توجد مكتبة بالقرب من هنا؟ سألتها بيث بسرعة.

- جرّبي الذهاب إلى مكتبة موريس.

اتكأت على كومة من الصناديق الكرتونية.

- أين؟

لم تجبها المرأة.

- أين توجد مكتبة موريس هذه يا سيدتي؟ كررت بيث بصوت أعلى.

استدارت المرأة ونظرت إليها بغضب.

- في الشارع الأعلى.

- أين يقع الشارع الأعلى؟

خيل إليها أن المرأة ستصرخ في وجهها، لكن أساريرها لانت بعض الشيء.

- على بعد مبنَيين، أعلى الشارع الرئيسي.

ذهبت بيث إلى المصعد.

كانت مكتبة موريس في ناصية الشارع، بالقرب من الصيدلية. دفعت الباب لتجد نفسها في قاعة كبيرة مليئة بالكتب، أكثر مما رأته طوال حياتها. خلف منضدة، على مقعد، جلس رجل أصلع يقرأ وهو يدخن سيجارة. اتجهت بيث نحوه.

- هل أجد عندك **افتتاحيات الشطرنج الحديثة**؟

رفع الرجل عينيه ونظر إليها من خلف إطار نظارته.

قال بودٍّ:

- ليس كتاباً شائعاً.

- عندك؟

- أظن ذلك.

ترك مقعده وسار إلى الجزء الخلفي من المحل ثم عاد بعد دقيقة ومعه كتاب في يده. إنه الكتاب السميك نفسه وبالغلاف الأحمر نفسه. حبست أنفاسها عندما رأته.

قال الرجل بالنبرة نفسها وهو يسلمها الكتاب:

- ها هو ذا.

أخذته وتصفحته وصولاً إلى فصل الدفاع الصقلي. كم هي رائعة فكرة مراجعة أسماء التفريعات، ليفينفيش، تفريع التنين، ناجدورف. كانت الأسماء في ذهنها مثل التعاويذ أو تلاوات القديسين.

بعد ذلك بقليل، سمعت الرجل يتحدث إليها:

- هل الشطرنج مهم جداً بالنسبة إليك؟

- أجل.

ابتسم.

- اعتقدت أن هذا الكتاب مخصص للأساتذة الكبار[1].

سألته بتردد:

- ماذا تقصد بالأستاذ الكبير؟

أجابها الرجل:

- لاعب عبقري مثل كابابلانكا[2]، وإن كان هذا منذ زمن بعيد. يوجد آخرون حالياً، لكنني لا أعرف أسماءهم.

---

(1) أستاذ كبير: لقب يمنحه الاتحاد الدولي للشطرنج لمن يستوفي مجموعة من الشروط، ويظل بحوزته مدى الحياة، إلا في بعض الحالات المعينة. (المترجم)

(2) خوزيه كابابلانكا (1888-1942): لاعب شطرنج كوبي عاش في الولايات المتحدة الأميركية، من أقوى لاعبي شطرنج عصره، اشتهر بقدرته على التحكم في تموضع بيادقه خاصة في المراحل النهائية من المباراة. (المترجم)

لم يسبق لبيث أن رأت شخصاً مثل هذا من قبل. بدا مرتاحاً تماماً ويتحدث معها وكأنها شخص بالغ. ربما يشبهه فيرغوسن، لكن هذا الأخير كان رسمياً للغاية في بعض الأحيان.

- كم سعر هذا الكتاب؟ سألته.

- إنه باهظ الثمن. خمسة دولارات وخمسة وتسعون سنتاً.

هذا ما خشيته بالفعل، فبعد رحلتَي الحافلة لم يتبقَّ بحوزتها سوى عشرة سنتات.

أعادت الكتاب إليه.

- شكراً لك، لا أملك مبلغاً كافياً.

- يؤسفني ذلك. ضعيه هناك.

وضعته جانباً.

- هل لديك أي كتب شطرنج أخرى؟

- بالتأكيد. هناك في قسم الألعاب والرياضة. يمكنك إلقاء نظرة.

عثرت على رف كامل في الجزء الخلفي من المحل، عناوين مثل **بول مورفي والعصر الذهبي للشطرنج**، **الفخاخ السديدة للعبة الشطرنج**، **كيفية تحسين مستوى لاعب الشطرنج**، **استراتيجيات الشطرنج**، سحبت كتاباً عنوانه **الهجمات والهجمات المضادة في الشطرنج** وبدأت في قراءة تفاصيل المباريات وتصورها من دون الحاجة إلى تفحص المخططات. ظلت بيث ثابتة في مكانها لفترة طويلة، حيث دخل زبائن قليلون وغادروا المحل دون أن يزعجها أحد. سارت المباريات أمام عينيها، وأذهلتها بعض النقلات الباهرة - التضحية بالملكات، حصارات كش مات. ستون مباراة، لكل منها عنوان في أعلى الصفحة: «ف. سميسلوف ضد إ. روداكافسكي:

موسكو 1945» أو «أ. روبنشتاين ضد أ. دوراس: فيينا 1908».
في تلك المباراة، تمكّن صاحب القطع البيضاء من ترقية بيدق إلى ملكة في النقلة السادسة والثلاثين، مهدِّداً الملك المكشوف.

ألقت نظرة على الغلاف. الكتاب أصغر من **افتتاحيات الشطرنج الحديثة**، ويحمل ملصقاً «2,95 دولاراً». راجعته بيث بتأن. أشارت ساعة المكتبة إلى العاشرة والنصف. أمامها ساعة واحدة قبل الذهاب إلى امتحان مادة التاريخ. لم يهتم بها البائع المستغرق في مطالعته، فركزت على الصفحات أمامها، وبحلول الحادية عشرة والنصف، كانت قد حفظت اثنتي عشرة مباراة.

عند ركوبها الحافلة التي تقلّها إلى الإعدادية، أعادت لعب هذه المباريات ذهنياً. خلف بعض النقلات الشهيرة، مثل التضحية بالملكة، كانت تلمح من خلال تقدم بسيط لبيدق، العديد من التفاصيل الدقيقة، إلى درجة شعورها برعشة تعتري مؤخر عنقها.

تأخرت عن الامتحان بخمس دقائق، لكن أحداً لم يُلقِ بالاً لذلك. وعلى كل حال، فقد تمكنت من إنهاء الامتحان قبل الآخرين، وخلال العشرين دقيقة المتبقية لعبت ذهنياً مباراة «ب. كيريس ضد أ. تارنوفسكي: هلسنكي 1952» التي بدأت بافتتاحية روي لوبيز[1]، وتمكنت بيث من متابعة الكيفية التي خرج بها الفيل الأبيض لمهاجمة بيدق الملك الأسود بطريقة غير مباشرة. في النقلة الخامسة والثلاثين تقدمت القلعة البيضاء لمهاجمة الحصان في الصف السابع، بقسوة كادت معها بيث تبكي وهي جالسة في مقعدها.

---

(1) افتتاحية روي لوبيز: إحدى أشهر افتتاحيات الشطرنج التي يستخدمها الهواة والمحترفون على السواء، وسميت باسم أسقف إسباني ذكرها في كتاب له نشر خلال القرن السادس عشر. (المترجم)

كان لدى إعدادية فيرفيلد عدة نوادٍ تلتقي لمدة ساعة بعد انتهاء الحصص الدراسية، وأحياناً يوم الجمعة. هناك نادي **آبل باي وساب دبس وغيرلز أرّاوند تاون**، وهو ما يشبه النوادي الجامعية، على المنتسب إليها أن يؤدي اليمين. كانت فتيات آبل باي في السنتين الأولى أو الثانية؛ ترتدي معظمهن سترات من الكشمير ذات الألوان الزاهية وأحذية أكسفورد مع جوارب ملوّنة وتعيش قلة منهن في الريف ويمتلكن الخيول. لا يوجهن اهتمامهن لأحد، ويبتسمن دائماً لأشخاص آخرين. يمتلكن سترات صفراء زاهية، أو زرقاء داكنة، أو خضراء فاتحة، وجوارب تصل إلى أسفل الركبة مباشرة مصنوعة من الصوف المستورد من إنجلترا.

في بعض الأحيان، خلال الفسحات بين الحصص الدراسية، تنظر بيث إلى نفسها في المرآة في حمام الفتيات، بشعرها البني الأملس، وكتفَيها الضيقتَين، ووجهها المستدير، وعينيها البنيتين الباهتتين، والنمش على أرنبة أنفها، فتشعر بطعم الخل القديم في فمها. تضع فتيات النوادي أحمر الشفاه والمكياج الذي لم تضعه بيث قط، كما تتدلى خصلات شعرها في خط مستقيم فوق جبهتها. لم يخطر ببالها أو ببال أي شخص آخر أن تنضم إلى هذا النادي.

- سنبدأ هذا الأسبوع في دراسة نظرية الحدّين، قالت السيدة ماك آرثر. من منكم يعرف ما هي مبرهنة الحدين؟

رفعت بيث الجالسة في الصف الخلفي يدها، وهي أول مرة تفعل فيها ذلك.

- نعم؟ قالت الأستاذة.

وقفت بيث وقد اعتراها شعور بالحرج.

- الحدان تعبير رياضي يتكون من طرفين. كانت قد تعلمت ذلك في ميثوين قبل سنة. X زائد Y حدان.

- جيد جداً، قالت السيدة ماك آرثر.

اسم الفتاة الجالسة أمام بيث هو مارغريت؛ شعرها أشقر براق وترتدي سترة من الكشمير بلون الخزامى الثمين. عندما جلست بيث، استدارت الشقراء قليلاً نحوها.

- دماغ! همست مارغريت. دماغ لعين!

ظلت بيث وحيدة في ممرات الإعدادية، وصارت شبه متأكدة من أن الوضع سيبقى على هذا المنوال. تمشي معظم الفتيات في جماعات صغيرة قد تتكون من فتاتين أو ثلاث، فيما تبقى هي وحيدة في عزلتها.

أثناء مغادرتها للمكتبة بعد ظهر أحد الأيام، أفزعتها ضحكات قادمة من بعيد. ألقت نظرة على الجانب الآخر من الردهة، ثم رأت في ضوء الشمس الغاربة ظهر فتاة سوداء طويلة القامة، ومعها فتاتان أقصر منها بالقرب من موزع مياه الشرب، تتابعان ضحكاتها. لم تتمكن بيث من تبيُّن ملامحها، مع ما خلفته الإضاءة الخافتة... وخفق قلبها مع الحركة المألوفة للفتاة، فاقتربت بخطوات سريعة.

لكنها ليست جولين. توقفت ثم عادت أدراجها. ابتعدت الفتيات الثلاث وخرجن من الباب الأمامي وهنّ يحدثن أصواتاً صاخبة. حدقت بيث باتجاههن لفترة طويلة.

- هل يمكنكِ أن تحضري لي بعض السجائر من عند برادلي؟ قالت السيدة ويتلي. أعتقد أنني مصابة بالزكام.

- حاضر، سيدتي.

كان ذلك بعد ظهر يوم السبت. وضعت بيث رواية في حجرها، لكنها لم تقرأ منها شيئاً، إذ كانت تسترجع ذهنياً مباراة بين بول مورفي[1] و«أستاذ كبير» آخر. وجدت في نقلة مورفي الثامنة عشرة، الحصان إلى مربع الفيل الخامس، شيئاً مميزاً ومختلفاً. كان هجوماً جيداً، ولكن بيث ارتأت أنه كان بإمكان مورفي تشديد الهجوم باستخدام قلعة الملكة.

- سوف أدون رسالة تحملينها معك، لأنك صغيرة على التدخين.

- حاضر، سيدتي.

- ثلاث علب تشسترفيلد.

- حاضر، سيدتي.

سبق أن ذهبتْ إلى محل برادلي مع السيدة ويتلي مرة واحدة فقط. أعطتها ورقة كتبتها بقلم رصاص، ودولاراً وعشرين سنتاً. سلمت بيث الورقة إلى السيد برادلي الواقف بالقرب من صندوق الدفع، وخلفها رف من المجلات. حملت السجائر في يدها، وفكرت في الاقتراب لقراءة محتواها. كان السيناتور كينيدي على غلاف مجلتَي **تايم ونيوزويك**: كان مرشحاً للرئاسة، ولكنه سيُهزم في أغلب الأحوال، ما دام كاثوليكياً. وكان هناك صف من المجلات النسائية بأغلفة تظهر نساء يشبهن مارغريت وسو آن وبقية المنتسبات إلى نادي آبل باي، بشعر لامع وشفاه حمراء ممتلئة.

---

(1) بول مورفي (1837-1884): لاعب شطرنج أميركي، يعتبر أحد أفضل أساتذة اللعبة في القرن التاسع عشر. (المترجم)

كانت بيث على وشك المغادرة عندما لفت انتباهها شيء ما في أسفل اليمين. بين المجلات المصورة ومجلات الأشغال المنزلية، كانت مجلة تظهر قطعة شطرنج على غلافها. اقتربت وأمسكت بها بين يديها. عنوانها **مجلة الشطرنج**. فتحتها، فوجدتها ممتلئة بالمباريات وصور أشخاص يلعبون الشطرنج. كان ثمة مقال بعنوان «نقاش حول مناورة الملك» ومقال آخر بعنوان «نقلات مورفي الشهيرة». للتو راجعت لعب إحدى مباريات مورفي! تسارعت دقات قلبها. قلبت الصفحات. كان هناك مقال عن الشطرنج في روسيا، وكانت كلمة «بطولة» تتردّد باستمرار. تم تخصيص قسم كامل لـ«حياة البطولات». لم يكن لدى بيث أي فكرة عن شيء اسمه بطولة الشطرنج. كانت تعتقد أن لعب الشطرنج مجرد شيء يقوم به الناس، لا يختلف عن تطريز السيدة ويتلي لمناديلها أو جمعها لقطع البازل.

- يا فتاة، عليك شراء هذه المجلة أو إعادتها إلى مكانها، قال السيد برادلي.

استدارت متفاجئة.

- ألا يمكنني فقط...؟

- اقرئي اللافتة.

أمامها كانت هناك لافتة يدوية الصنع: **للقراءة، يجب عليك أن تدفع**. بحوزة بيث خمسة عشر سنتاً لا أكثر، وقبل بضعة أيام، أخبرتها السيدة ويتلي أنه سيتعين عليها تمضية بعض الوقت من دون مصروف للجيب؛ فهما مطالبتان ببعض التقشف، وما زال السيد ويتلي مشغولاً في الغرب. وضعت المجلة في مكانها وغادرت المحل.

توقفت في الطريق، وفكرت للحظة ثم عادت أدراجها. وجدت

على المنضدة، بجانب مرفق السيد برادلي، كومة من الصحف. أعطته عشرة سنتات وأخذت صحيفة واحدة. كان منهمكاً في الحديث مع سيدة تحمل وصفة طبية. ذهبت بيت إلى رف المجلات، والصحيفة تحت ذراعها، وظلت واقفة منتظرة.

بعد بضع دقائق قال السيد برادلي: «الدينا ثلاثة أحجام». سمعته يذهب إلى الجزء الخلفي من المحل، والزبونة معه. فأخذت **مجلة الشطرنج** ووضعتها داخل الصحيفة المطوية.

في ضوء الشمس بالخارج، احتفظت بالصحيفة تحت ذراعها وصولاً إلى الشارع الجانبي، حيث توقفت، وأخرجت المجلة ودستها في حزام تنورتها، ثم غطتها بسترتها الزرقاء الصوفية التي اشترتها من بين سنايدر، ورمت الصحيفة في أقرب سلة مهملات.

مع اقترابها من البيت، والمجلة في مخبئها، مطوية على اثنين وملتصقة ببطنها المسطح، فكرت من جديد في القلعة التي لم يقم مورفي باستخدامها. تقول المجلة بأن مورفي قد يكون «ألمع لاعب في تاريخ الشطرنج». ربما كان بإمكان القلعة التحرك إلى مربع الفيل السابع، ولن يفكر صاحب القطع السوداء في أخذها بواسطة الحصان لأن. . . توقفت بيث وسط الرصيف. كلب ينبح في مكان ما، وفي الجانب الآخر من الشارع، على العشب الذي جرى جزه قبل مدة قصيرة، طفلان صغيران يصرخان وهما يتسابقان. بوصول البيدق الثاني إلى مربع حصان الملك الخامس، يمكن للقلعة الأخرى تغيير مكانها، وإذا تمكن صاحب القطع السوداء من أخذ البيدق، فهذا سيجعل الفيل مكشوفاً، وإذا لم. . .

أغمضت عينيها. إذا لم يأخذ البيدق، فبإمكان مورفي الوصول إلى وضعية كش مات بعد نقلتين، بادئاً بالتضحية بفيله أمام الملك.

إذا تم أخذه، فسيتقدم البيدق الأبيض من جديد، وينتقل الفيل إلى الجانب الآخر، ولن تتمكن القطع السوداء من فعل شيء.

اتضح الأمر.

أجهش أحد الطفلين بالبكاء.

لن تتمكن القطع السوداء من فعل شيء. قد تنتهي المباراة في النقلة التاسعة والعشرين. لكن الكتاب يتحدث عن ست وثلاثين نقلة لمورفي للفوز. لم يكن قد رأى نقلة القلعة.

لكن رأتها هي...

تمددت أشعة الشمس في سماء زرقاء فارغة. واصل الكلب نباحه. ولم يتوقف بكاء الطفل. عادت بيث إلى البيت بتثاقل، معيدة لعب المباراة في ذهنها. شعرت بأن روحها مشعة مثل قطعة ألماس.

«كان من المفروض أن يعود ألستون منذ أسابيع»، قالت السيدة ويتلي، الجالسة على فراشها، ومجلة كلمات متقاطعة بجانبها، وتلفاز صغير خُفض صوته على المنضدة. قدمت لها بيث فنجان قهوة. كانت ترتدي روبها الوردي وتضع المساحيق على وجهها.

- هل سيعود قريباً؟ سألتها بيث.

لم تكن ترغب صراحة في تجاذب أطراف الحديث، بل العودة بسرعة إلى **مجلة الشطرنج**.

- هو غير قادر على ذلك، نظراً إلى ظروف قاهرة.

هزت بيث رأسها.

- أتمنى العثور على عمل بعد دوام المدرسة، قالت.

حدجتها السيدة ويتلي بنظرة.

- عمل؟

- يمكنني العمل في متجر، أو غسل الصحون في مكان ما.

حدّقت فيها السيدة ويتلي طويلاً قبل أن تجيب.

- وأنت في الثالثة عشرة من عمرك؟ قالت أخيراً. تمخطت في منديل ورقي من دون إصدار صوت، ثم طوته. كنت أظن أنني وفرت لك كل شيء.

- أرغب في كسب القليل من المال.

- لشراء الملابس حسب ما أعتقد.

ظلت بيث صامتة.

- في سنك هذه، لا تشتغل سوى الفتيات الملونات.

أجبرت الطريقة التي نطقت بها الكلمة الأخيرة بيث على عدم إضافة كلمة أخرى بشأن هذا الموضوع.

يكلف الانخراط في اتحاد الولايات المتحدة للشطرنج ستة دولارات، والاشتراك في المجلة أربعة دولارات إضافية. وكان هنالك شيء آخر لافت للانتباه في قسم «حياة البطولات»: لائحة مرقمة لولايات من بينها أوهايو وإلينوي وتينيسي وكنتاكي، جاءت تحتها مقالة صغيرة: «بطولة ولاية كنتاكي، عطلة عيد الشكر، قاعة المحاضرات بثانوية هنري كلاي في لكسينغتون، الجمعة والسبت والأحد». وتحتها أيضاً: «قيمة الجوائز 185 دولاراً. التسجيل: 5 دولارات. فقط لأعضاء اتحاد لعبة الشطرنج بالولايات المتحدة».

تحتاج إلى ستة دولارات للانخراط وخمسة دولارات للمشاركة في البطولة. بركوبها الحافلة للذهاب إلى الشارع الكبير فإنها تمر

بالقرب من ثانوية هنري كلاي، على بعد أحد عشر مبنى من جانويل. وبقيت خمسة أسابيع قبل حلول عيد الشكر[1].

- هل بإمكان أحدكم استظهار القاعدة؟ سألت السيدة ماك آرثر.

رفعت بيث يدها.

- بيث؟

وقفت.

- مجموع مربعَي طولَي ضلعَي الزاوية القائمة مساوٍ لمربع طول الوتر.

عادت للجلوس على مقعدها.

ضحكت مارغريت بسخرية، ثم مالت نحو غوردون، الجالس بالقرب منها، والذي يمسك بيدها من حين إلى آخر.

- إنها الدماغ! همست بصوتٍ ناعمٍ يقطر احتقاراً. ضحك غوردون. أما بيث فقد نظرت إلى الأوراق المصفرة مع دخول فصل الخريف.

- كيف للأموال أن تتبدد بهذا الشكل! قالت السيدة ويتلي بتعجب. لم أشتر شيئاً ذا قيمة خلال هذا الشهر، ورغم ذلك توشك مدخراتي على النفاد. تهالكت على الأريكة وحدّقت في السقف،

---

(1) Thanksgiving: مناسبة سنوية في الولايات المتحدة الأميركية في الخميس الرابع من شهر نوفمبر، لها جذورها الدينية والثقافية، لشكر النعم والشكر على حصاد العام المشرف على نهايته. (المترجم)

بعينين جاحظتين، كما لو كانت بانتظار ساطور المقصلة. لقد دفعتُ فواتير الكهرباء والهاتف، واكتفيت بالطعام الضروري من دون كماليات. حرمت نفسي من إضافة الكريمة إلى قهوة الصباح، ولم أشتر شيئاً لنفسي، لم أذهب إلى السينما أو إلى موسم تخفيضات الكنيسة الميثودية[1]، ورغم ذلك لم تعد بحوزتي سوى سبعة دولارات فقط، وأنا التي توقعت الاحتفاظ بعشرين على الأقل. وضعت الأوراق المالية على المنضدة المجاورة للسرير، بعدما أخرجتها من حافظة نقودها. هذا ما بقي بحوزتنا إلى نهاية شهر أكتوبر. بالكاد سيكفينا هذا لشراء رقاب الدجاج وحساء الشعير.

- ألم تقم دار ميثوين بإرسال شيك؟ سألتها بيث.

أبعدت السيدة ويتلي ناظريها عن السقف وحدّقت فيها بثبات.

- للسنة الأولى، قالت بنبرة جافة. كما لو أن الاعتناء بك لم يكن مكلفاً.

تعلم بيث بأن ما قالته ليس صحيحاً. قيمة الشيك سبعون دولاراً، ولم تنفق عليها السيدة ويتلي مثل هذا المبلغ.

- نحن بحاجة إلى عشرين دولاراً تمكننا من الصمود حتى مطلع الشهر القادم. تنقصني ثلاثة عشر دولاراً. رفعت عينيها إلى السقف من جديد، ثم التفتت إلى بيث. يجب عليّ مراجعة حساباتي.

- قد يكون هذا تضخماً مالياً، قالت بيث بشيء من الصدق. لم تأخذ سوى ستة دولارات للعضوية في الاتحاد.

---

(1) الكنيسة الميثودية: طائفة مسيحية بروتستانتية ظهرت في إنجلترا خلال القرن الثامن عشر، ثم انتقلت بواسطة الأنشطة التبشيرية إلى باقي المستعمرات البريطانية وإلى الولايات المتحدة الأميركية. (المترجم)

- ربما، قالت السيدة ويتلي بلهجة أكثر رقة.

تكمن المشكلة في الدولارات الخمسة المطلوبة للتسجيل. في اليوم التالي لحديث السيدة ويتلي عن الوضع المالي، أخذت بيث ورقة من دفتر واجباتها، وكتبت رسالة موجهة إلى السيد شايبل، حارس دار ميثوين للأيتام، ماونت سترلينغ، كنتاكي، ذكرت فيها:

السيد شايبل العزيز:

هناك بطولة للشطرنج جائزتها الأولى مئة دولار وجائزتها الثانية خمسون دولاراً، وهناك جوائز أخرى. أحتاج إلى خمسة دولارات للمشاركة، وأنا لا أملك هذا المبلغ.

إذا بعثت لي المبلغ فسوف أعيد لك عشرة دولارات إن فزت بجائزة، أياً كانت.

مع خالص مودتي،
إليزابيث هارمون

صباح اليوم التالي، أخذت ظرفاً وطابعاً بريدياً من المكتب. لم تكن السيدة ويتلي قد استيقظت بعد. وضعت الرسالة في صندوق البريد وهي في طريقها إلى المدرسة.

في شهر نوفمبر، أخذت دولاراً إضافياً من محفظة نقود السيدة ويتلي. مضى أسبوع على كتابتها الرسالة، ولم تتوصل بشيء. في هذه المرة، اشترت بجزء من المال العدد الأخير من **مجلة الشطرنج**، فوجدت فيها عدة مباريات بإمكانها تحليلها وتطويرها، من بينها مباراة لأستاذ كبير، وإن كان صغيراً في السن، يدعى بيني واتس، وهو بطل الولايات المتحدة الأميركية.

بدا أن السيدة ويتلي تشفى من زكام لتصاب بزكام آخر. «أنا ضعيفة أمام الفيروس»، قالت. سلمت بيث وصفة طبية للذهاب عند برادلي، مع عشرة سنتات لشراء كوكا كولا.

حدجها السيد برادلي بنظرات غريبة، ولكنه لم يقل شيئاً. أعطته الوصفة الطبية فذهب إلى الجزء الخلفي من المحل. تحاشت رف المجلات بحرص. ففي الشهر الماضي، كانت نسخة **مجلة الشطرنج** التي أخذتها هي الوحيدة المتبقية، وربما انتبه للأمر فور اختفائها.

عاد السيد برادلي حاملاً قنينة بلاستيكية مع ملصق كُتب على الآلة الكاتبة، وضعه على المنضدة وأحضر كيساً ورقياً أبيض اللون. ظلت بيث محدقة في القنينة الممتلئة بالحبات المستطيلة بلونها الأخضر الفاتح.

- سيكون هذا علاجي، لكي أجد السكينة التي أبحث عنها، قالت السيدة ويتلي. لقد قال ماك أندروز إنني بحاجة إلى السكينة.

- من هو ماك أندروز؟ سألتها بيث.

- الدكتور ماك أندروز، قالت السيدة ويتلي وهي تفتح غطاء القنينة، طبيبي. أخرجت حبتين. من فضلك يا عزيزتي، أريد كوباً من الماء.

- حاضر، سيدتي.

ذهبت لإحضار كوب الماء من الحمام، فيما أطلقت السيدة ويتلي زفرة وهي تقول:

- لماذا لا تضم هذه القناني سوى نصف الكمية دوماً؟

في عدد شهر نوفمبر من المجلة، كانت هناك اثنتان وعشرون

مباراة من بطولة بالدعوة، نظمت في موسكو. حمل المشاركون أسماء من قبيل بوتفينيك وبتروسيان ولاييف، بما يشبه أسماء أبطال الحكايات الخيالية. تظهر صورة شخصين مركزين أمام الرقعة، بشعر أسود وشفاه مزمومة. يرتدي كلاهما بدلة سوداء، وخلفهما، رغم ضبابية الصورة، جمهور ضخم.

في المرحلة نصف النهائية، خلال مباراة جمعت بتروسيان ولاعباً يدعى بنكوفيتش، لاحظت بيث قيام بتروسيان بخيار سيّئ. هجوم بالبيادق ما كان عليه البدء به. كان هناك تعليق لأستاذ كبير أميركي، يؤيد فيه هجوم البيادق، لكن بيث فكرت فيما هو أبعد. لماذا أخطأ بتروسيان بهذا الشكل؟ لماذا لم ينتبه الأستاذ الكبير الأميركي لهذا الإخفاق؟ أليس من المفروض أن يدرسا المباراة بتأنٍّ، وقد دامت خمس ساعات كاملة بحسب المجلة؟

وضعت مارغريت قفل خزانتها من دون إغلاقه. كانتا في حمامين متقاربين، وقد رأت بيث بعينيها النهدين الكبيرين للفتاة الأخرى. كان صدرها هي مسطحاً مثل صدر صبي، وبالكاد نبت لها بعض الزغب. تجاهلتها مارغريت، ونظفت جسدها بالصابون وهي تهمهم. لفَّت بيث جسدها بمنشفة وغادرت، ثم دخلت إلى غرف تغيير الملابس من دون تجفيف نفسها. لم يكن هنالك أحد.

مسحت يديها بسرعة وسحبت قفل مارغريت بهدوء، محاذرة إصدار منشفتها لأي صوت. سالت قطرات الماء من شعرها على يديها، ولكنها لم تُلقِ بالاً لذلك، فقد تسبب الأولاد قبلهم في انتشار بقع البلل في كل مكان. فتحت بيث باب الخزانة ببطء، تجنّباً لإصدار أي صرير. خفق قلبها في صدرها مثل حيوان صغير.

كانت حقيبة بنية من الجلد الأصلي. مسحت يديها للمرة الثانية، ثم أمسكت بها، وأصاخت السمع. واصلت الفتيات صراخهن وضحكاتهن المكتومة، ولكن لا شيء غير ذلك. حرصت على الدخول أولاً، واستخدام المخدع القريب من الباب، كما غادرت بسرعة كبيرة، قبل الأخريات. فتحت الحقيبة.

وجدت بطاقات بريدية بألوان مختلفة، أحمر شفاه جديداً، مشطاً ومنديلاً أنيقاً من القماش. بحثت بيث بيدها اليمنى، أسفل الحقيبة ووجدت بعض الأوراق النقدية، ورقتين من فئة خمسة دولارات. ترددت بيث لبعض الوقت، ثم أخرجتهما، مع الملقط الفضي. وضعت الحقيبة ثم أعادت القفل إلى مكانه.

هي بدورها أغلقت باب خزانتها من دون استخدام القفل، ففتحته ودست الأوراق النقدية والملقط في كتاب الجبر، ثم أغلقت الباب باستخدام القفل، وعادت إلى الحمام للاغتسال والانتظار إلى حين انتهاء الأخريات من حمامهن.

عندما ارتدت بيث ملابسها كانت بقية الفتيات قد غادرن الحمام. لم تفتح مارغريت حقيبتها. أطلقت بيث زفرة من أعماق صدرها، تشبه زفرات السيدة ويتلي. تواصلت خفقات قلبها المتسارعة. أخرجت الملقط من كتاب الجبر ودسّته في فتحة خزانة مارغريت بما يوحي بأنه سقط عَرَضاً من حقيبتها بكل بساطة، وربما أخذ أي كان النقود. طوت الأوراق النقدية ودسّتها في حذائها، ثم أخذت حقيبتها الزرقاء من الرف وفتحتها ودسّت يدها في الجيب الصغير الذي يحتوي على المرآة، وأخرجت حبتين خضراوين ووضعتهما في فمها قبل التوجه إلى حافة المغسلة وابتلاعهما مع كوب من الماء.

في المساء، ضمت وجبة العشاء معكرونة سباغيتي معلبة مع كرات اللحم، وحلوى الجلو للتحلية. كانت بيث تغسل الأطباق والسيدة ويتلي ذاهبة إلى غرفة المعيشة لإعلاء صوت التلفزيون عندما صرخت: «أوه، كدت أنسى!».

واصلت بيث فرك مقلاة المعكرونة، قبل أن تظهر السيدة ويتلي بعد دقيقة، وفي يدها ظرف بريدي.

- إنه لك، قالت وهي عائدة لمشاهدة **تقرير هانتلي-برينكلي**[1].

كان الظرف متسخاً، العنوان مكتوب بقلم رصاص. مسحت يديها وفتحته. كان يحتوي على خمسة دولارات، ولا توجد أي رسالة مكتوبة. استندت بيث إلى المغسلة لوقت طويل، والأوراق النقدية في يدها.

سعر الحبوب الخضراء أربعة دولارات للقنينة التي تحتوي خمسين حبة. على الملصق عبارة: «قابلة للتجديد ثلاث مرات».

قدمت بيث أربع أوراق نقدية من فئة دولار واحد، ثم عادت إلى البيت بخطوات سريعة، لتضع الوصفة الطبية على منضدة السيدة ويتلي.



(1) تقرير هانتلي-برينكلي: نشرة إخبارية مسائية شهيرة كانت تعرض على قناة إن بي سي الأميركية بين عامَي 1956 و1970. (المترجم)

الفصل الرابع

تمّ وضع مكتب عند مدخل صالة الرياضة، خلفه رجلان يرتدي كلاهما قميصاً أبيض، بالإضافة إلى صفوف من الطاولات المستطيلة فوقها رقع شطرنج خضراء وبيضاء. كانت الغرفة مليئة بأشخاص يتحدثون وبعضهم يلعبون، ومعظمهم شبان أو مراهقون. رأت بيث امرأة واحدة ولم تلمح أيّ شخص ملوّن. أمام الرجل على اليسار، تمّ تثبيت لوحة إعلانية كُتب عليها: **رسوم المشاركة**. مشت بيث نحوه ومعها خمسة دولارات.

- هل لديكِ ساعة شطرنج؟ سأل الرجل.

- لا.

- لدينا نظام تشاركي لساعات الشطرنج. إذا لم تكن لدى خصمك ساعة شطرنج، عودي إلى المكتب. تبدأ الألعاب في غضون عشرين دقيقة. ما هو تصنيفك؟

- ليس لدي تصنيف.

- هل سبق أن شاركتِ في بطولة؟

- لا.

أشار الرجل إلى الأوراق النقدية التي كانت بحوزتها.

- هل أنتِ متأكدة أنك تريدين المشاركة؟

- أنا متأكدة.

- ليس لدينا قسم نسائي، قال.

حدقت به دون أن تنبس ببنت شفة.

- سأضعك في فئة المبتدئين.

- لا، قالت بيث. أنا لست مبتدئة.

كان الشاب الآخر يراقبهما في صمت. قال:

- إذا لم تكوني لاعبة مصنَّفة، فإنكِ تذهبين مع فئة المبتدئين ممَّن تصنيفهم أقل من 1600 نقطة.

لم تكن بيث قد أولت الكثير من الاهتمام للتصنيفات في **مجلة الشطرنج**، لكنها كانت تعلم أن الأساتذة كان تصنيفهم على الأقل 2200.

- ما هي الجائزة في فئة المبتدئين؟ سألته.

- عشرون دولاراً.

- وفي الفئة الأخرى؟

- الجائزة الأولى للبطولة المفتوحة مئة دولار.

- هل هناك قانون يمنعني من المشاركة في البطولة المفتوحة؟

هز رأسه.

- ليس حقاً قانوناً، ولكن...

- إذاً سجّلني. سلمت بيث أوراقها النقدية.

هز الرجل كتفيه وأعطاها بطاقة لتملأها.

- هناك ثلاثة رجال مصنَّفون أكثر من 1800. قد يأتي بلتيك أيضاً، وهو بطل الولاية. سوف يأكلونك حيّة.

أخذت قلماً جافاً وكتبت اسمها وعنوانها على البطاقة. في خانة «التصنيف»، كتبت صفراً كبيراً، ثم أعادت البطاقة.

بدأت البطولة متأخرة عشرين دقيقة. لقد استغرق الأمر بعض الوقت لعرض أسماء اللاعبين. أثناء كتابتها على السبورة، سألت بيث جارها ما إذا كان قد تم اختيار الخصوم بشكل عشوائي. أجاب: «لا، إطلاقاً. في الجولة الأولى، يتم ذلك حسب التصنيف. ثم يلعب الفائزون ضد الفائزين، والخاسرون ضد الخاسرين».

أخيراً، عندما عندما رُفعت اللافتة الخاصة بها، مكتوب عليها: «باكر - بالأبيض ضد هارمون - بالأسود، رقم 27». كانتا الأخيرتين.

سارت بيث نحو رقعة الشطرنج رقم 27 وجلست خلف القطع السوداء. كانت آخر رقعة شطرنج على أبعد طاولة.

بجانبها امرأة في الثلاثين من عمرها تقريباً. بعد دقيقة، اقتربت سيدتان أخريان. كانت إحداهما في العشرينيات من عمرها، والأخرى كانت خصم بيث - طالبة في المدرسة الثانوية طويلة وضخمة. حدقت بيث في تشكيلة الطاولات حيث كان اللاعبون جالسين وقد بدأ بعضهم اللعب. جميعهم ذكور، ومعظمهم من الشباب. شاركت أربع نساء في البطولة وقاموا بتجميعهن معاً، في النهاية، ليلعبن بعضهن ضد بعض.

جلست خصم بيث في حرج، وضعت ساعة التوقيت بجانب رقعة الشطرنج، ومدّت يدها.

- اسمي أنيت باكر.

شعرت بيث بيدٍ كبيرة رطبة.

- اسمي بيث هارمون. لا أعرف شيئاً عن ساعات الشطرنج.
بدت أنيت مرتاحة لوجود شيء تشرحه.

- قرص الساعة الأقرب إليك يقيس الوقت لديك. لكل لاعب ساعة ونصف. بعدما تلعبين، تضغطين على الزر العلوي، فإنه يوقف الساعة الخاصة بك ويطلق ساعة خصمك. هناك 4 أعلام حمراء صغيرة فوق الرقم 12 من كلا قرصَي الساعة؛ أعلامك سوف تسقط بعد ساعة ونصف. في هذه الحالة، ستكونين قد خسرت.

أومأت بيث برأسها. بدا الأمر طويلاً جداً بالنسبة إليها. لم تستغرق أكثر من عشرين دقيقة للعب جولة. كانت لكل لاعب ورقة مسطرة لتسجيل نقلاته.

قالت أنيت: «يمكنك الآن إطلاق ساعتي».

- لماذا يضعون كل الفتيات معاً؟ سألت بيث.

رفعت أنيت حاجبيها.

- لا ينبغي لهم ذلك. لكن عندما تفوزين، فإنهم يدفعونك إلى الأمام.

مدت بيث يدها، وضغطت على الزر، وبدأت ساعة أنيت تدقّ. كانت أنيت متوترة قليلاً، وأخذت بيدق الملك وحركته إلى الأمام صفَّين.

- أوه، قالت، إنها قاعدة لمس وتحريك (Touch move)، كما تعرفين.

- ماذا تقصدين؟

- لا تلمسي قطعة إذا لم تكوني متأكدة من أنك ستحركينها. إذا لمستِها، يجب عليك تحريكها.

- حسناً، قالت بيث. ليس عليك الضغط على الزر الخاص بك؟

- معذرة.

ضغطت أنيت على الزر، فانطلقت الساعة. قامت بيث، بيد حازمة، بأخذ البيدق من أمام فيل ملكتها وحرّكته مربعين إلى الأمام. الدفاع الصقلي. ضغطت على زر الساعة ووضعت مرفقيها على الطاولة، على جانبي رقعة الشطرنج، مثلما يفعل الروس الذين رأتهم في الصور.

بدأت هجومها في النقلة الثامنة. في العاشرة استولت على فيل منافستها، وفي السابعة عشرة على ملكتها. لم تقم آنيت حتى بالتبييت[1] (Castling). عندما أخذت بيث ملكتها مدت أنيت يدها وأطاحت بملكها. قالت: «لم يطل الأمر»، وبدت وكأنها مرتاحة لخسارتها. نظرت بيث إلى الساعة. أخذت أنيت نصف ساعة، أما هي فسبع دقائق. كانت المشكلة الوحيدة هي انتظار أنيت لتحريك قطعها.

لم تبدأ الجولة التالية حتى الساعة الحادية عشرة. سجَّلت بيث مباراتها مع أنيت على ورقتها، ورسمت دائرة حول اسمها توضح أنها فازت، وعادت إلى المكتب ووضعت الورقة في السلة التي عليها كلمة: **الفائزون**. كانت الورقة الأولى. جاء شاب يبدو وكأنه طالب جامعي وهي تبتعد ووضع ورقته. لاحظت بيث أن معظم

---

(1) تبييت أو تحصين: حركة خاصة في الشطرنج يتحرك من خلالها الملك خانتين إلى اليمين أو اليسار على غير عادته، ثم تنقل القلعة التي تحرّك في اتجاهها الملك وتوضع في الخانة التي توجد بعده مباشرة. (المترجم)

المشاركين لم يكونوا وسيمين. كان لدى العديد شعر دهني وبشرة باهتة. كان الآخرون بدينين أو متوترين للغاية. لكن هذا كان طويلاً إلى حد ما، مع ملامح حادة، ومرتاحاً، ووجهه بشوش وجميل. أومأ برأسه بحركة ودّية، من لاعب سريع إلى آخر، وأومأت بيث له بدورها.

بدأت تتجول بهدوء في أرجاء الغرفة، وشاهدت بعض الجولات قيد التقدم. أنهى خصمان آخران مباراتهما، وذهب الفائز لتسجيل النتيجة. لم تر أي وضعية مثيرة للاهتمام. عند الرقعة رقم 7، قرب مقدمة الغرفة، أتيحت الفرصة للأسود لكسب قلعة بنقلتين، وانتظرت أن يقوم اللاعب بنقل فيله. ولكن، عندما جاء دوره، اكتفى بتبادل البيادق في الوسط. يبدو أنه لم يرَ تركيبة الخطوات.

بدأت الطاولات برقعة الشطرنج رقم 3، وليس رقم 1. نظرت حولها، وكانت صفوف الرؤوس منحنية، وقسم المبتدئين في الطرف الآخر من صالة الرياضة. وقف اللاعبون على أقدامهم مع انتهاء الجولات. في الجزء الخلفي من الغرفة، كان هناك باب لم تلاحظه، وفوقه عُلقت لوحة كُتب عليها: «الرقع الأولى». دخلت بيث.

كانت غرفة أصغر، بالكاد أكبر من غرفة معيشة السيدة ويتلي. كانت هناك طاولتان منفصلتان، على كل منهما تجري مباراة. كانت الطاولتان في وسط الغرفة، وحبل مخملي أسود يمنع المشاهدين من الاقتراب أكثر من اللازم. كان أربعة أو خمسة أشخاص يشاهدون في صمت، جميعهم تقريباً مجتمعون حول رقعة الشطرنج رقم 1، على اليسار. كان اللاعب، الطويل القامة والوسيم، واحداً منهم.

أمام رقعة الشطرنج رقم 1، بدا رجلان منغمسين في تركيز تام.

بدت الساعة على الجانب مختلفة عن تلك التي رأتها بيث؛ كانت أكبر وأكثر صلابة. كان أحدهما سميناً، وبرأس أصلع، وبشرة داكنة مثل الروس في الصور، وكان يرتدي أيضاً بدلة سوداء مثل الروس. كان الآخر أصغر منه بكثير، وكان يرتدي قميصاً أبيض وسترة رمادية. فك أزرار قميصه ولفَّ أكمامه إلى المرفق، واحداً تلو الآخر، دون أن يرفع عينيه عن رقعة الشطرنج. شعرت بيث بقشعريرة في بطنها. هنا كان الأمر جاداً. حبست أنفاسها ودرست الوضعية على الرقعة. استغرقها الأمر بعض الوقت. لقد كان وضعاً متوازناً وصعباً، كما هي الحال في بعض مباريات البطولة في **مجلة الشطرنج**. كانت تعلم أن الدور للأسود، لأن عقرب ساعته كان يتحرك، وعندما أدركت أن الحصان يجب أن يُلعب إلى مربع الفيل الخامس، قام الأكبر سناً بمد يده ووضع حصانه على مربع الفيل الخامس.

كان الرجل الوسيم يستند إلى الحائط. مشت بيث نحوه وهمست:

- من هذان؟

- بلتيك وكولن. بلتيك هو بطل الولاية.

- أيّهما بلتيك؟

وضع الرجل إصبعاً على شفتيه قبل أن يجيب بصوت خفيض جداً:

- الشاب هو بلتيك.

كانت مفاجأة. بدا أن بطل كنتاكي هو في سن فيرغوسن.

- هل هو أستاذ كبير؟

- يحاول. لقد كان أستاذاً لسنوات.

- أوه! قالت بيث.

- هذا يستغرق وقتاً. عليكِ أن تلعبي مع أساتذة كبار.

- كم من الوقت؟ سألت بيث.

استدار رجلٌ في المقدمة، بالقرب من الحبل المخملي، وحدجها بنظرة عدائية. هزّ الرجل الطويل رأسه، زامّاً شفتيه إشارة إلى الصمت. عادت بيث إلى مشاهدة المباراة. وصل المزيد من الناس وامتلأت الغرفة. تمكنت بيث من البقاء في المقدمة.

كان التوتر في وسط رقعة الشطرنج كبيراً. فكرت بيث لعدة دقائق في ما ستفعله إذا كان دورها للعب، لكنها ترددت. كان دور كولن. انتظرتْ وقتاً طويلاً بدا بلا نهاية. ظل بلا حراك، وجبهته ترتكز على قبضتيه، وركبتاه مضغوطتان تحت الطاولة. مال بلتيك إلى الوراء واستند إلى ظهر كرسيّه وتثاءب مستمتعاً بمشاهدة كولن الأصلع. استطاعت بيث أن ترى أن أسنانه كانت مسوّسة، وسوداء، وأن بعضها مفقود، وأن ذقنه لم تكن محلوقة جيداً.

قام كولن بنقلته أخيراً. بادل الأحصنة في الوسط. تبع ذلك بضع نقلات سريعة وخفّت حدة التوتر. ثم تبادل اللاعبان حصاناً وفيلاً.

عندما جاء دور كولن رفع نظره إلى بلتيك وسأله:

- تعادل؟

- تباً، أجاب بلتيك.

قام بفحص رقعة الشطرنج بفارغ الصبر، واتخذ وجهاً غريباً، وضرب بقبضته على راحة يده، وحرك قلعته إلى الصف السابع. أعجبت النقلة بيث، والطريقة التي أخذ بها قطعه بيد حازمة ووضعها بلفتة رشيقة.

بعد خمس نقلات، استسلم كولن. كان متأخراً ببيدقين، وكان فيله المتبقي عالقاً في الصف الأخير وكان قد استنفد وقته تقريباً. لقد أسقط ملكه بنوع من الازدراء الأنيق، وانحنى ليصافح بلتيك مصافحة سريعة، ثم وقف، اجتاز الحبل، مرّ بالقرب من بيث وغادر الغرفة. وقف بلتيك وتمطّى. نظرت بيث إليه، أمام رقعة الشطرنج حيث كان الملك مستلقياً، وشعرت بالإثارة. ثم سرت قشعريرة في ذراعيها وساقيها.

لعبت مباراتها الثانية ضد رجل صغير أشعث يُدعى كوك، تصنيفه 1520. كتبت اسمه بأحرف كبيرة أعلى ورقتها أمام رقعة الشطرنج رقم 13: «هارمون ضد كوك». كان دورها للعب بالقطع البيضاء. حركت بيدق الملكة إلى الصف الرابع وأطلقت ساعة كوك، الذي رد على الفور بالنقلة نفسها. بدا متوتراً للغاية، وكانت عيناه تدوران في كل مكان ولم يستطع البقاء ساكناً في كرسيّه.

لعبت بيث بسرعة أيضاً، كما لو كانت تستجيب لنفاد صبره. في غضون خمس دقائق، نشر كلاهما قطعه، وشن كوك هجوماً من جهة ملكها. قررت تجاهله وقدّمت حصاناً. على عجل، وضع بيدقاً ضدها، ورأت بدهشة أنها لا تستطيع أخذه من دون المخاطرة بالتعرض لهجوم مزدوج. ترددت. كان كوك يلعب بشكل جيد حقاً. قد يكون التصنيف 1500 يعني شيئاً في الواقع. كان يلعب أفضل من السيد شايبل أو السيد غانز، ونفاد صبره جعله مخيفاً بعض الشيء. أزاحت قلعتها إلى خانة الفيل، تحت البيدق المتقدم.

فاجأها كوك. التقط فيل ملكته وأخذ به بيدقاً من جهة ملكها، ما مكّنه من القيام بكش ملك والتضحية بالقطعة. ركزت بيث ناظريها على الرقعة، وقد اعتراها الشك لوهلة. ما الذي يخطط له؟ ثم

انتبهت لخطته. إذا أخذت القطعة فسوف يتقدم بحصانه ويهدد ملكها من جديد ويأخذ الفيل، ما سيمكنه من الفوز ببيدق وإجبارها على إخراج ملكها. انقبضت عضلات بطنها فجأة، فهي لا تحب مثل هذه المفاجآت. احتاجت إلى دقيقة كاملة حتى ترى ما يتوجب عليها فعله. حركت الملك ولكنها لم تأخذ الفيل.

لكن كوك أخذ الحصان مع ذلك. قامت بيث بتبديل بيدق على الجانب الآخر لفتح الطريق أمام قلعتها. قام كوك بمضايقة ملكها من خلال تعقيد الأمور. الآن يمكنها أن ترى أنه لا يوجد خطر حقاً، إذا لم تسمح له بأن يخدعها. أخرجت قلعتها لتصطف مع ملكتها. أعجبها ذلك الترتيب. بدا لها ذلك كمدفعين مصطفَّين وجاهزين لإطلاق النار.

بعد ثلاث نقلات تمكّنت من إطلاقهما. بدا كوك مهووساً بالمناورات التي كان ينظمها حول ملكها، وأعمى عما تنوي بيث فعله. كانت نقلاته جديرة بالاهتمام، لكن بيث رأتها غير متماسكة، لأنه لم يأخذ بالحسبان الرقعة بأكملها. لو كانت تلعب فقط لتتفادى كش مات لكان قضى عليها في النقلة الرابعة بعد نقلة كش ملك الأولى بواسطة فيله. لكنها نالت منه في النقلة الثالثة. شعرت بيث بالدم يندفع إلى وجهها عندما رأت الطريق لتلعب قلعتها. أخذت ملكتها ووضعتها في الصف الأخير، وعرضتها على القلعة السوداء التي كانت لا تزال في مكانها. أوقف كوك ارتباكه للحظة، ونظر إلى وجهها. نظرت بيث إلى وجهه أيضاً. ثم راح يفكر، ويفكر. أخيراً مد يده وأخذ ملكتها بقلعته.

اجتاحتها رغبة في الصراخ والقفز. تمالكت نفسها، مدّت يدها وقدّمت فيلها خطوة واحدة وقالت بهدوء، «كش ملك». أراد كوك

أن يحرك ملكه، لكنه توقّف فجأة عندما رأى ما سيتبعه: سيفقد ملكته بالإضافة إلى القلعة التي أخذت للتو الملكة. نظر إلى بيث. كانت تجلس بهدوء. انحنى مرة أخرى على رقعة الشطرنج، التي درسها لعدة دقائق، متلوّياً على كرسيّه وهو عابس. ثم نظر إلى بيث وقال: «تعادل؟».

هزّت بيت رأسها.

عبس كوك من جديد.

- لقد نلتِ مني. أنا أستسلم. وقف ومد يده إليها. لم أتوقع ذلك على الإطلاق.

كانت ابتسامته دافئة بشكل مدهش.

- شكراً لك، قالت بيث، مصافحة يده.

كانت استراحة الغداء. اشترت بيث سندويتشاً مع كوب من الحليب من متجر على بُعد مئة ياردة من المدرسة. أكلت وحدها، ثم غادرت.

كانت مباراتها الثالثة ضد رجل أمبر سناً يرتدي سترة بلا أكمام. كان اسمه كابلان وتصنيفه 1694. لعبت بيث بالقطع السوداء. اختارت دفاع نيمزو الهندي[1] وهزمته بأربع وثلاثين نقلة. كان بإمكانها فعل ذلك على نحو أسرع، لكنه دافع بشكل جيد - رغم أنه كان من المفترض أن يكون اللاعب بالقطع البيضاء في وضعية الهجوم. عندما استسلم، كانت قد كشفت ملكه، وعلى وشك الاستيلاء على فيله، ولديها بيدقان متقدّمان. بدا مذهولاً. كان قد تجمّع عدد من اللاعبين لمشاهدة المباراة.

---

(1) دفاع نيمزو الهندي: افتتاحية شطرنج طوّرها الأستاذ الكبير آرون نيمزو في بدايات القرن العشرين. (المترجم)

انتهت المباراة في الساعة الثالثة والنصف. لعب كابلان ببطء شديد، ووقفت بيث عدة مرات لتهدئة نفاد صبرها. عندما أحضرت ورقتها إلى المكتب مع دائرة حول اسمها، كانت معظم المباريات قد انتهت وتوقّفت البطولة لتناول العشاء. ستكون هناك جولة واحدة عند الساعة الثامنة مساءً، وثلاث جولات يوم السبت. أما الجولة النهائية فستكون يوم الأحد في الساعة الحادية عشرة صباحاً.

ذهبت بيث لتغسل وجهها ويديها في حمام الفتيات. الغريب أنها شعرت بعد ثلاث مباريات فقط من الشطرنج بقذارة شديدة. نظرت إلى نفسها في المرآة، في الضوء القاسي للمصابيح، ورأت ما كانت تراه دائماً: وجهاً مستديراً غير مثير للاهتمام، وشعراً عديم اللون. لكن شيئاً ما قد تغير. احمرّ خدّاها، وبدت عيناها أكثر حيوية مما رأتهما في أي وقت مضى. لأول مرة في حياتها، أحبّت أن تنظر إلى نفسها في المرآة.

في الخارج عند المكتب، كان الشابان اللذان سجّلاها يعلقان لافتة على السبورة. تجمع عدد قليل من المتنافسين، بمن في ذلك الشاب الوسيم. اقتربت. في الأعلى، بقلم فوسفوري، كُتب **غير المهزومين**. كانت هناك أربعة أسماء في القائمة. كان اسم **هارمون** الأخير. حبست نَفَسها للحظة، عندما رأته. على رأس القائمة كان اسم **بلتيك**.

– أنت هارمون، أليس كذلك؟ سألها الشاب الوسيم.

– نعم.

– استمرّي يا صغيرة، قال مبتسماً.

في الوقت نفسه صاح الشاب الذي أراد أن يضعها مع المبتدئين من خلف المكتب:

- هارمون!

استدارت.

- يبدو أنك كنت على حق يا هارمون.

عندما فتحت بيث الباب، كانت السيدة ويتلي تأكل وجبة عشائها المكوّنة من لحم مشوي وبطاطا مهروسة. على شاشة التلفزيون، كان يُعرض **بات ماسترسون**[1] بصوتٍ عالٍ. قالت السيدة ويتلي: «عشاؤك في الفرن». كانت تجلس على الكرسي الهندي، وصحن الألمنيوم على صينية ترتكز على ركبتيها. جورباها ملفوفان إلى الأسفل ويلامسان خفَّيها الأسودين.

أثناء عرض الإعلانات التجارية، عندما كانت بيث تأكل الجزر من وجبة عشائها، سألتها السيدة ويتلي:

- كيف سارت الأمور يا صغيرتي؟

- لقد فزتُ بثلاث مباريات، ردت بيث.

- هذا جيد، قالت السيدة ويتلي ولم تحد بنظرها عن الرجل العجوز الذي كان يتحدث عن الراحة التي حصل عليها من مرطِّبات هالي الجلدية.

في ذلك المساء، وُضعت بيث على الرقعة رقم 6 في مواجهة شاب عادي جداً يدعى كلاين. كان تصنيفه 1794. سبق أن نشرت **مجلة الشطرنج** مباريات للاعبين ذوي تصنيف أدنى منه.

---

(1) Bat Masterson: مسلسل أميركي بالأبيض والأسود، جرى بثها بين عامَي 1958 و1961. (المترجم)

لعبت بيث بالقطع البيضاء، فقدّمت بيدق الملك إلى الصف الرابع، آملة أن يستخدم خصمها الدفاع الصقلي، وهو ما كانت تتقنه أفضل من أي شيء آخر. لكن كلاين قدم أيضاً بيدق ملكه خطوتين وبعد عدة نقلات حرك فيله خطوة واحدة ووضعه فوق ملكه الذي كان في وضعية تبييت. دون أن تكون متأكدة، اعتقدت أن هذا هو نوع من الافتتاحيات «غير النظامية».

في منتصف اللعبة، أصبحت الأمور أكثر تعقيداً. لم تكن تعرف بيث ماذا عليها أن تفعل، وقررت أن تتراجع بفيلها. وضعت سبابتها على القطعة، لكنها رأت بعد ذلك أنه من الأفضل لها تحريك بيدق الملكة إلى الأمام. مدّت يدها إلى بيدق الملكة.

قال كلاين: «أنا آسف. لمس وتحريك».

نظرت إليه.

- عليكِ أن تحركي فيلك، قال.

لاحظت أنه كان سعيداً بذلك، وأنه ربما أدرك ما كان يمكن أن تفعله ببيدقها.

هزت كتفيها، متظاهرة باللامبالاة، لكنها شعرت بشيء في داخلها لم تختبره من قبل في لعبة الشطرنج. كانت خائفة. قامت بسحب فيلها إلى الصف الرابع، ومالت إلى الخلف في كرسيها، وشبكت يديها على ركبتيها. شعرت بانقباض في بطنها. كان يجب أن تحرك بيدقها.

نظرت إلى وجه كلاين وهو يدرس رقعة الشطرنج، ورأت ابتسامة خبيثة نوعاً ما. دفع بيدق ملكته إلى الصف الخامس، وضغط على زر ساعته بسرعة وعقد ذراعيه.

كان سيأخذ منها أحد فيلَيها. وفجأة تحول خوفها إلى غضب.

انحنت فوق الرقعة وأتكأت ذقنها على راحتيها وراحت تدرس الرقعة بتركيز شديد.

استغرقها الأمر عشر دقائق تقريباً، لكنها وجدتها. لعبت بيث ومالت إلى الوراء.

بدا أن كلاين بالكاد لاحظ ذلك. أخذ الفيل كما كانت تأمل. لعبت بيث بيدق قلعة ملكتها على الجانب الآخر من الرقعة. همهم كلاين لكنه رد على الفور، ودفع بيدق الملكة مربعاً آخر. تدخّلت بيث بحصانها، لتمنع تقدم البيدق والأهم من ذلك لمهاجمة قلعة كلاين. قام كلاين بتحريك القلعة. بدأ شيء ما داخل معدة بيث يسترخي. بدت رؤيتها حادة بشكل غير عادي، كما لو كانت تستطيع تمييز كتابة صغيرة في الطرف الآخر من القاعة. حركت حصانها مهاجمةً قلعته من جديد.

نظر كلاين، منزعجاً، إلى وجهها. درس الوضعية وحرّك قلعته إلى المربع الذي عرفت بيث، قبل نقلتين، أنه سيحرك قلعته إليه. حرّكت ملكتها إلى مربع الفيل الخامس، أمام ملك كلاين.

لا يزال كلاين منزعجاً، لكنه واثق من نفسه. حرّك حصانه لتعزيز دفاعه. رفعت بيث ملكتها، وشعرت بالدم يتدفق في وجهها، وأخذت البيدق أمام الملك، مضحّيةً بملكتها.

فتح عينيه على وسعهما، وأخذ ملكتها. لم يكن باستطاعته فعل شيء آخر ليتجنّب كش ملك.

أخرجت بيث فيلها مهدِّدة ملكه من جديد.

تصدّى لها كلاين ببيدق كما كانت قد خططت. قالت بهدوء: «كش مات بنقلتين».

حدّق كلاين في وجهها بغضب.

- ماذا تقصدين؟

واصلت بيث بالهدوء نفسه:

- تقوم القلعة بكش ملك ثم يقوم الحصان بكش مات.

عبس كلاين.

- ملكتي...

- ستكون ملكتك مسمَّرة عندما يتحرك الملك.

نظر إلى رقعة الشطرنج وقال: «تبّاً!». ودون أن يُسقِط ملكه أو يمد يده لمصافحة بيث، نهض عن الطاولة وابتعد ويداه في جيبَيه.

أخذت بيث قلمها ورسمت دائرة حول اسمها على ورقتها.

في الساعة العاشرة صباحاً، عندما غادرت، كان هناك ثلاثة أسماء في قائمة **غير المهزومين**. كان اسم **هارمون** لا يزال في الأسفل، ولا يزال **بلتيك** في الصدارة.

في ذلك المساء، لم تستطع النوم في غرفتها لأن المباريات استمرت تعيد نفسها مراراً وتكراراً في رأسها رغم أنها لم تعد تجد أي متعة فيها.

بعد بضع ساعات قامت من السرير واقتربت من النافذة. رفعت ستارة لتنظر إلى الأشجار التي تعرّت لتوها، وقد أضاءتها أعمدة الإنارة، وإلى المنازل المظلمة خلف الأشجار. كان الشارع مهجوراً صامتاً. كان هناك ضوء خفيف من القمر، الذي تحجبه السحب جزئياً. كان الهواء بارداً.

تعلمت بيث ألا تؤمن أثناء وجودها في كنيسة ميثوين، ولم تصلي أبداً. ولكن هذه المرة قالت بصوت خفيض: **اللهم اجعلني ألعب ضد بلتيك وأهزمه.**

في الجزء الخلفي من درج مكتبها، في علبة فرشاة أسنانها، كانت هناك سبع عشرة حبة خضراء، وأكثر منها في صندوق صغير على رف الخزانة. لقد فكرت في تناول اثنتين لمساعدتها على النوم، لكنها امتنعت. عادت إلى الفراش، متعَبة وعقلها فارغ، ونامت نوماً عميقاً وهادئاً.

في صباح يوم السبت، كانت تأمل في مواجهة لاعب تصنيفه أعلى من 1800. أثناء مشاركتها في البطولة، قيل لها في المكتب إن هناك ثلاثة لاعبين لديهم تصنيف كهذا. لكن عندما تم توزيع اللاعبين تبيَّن لها أنها ستلعب بالقطع السوداء ضد لاعب يدعى تاونز تصنيفه 1724. كان هذا أقل من مباراتها الأخيرة مساء أمس. ذهبت إلى المكتب لتسأل عن الأمر.

قال الرجل ذو القميص الأبيض: «هذا هو قانون اللعبة يا هارمون. اعتبري نفسك محظوظة».

- أريد أن ألعب ضد الأفضل.
- يجب أن يتم تصنيفك أولاً.
- كيف أحصل على تصنيف؟
- تلعبين ثلاثين مباراة في بطولات اتحاد الولايات المتحدة للشطرنج ثم تنتظرين أربعة أشهر. هذه هي الطريقة التي تحصلين بها على تصنيف.
- مدّة طويلة جداً.

انحنى الشاب نحوها.

- كم عمرك يا هارمون؟
- ثلاث عشرة سنة.

- أنت أصغر لاعبة في البطولة. لديك متسع من الوقت ليتم تصنيفك.

كانت بيث غاضبة.

- أريد أن ألعب ضد بلتيك.

تدخّل الآخر:

- إذا فزت بالمباريات الثلاث التالية يا عزيزتي. وإذا فعل بلتيك الشيء نفسه.

- سأفوز بها.

- لا أظن ذلك، قال الشاب. يجب أن تواجهي سايزمور وغولدمان أولاً، ولن تتمكني من التغلب على كليهما.

- تباً لسايزمور وغولدمان، قال الآخر. الرجل الذي ستلعبين ضده الآن مصنَّف بأقل من تصنيفه الحقيقي. إنه الأول في فريق الجامعة وفي الشهر الماضي كان الخامس في لاس فيغاس. لا تنخدعي بالتصنيف.

- ماذا هناك في لاس فيغاس؟ سألت بيث.

- بطولة الولايات المتحدة المفتوحة.

توجّهت بيث إلى الرقعة رقم 4. ابتسم الرجل الذي كان جالساً خلف القطع البيضاء عندما رآها. كان الشاب الوسيم والطويل. شعرت بقليل من الضيق لرؤيته. بدا كأنه نجم سينمائي.

قال وهو يمدّ يده: «مرحباً هارمون». يبدو أننا كلينا يلاحق الآخر.

صافحت تلك اليد الكبيرة بحرج وأخذت مكانها. كانت هناك دقيقة صمت طويلة.

- هل تريدين أن تطلقي ساعتي؟ قال.

- عفواً. مدّت يدها لتطلق الساعة، وكادت توقعها. عفواً، قالت مرة أخرى، بصوت غير مسموع تقريباً.

ضغطت على الزر فانطلقت الساعة. حدقت في رقعة الشطرنج وخدّاها يحترقان.

افتتح ببيدق الملك، فردّت بالدفاع الصقلي. واصل بالنقلات الكلاسيكية وتابعت هي بتفريع التنين. قاما بتبادل البيادق في الوسط.

تدريجياً، استعادت بيث رباطة جأشها ولعبت نقلات ميكانيكية، ونظرت إليه. كان مركزاً انتباهه على القطع، عابساً، ولكن حتى مع وجهه العابس وشعره غير المنتظم، ظل وسيماً. انتاب بيث إحساس غريب وهي تنظر إلى كتفيه العريضتَين وبشرته الفاتحة وجبينه المتجعد من جرّاء التركيز.

فاجأها بإخراج ملكته. خطوة جريئة أخذت الوقت لفحصها، ورأت أنه لا توجد لديها نقاط ضعف فأخرجت ملكتها. وضع حصاناً في الصف الخامس، وفعلت بيث الشيء نفسه. هدَّد ملكها بفيل، دافعت عنه ببيدق. سحب فيله. كانت بيث تشعر بالخفة الآن، أصابعها أكثر مهارة في التعامل مع القطع. بدأ الاثنان في اللعب بسرعة ومن دون عناء. هدَّدت ملكه، فأزاحه جانباً برفق، وبدأ في دفع بيادقه. أوقفت ذلك الهجوم بسهولة بواسطة قطعة مسمّرة، وتظاهرت بيث بالدفع بالقلعة على جانب الملكة. لم ينخدع بها، وابتسم، وتخلّص من قطعتها المسمّرة وأعاد بيادقه إلى الحركة. تراجعت، وخبأت ملكها بالتبييت من جهة الملكة. شعرت براحة كبيرة ومسلية، لكن وجهها حافظ على قسماته جاداً. واصلا رقصهما.

أخيراً، عندما وجدت طريقة للنيل منه، شعرت بالحزن قليلاً. حدث ذلك بعد النقلة التاسعة عشرة، وشعرت نفسها تقاوم الفكرة التي بزغت كالشمس، غير راغبة في التخلي عن رقصة الباليه الممتعة التي كانا يؤديانها معاً. لكن ها هي ذا: في أربع نقلات سيخسر قلعة، أو ما هو أسوأ. ترددت بيث، ثم لعبت الخطوة الأولى.

احتاج الشاب إلى نقلتين أخريين ليرى ما كان يحدث له. عبس فجأة وقال: «يا إلهي! هارمون، سأفقد قلعة».

كانت تحب صوته والطريقة التي قالها بها. هز رأسه متظاهراً بالحيرة. كانت تحب ذلك أيضاً.

تجمع عدد من اللاعبين الذين أنهوا مبارياتهم حول رقعة الشطرنج. كان اثنان منهم يهمسان بتعليقات على مناورة بيث.

لعب تاونز خمس نقلات أخرى، وأشفقت عليه عندما استسلم، وأسقط ملكه. «تبّاً!» ثم نهض، وتمطّى وابتسم لها.

- أنتِ لاعبة شطرنج عظيمة يا هارمون. كم عمرك؟

- ثلاث عشرة سنة.

أطلق صفير تعجّب.

- في أي مدرسة؟

- إعدادية فيرفيلد.

- أعرف أين توجد.

لقد كان وسيماً أكثر من نجم سينمائي.

بعد ساعة منحتها القرعة غولدمان والرقعة رقم 3.

توجّهت إلى القاعة في تمام الساعة الحادية عشرة. توقف الناس الواقفون عن الكلام عندما دخلت. نظر إليها الجميع. سمعت أحدهم يهمس، «اللعنة، ثلاث عشرة سنة»، وعلى الفور قفزت

الفكرة إلى ذهنها، جنباً إلى جنب مع الابتهاج الذي أثاره ذلك الهمس: **كان باستطاعتي أن أفعل ذلك وأنا في الثامنة من عمري.**

كان غولدمان عنيداً، قليل الكلام وبطيئاً. كان متين البنية وقصير القامة ويلعب بالقطع السوداء كجنرال متمرّس في الدفاع. في الساعة الأولى، أحبط كل محاولات بيث. كان قد حمى جميع قطعه. كان الأمر كما لو كان لديه ضعف عدد البيادق المطلوبة لدعم قطعه.

كان يستغرق وقتاً طويلاً للعب حتى أن بيث كانت تشعر بتنمُّل في ساقيها؛ ذات مرة، بعد أن قدّمت فيلها، نهضت لتذهب إلى الحمام. شعرت بألم في معدتها وشعرت بدوار بسيط. غسلت وجهها بالماء البارد، وجفّفته بمنديل ورقي. عندما كانت خارجة من الحمام دخلت الفتاة التي واجهتها في مباراتها الأولى. باكر. بدت باكر سعيدة برؤيتها.

- أنت تواصلين الصعود، أليس كذلك؟ قالت.

- حتى الآن، نعم.

شعرت بيث بانقباض في بطنها.

- قيل لي إنك تواجهين غولدمان.

- نعم. يجب أن أعود.

- بالطبع، قالت باكر، بالطبع. اهزميه أرجوك، اهزميه بالضربة القاضية.

أجبرت بيث نفسها على الابتسام.

- حسناً.

اكتشفت بعد عودتها أن غولدمان قد لعب نقلته وضغط زر الساعة. بدا متبرماً، وقد ارتدى بدلة داكنة اللون. شعرت بيث بأنها أفضل قليلاً، وبمزاج جيد. جلست على مقعدها ووجهت تركيزها

فقط نحو المربعات الأربعة والستين للرقعة. احتاجت إلى دقيقة كاملة لمعرفة ما إذا كان الهجوم المزدوج فعالاً، كما كان مورفي يفعل أحياناً. سيجد غولدمان صعوبة في حماية نفسه. حرّكت بيدقاً إلى مربع قلعة ملكتها الرابع.

كانت ضربة موفقة. بعد خمس نقلات، استطاعت كشف الملك الخصم بعض الشيء، ثم قامت بمحاصرته بعد ثلاث نقلات إضافية. لم تتأثر بيث بخصمها، ولا بالمتفرجين، أو التوتر المتصاعد أسفل بطنها والعرق الذي غمر جبينها. ظلت مركزة على الرقعة بكل جوارحها، لا ترى سوى خطوط القوة المتقاطعة: الميدان الصغير الذي تتموقع البيادق فوقه، ميدان الملكة الكبير، والتدرجات بينهما. وقبل استهلاك خصمها لوقته، تمكنت من محاصرته في وضعية كش مات.

مع وضعها لدائرة حول اسمها أعلى الورقة، نظرت من جديد إلى تصنيف غولدمان: 1997 نقطة. صفق بعض الحاضرين.

عادت بيث مرة أخرى إلى الحمام، حيث تدفقت دماء عادتها الشهرية الأولى. أبصرت المياه التي تلونت بالأحمر فخيّل إليها أن كارثة قد حصلت. هل سالت الدماء على مقعد الرقعة رقم 3؟ هل لاحظ الحاضرون بقع الدم؟ ثم استعادت هدوءها عندما انتبهت إلى أن البقع بالكاد تركت أثرها على تبانها القطني. تذكرت جولين فجأة. لولاها لما تمكنت بيث من فهم حقيقة ما جرى. لم يسبق لأحد أن شرح لها معنى ذلك - ولا حتى السيدة ويتلي خصوصاً. شعرت بحنين مباغت لجولين، وقد تذكرت نصائح الأخيرة حول كيفية التعامل مع «وضع طارئ» كهذا. أمسكت بيث بقطعة من ورق الحمام الصحي وطوتها على شكل مستطيل مضغوط. تراجعت آلام

بطنها. إنها عادتها الشهرية الأولى، وقد هزمت للتو غولدمان المصنَّف بـ 1997 نقطة. وضعت القطعة المستطيلة داخل تبانها الذي رفعته أعلى ما يمكن، ثم فردت تنورتها وعادت إلى فضاء التباري مفعمة بالثقة.

سبق لبيث أن رأت سايزمور، صغير الحجم وبشع المنظر، مع رأس يشبه نصل السكين، وشراهة مفرطة في التدخين. سمعت أحدهم يقول إنه كان بطل الولاية قبل بلتيك. سوف تواجهه في الرقعة رقم 2، في قاعة «الرقع الأولى».

لم يصل سايزمور بعد، لكن بلتيك حاضر، ويجلس على الجهة المقابلة، أمام الرقعة رقم 1. تطلعت إليه بيث، ثم أشاحت بناظريها. إنها الثالثة بعد الظهر. خيّل إليها أن الأضواء في هذه الغرفة -مصابيح عارية مسيجة بتشبيك دائري- أكثر قوة من أضواء القاعة الكبيرة، وأكثر قوة مقارنة بالفترة الصباحية، وأزعجها لمعان الأرضية المصقولة بخطوطها الحمراء.

دخل سايزمور، وهو يسرّح شعره بسرعة وعصبية، مستخدماً مشطاً، وسيجارة تتدلى من شفتيه الرفيعتين. أزاح مقعده فأحست بيث بأنها محاصرة.

- مستعدة؟ قال فجأة وهو يدس المشط في جيب قميصه.

- أجل، قالت وضغطت زر الساعة.

قدّم البيدق أمام الملك، ثم أخرج مشطه مرة أخرى، وعضه بشكل خفيف، كما يفعل المعتادون على عض ممحاة قلم الرصاص.

ردت بيث بالبيدق أمام فيل ملكتها إلى الصف الرابع.

مع بلوغهما منتصف المباراة، صار سايزمور يمشط شعره مع

كل نقلة. كان مركّزاً على الرقعة، يتململ في مقعده ويعيد تسريح شعره أكثر من مرة، دون النظر إليها تقريباً. كانت مباراة متكافئة، بلا نقاط ضعف من كليهما. توجب عليها فقط اختيار النقلات المناسبة لفيلَيها وحصانَيها، وانتظار رد فعل الخصم. لعبت نقلاتها، وسجلتها على الورقة، مستندة إلى ظهر مقعدها بهدوء. تجمّع المتفرجون شيئاً فشيئاً وراء الحبل المخملي الفاصل. اختلست بيث النظر إليهم من حين إلى آخر. يبدو أنها اجتذبت جمهوراً أكثر من بلتيك. عادت بتركيزها إلى الرقعة، مترقبة مآل الافتتاحية. انتبهت للحظة رفعت خلالها رأسها إلى أن أنيت باكر موجودة في الصف الأخير. ابتسمت فردت بيث بإشارة من رأسها.

قدم سايزمور حصاناً نحو مربع الملكة الخامس، أفضل تموقع لهذه القطعة. عبست بيث، إذ لا مجال لدفعه خارج ذلك المربع. تكدست القطع وسط الرقعة إلى درجة أفقدتها تركيزها لبضع لحظات. عادت آلام بطنها بشكل متقطع، وشعرت بملمس قطعة الورق الصحي بين فخذيها. اعتدلت بيث في مقعدها، معيدة تقييم وضعها على الرقعة. وضع سيّئ عموماً. يتقدم سايزمور بلا هوادة. نظرت إليه. كان قد وضع مشطه جانباً، متأملاً القطع برضا. مالت هي نحو الرقعة، وقد أوشكت قبضتاها على اختراق وجنتيها، مجبرة نفسها على إيجاد مخرج. بلغتها همسات المتفرجين. ركزت، رافضة السماح لنفسها بالاسترخاء. لقد حان الوقت للقيام بهجمة مضادة. إذا وضعت حصانها على اليسار... لا. إذا فتحت الطريق أمام فيلها... **تماماً**. قدمت بيث بيدقاً، بما ضاعف من قوة فيلها. صارت الوضعية أكثر وضوحاً. اعتدلت ملتقطة أنفاسها.

استمرّ سايزمور بحشد قطعه خلال النقلات الخمس التالية، لكن

بيث ركزت انتباهها على الجانب الآخر من الرقعة، من اليسار، جهة الملكة البيضاء، وقد أدركت حدود قدراته. فور وصول اللحظة المناسبة، وضعت الفيل وسط القطع المضادة، في مربع حصانه الثاني. بإمكان قطعتين أخذه، ولكن ذلك سيشكل خطراً في كلتا الحالتين.

رفعت عينيها. عاد سايزمور لالتقاط مشطه وتسريح شعره، فيما واصلت عقارب الساعة التهام الوقت المخصص له.

احتاج إلى ربع ساعة كاملة لاتخاذ قراره، وفوجئت بيث عندما أخذ فيلها مستخدماً قلعته. من الغباء أن يكشف صفه الأخير بهذا الشكل. ألم ينتبه؟ ألم يفهم؟ راجعت وضعيتها على الرقعة من جديد، ثم أخرجت ملكتها.

لم ينتبه لما يجري إلا بعد نقلتين إضافيتين، ممّا جعل استراتيجيته تنهار. وبعد ست نقلات، عندما حركت البيدق أمام ملكتها لوضعه في الصف السادس، ظل هو ممسكاً بمشطه. حرك قلعة ووضعها خلف البيدق. هاجمت هي مستخدمة الفيل. نهض سايزمور، معيداً المشط إلى جيبه، ثم أسقط ملكه.

- لقد فزتِ، قال بنبرة كئيبة.

هنا علت عاصفة من التصفيق.

أعادت بيث ورقتها، منتظرة تأكد الشاب في المكتب من محتواها، ووضعه علامة في لائحة أمامه، قبل النهوض والذهاب إلى لوحة الإعلان حيث نزع الدبابيس عن البطاقة التي تضم اسم سايزمور، ورماها في سلة المهملات المعدنية الخضراء، لتضم قائمة غير المهزومين اسمين: **بلتيك** و **هارمون**.

كانت ذاهبة إلى الحمام عندما رأت بلتيك يغادر قاعة «الرقع

الأولى». تقدم بخطوات سريعة، وقد بدا مزهواً بنفسه، حاملاً ورقته في يده، متجاهلاً وجودها.

عادت إلى الغرفة الصغيرة، حيث وقف تاونز بالقرب من فرجة الباب، وقد ارتسمت علامات التعب على وجهه. بدا شبيهاً بروك هدسون[1].

- أحسنتِ يا هارمون، قال.

- حزينة لخسارتكَ، قالت.

- لا بأس. أشار برأسه إلى المكتب حيث يتحلّق عدد من المتابعين حول بلتيك. إنه سفاح يا هارمون. سفاح حقيقي.

نظرت إليه طويلاً.

- أنتَ بحاجة إلى أخذ قسط من الراحة.

ابتسم.

- أنا بحاجة إلى موهبتك يا هارمون.

مرت بالقرب من المكتب فتقدم بلتيك بخطوة نحوها وقال:

- موعدنا غداً.

عادت بيث إلى البيت ودخلت إلى غرفة المعيشة قبل موعد العشاء بقليل. كانت السيدة ويتلي شاحبة وغريبة الأطوار، جالسة على الأريكة، وجهها منتفخ، وبطاقة بريدية بألوان مبهرجة على ركبتيها.

- عادتي الشهرية الأولى كانت اليوم.

رمشت السيدة ويتلي بعينيها.

---

(1) روك هدسون (1925–1985): ممثل أميركي شهير. (المترجم)

- جيد جداً، ردت بصوت بعيد.

- أنا بحاجة إلى فوط طبية أو شيء من هذا القبيل.

بدت السيدة ويتلي لوهلة وكأنها منفصلة عما يجري حولها، لكنها استعادت توازنها.

- إنها مرحلة مفصلية في حياتك، وبلا أدنى شك. اذهبي إلى غرفتي، وابحثي في درج المنضدة المحاذية لسريري. يمكنك أخذ كل ما تحتاجين إليه.

- شكراً.

اتجهت بيث نحو درجات السلّم.

- أوه يا صغيرتي، أضافت السيدة ويتلي، أحضري لي زجاجة المهدئات الخضراء، ستجدينها فوق المنضدة.

قدمت لها الحبوب بعد عودتها، فانتبهت لوجود كأس نصف فارغ من الجعة قربها. تناولت حبتين وابتلعتهما مع رشفة من الجعة.

- أنا بحاجة إلى استعادة سكينتي.

- لستِ على ما يرام؟ سألتها بيث.

- لست أرسطو، لكن يمكن القول إنني لست على ما يرام. لقد وصلتني رسالة من السيد ويتلي.

- ماذا قال؟

- سيبقى في الجنوب الغربي إلى أجل غير مسمى. الجنوب الغربي للولايات المتحدة.

- أوه! قالت بيث.

- بين دنفر وبوت.

جلست بيث على الأريكة.

- كان أرسطو فيلسوفاً أخلاقياً، قالت السيدة ويتلي، أما أنا فربّة بيت، أو كنتُ كذلك.

- هل سيعيدونني إلى المأوى في حال رحيل زوجك؟

- ها قد وصلنا إلى لب الموضوع. ارتشفت السيدة ويتلي بعض الجعة. لن يحدث هذا إذا كذبنا عليهم.

- لن يكون ذلك صعباً، قالت بيث.

- بيث، أنت رائعة جداً. أنهت السيدة ويتلي كأسها. قومي بتسخين الدجاج والبطاطس المجمدة من فضلك. ضعي منظم الحرارة عند أربعمئة درجة.

ظلت بيث ممسكة بفوطتين صحيتين في يدها.

- لا أعرف كيفية استخدام هذه.

اعتدلت السيدة ويتلي في جلستها.

- لم أعد زوجة الآن، قالت. إلا من الناحية القانونية فقط. أعتقد أنني قادرة على أن أصبح أماً. سأعلمك كيفية استخدامها، فقط إذا وعدتني بعدم الذهاب مطلقاً ناحية دنفر.

استيقظت بيث ليلاً، إثر حلم تسبح خلاله في بحر هادئ بلا جدوى. سمعت صوت هطول المطر واهتزاز النوافذ. وضعت الوسادة على رأسها واستدارت نحو الجانب الآخر باحثة عن النوم من جديد، لكنها لم تفلح في ذلك. لم تتراجع حدة الأمطار، ولم تتوقف، فيما تبددت كآبة الحلم لتعوضها صورة رقعة شطرنج ممتلئة بالقطع التي تناديها وتحفز ذكاءها وبديهتها.

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية صباحاً، ولم تتمكن من النوم. وفي السابعة صباحاً، أثناء هبوطها درجات السلّم، أدركت أن

الأمطار لم تتوقف عن الهطول. نظرت عبر نافذة المطبخ، فانتبهت إلى أن الفناء الخلفي قد تحول إلى ما يشبه المستنقع والعشب الظاهر فوقه إلى جزر متناثرة. لم تكن تعرف كيف تُعدّ البيض المقلي، فاكتفت بالمسلوق. أخذت بيضتين من الثلاجة وملأت قِدراً صغيرة بالماء، ثم وضعتها فوق الموقد. سوف تبدأ بالبيدق أمام الملك، آملةً أن يستخدم الدفاع الصقلي. انتظرت خمس دقائق قبل غمر البيضتين في مياه باردة. تخيلت وجه بلتيك، شبابه، غطرسته، أناقة لعبه، عينَيه الصغيرتين السوداوين. عندما اقترب منها بالأمس، لدى مغادرتها، حسبت لوهلة أنه سوف يقوم بضربها.

كان البيض ممتازاً، قشرته بضربة سكين أولاً، ثم وضعته على صحن مع القليل من الملح والزبدة.

راود بيث شعور بأن حبات من الرمل تغطي جفنيها. ستبدأ المباراة النهائية في الحادية عشرة صباحاً، والساعة الآن السابعة وعشرون دقيقة. تمنت لو أن كتاب **افتتاحيات الشطرنج الحديثة** بحوزتها، ستراجع تفريعات الدفاع الصقلي. امتلك الكتاب عدد من المتبارين في البطولة، وقاموا بمراجعة محتواه آلاف المرات.

عند مغادرتها للبيت في العاشرة، كانت الأمطار قد تحولت إلى رذاذ خفيف، بينما لا تزال السيدة ويتلي غارقة في نومها بالطابق الأول. ذهبت بيث إلى الحمام للتأكد من ثبات الفوطة الصحية. كل شيء على ما يرام. ارتدت حذاءها المطاطي ومعطفها الأزرق، وأخذت مظلة السيدة ويتلي من الخزانة، ثم غادرت.

سبق أن لاحظت أن قطع الرقعة رقم 1 مختلفة، فهي مصنوعة من الخشب الصلب، مثل قطع السيد غانز، وليست مثل القطع

البلاستيكية الجوفاء في الرقع الأخرى. بوصولها إلى القاعة الفارغة في العاشرة والنصف، لم تتمالك نفسها والتقطت قطعة الملك البيضاء. وزنها أثقل، مع قاعدة مدعمة ببساط أخضر. وضعتها في مربعها، ثم تجاوزت الحبل المخملي وذهبت إلى الحمام. غسلت وجهها للمرة الثالثة منذ الصباح، ثم سرحت الشعر فوق جبينها وعدلت وضعية فوطتها الصحية، وعادت إلى القاعة، حيث وصل لاعبون آخرون. دست يديها في جيبَي تنورتها، خشية انتباه الآخرين لارتجافهما.

بحلول الحادية عشرة كانت على أتم الاستعداد عند الرقعة رقم 1، جالسة خلف القطع البيضاء. بدأ لاعبو الرقعتين 2 و3 مبارياتهم. كان سايزمور عند الرقعة رقم 2. لم تكن تعرف هوية الآخرين.

مرت عشر دقائق إضافية ولم يصل بلتيك بعد. صعد مدير البطولة، مرتدياً قميصاً أبيض، إلى المنصة، وظل واقفاً بجانبها لما يقارب الدقيقة.

- ألم يصل بعد؟ سألها بصوت خفيض.

أومأت بيث برأسها.

- ابدئي المباراة، واضغطي على زر الساعة، همس المدير. هذا ما كان عليكِ فعله منذ الساعة الحادية عشرة.

عبست. لم ينبهها أحد إلى ذلك. قدمت البيدق أمام الملك، ثم ضغطت على زر ساعة بلتيك.

تأخر لعشر دقائق أخرى. تجددت آلام بطن بيث، مع التهاب عينيها. وصل بلتيك الذي بدا طبيعياً ومسترخياً، يرتدي قميصاً بلون أحمر براق، وسروالاً قطنياً بنّياً.

- معذرة، قال بهدوء. استغرقني الوقت وأنا أتناول فنجان قهوة.

حدجه بعض اللاعبين بنظرات نارية، أما بيث فلم تعلق بكلمة.

ظل بلتيك واقفاً، فكّ الزر العلوي لقميصه ثم مد يده نحوها.

- هاري بلتيك. ما اسمك؟

كانت متأكدة من أنه يعرف اسمها جيداً.

- اسمي بيث هارمون.

صافحته من دون رغبة في تقاطع نظراتهما.

جلس خلف القطع السوداء، فرك يديه بحماس، ثم قدّم البيدق أمام الملك بمربع واحد وضرب بقبضته على زر الساعة.

الدفاع الفرنسي الذي لم تستخدمه هي من قبل، ما أزعجها كثيراً. من المفترض اللعب بالبيدق أمام الملكة، ولكن ماذا لو حذا الحذو نفسه؟ هل سيتوجب عليها تقديم بيدق وإخراج حصانها؟ أسبلت جفنيها وحركت رأسها؛ وجدت صعوبة في التخطيط للنقلة التالية. أعادت تأمل الرقعة، وفركت عينيها، محركة البيدق أمام الملكة. مدت يداً مترددة إلى زر الساعة. هل كانت نقلة خاطئة؟ لكن الأوان فات. ضغطت على الزر بسرعة، وفور إصدار الساعة للصوت المميز، التقط بلتيك البيدق أمام ملكته، وقدّمه مربَّعين وأسقط ثقل راحة يده على الزر.

لم تنس بيث الشروط المطلوبة للقيام بافتتاحية لعب، وإن لم تكن رؤيتها بنفس الوضوح المعتاد. أخرجت الحصانين وأجبرت نفسها على القتال للوصول إلى مربعات وسط الرقعة. لم يضيّع بلتيك وقته، فأخذ بيدقها، ولاحظت هي أنها لن تتمكن من أخذ بيدقه ذاك. حاولت تجاهل ذلك مواصلةَ اللعب، وأخرجت قطعاً وقامت

بالتبييت. رفعت رأسها ونظرت إليه. كان يراقب المباراة التي تجري أطوارها في الرقعة المجاورة، وقد بدا في أقصى درجات الارتياح.

انقبض بطن بيث، وشعرت بعدم الارتياح في جلستها، كما خيّل إليها أن توزيع البيادق والقطع فوق الرقعة غير متجانس، وبلا معنى.

تتابعت دقات عقارب الساعة. أمالت رأسها ونظرت إليها، مرّت خمس وعشرون دقيقة، وقد خسرت بيدقاً. أما بلتيك فقد استهلك اثنتين وعشرين دقيقة فقط، باحتساب الوقت الضائع بسبب تأخره. شعرت بطنين في أذنيها، وأفقدتها أضواء المصابيح القوية تركيزها. مال بلتيك إلى الوراء بذراعين مفرودتين، وتثاءب ممّا مكّنها من رؤية البقع السوداء في أسنانه.

عثرت بيث على ما اعتقدت أنها وضعية مناسبة لحصانها، فمدّت ذراعها، ثم توقفت. سيكون ذلك كارثياً، يجب أن تحمي ملكتها قبل أن يتمكن بلتيك من أخذها باستخدام قلعته. يجب أن تهاجم وتدافع في الآن نفسه، دون أن تجد خطة مناسبة للقيام بذلك. ظلت القطع جامدة أمام عينيها. كان عليها أن تتناول حبة مهدئ خضراء بالأمس، لكي تتمكن من النوم.

اكتشفت فجأة نقلة بدت لها مناسبة، فلعبتها على الفور، متراجعة بالحصان إلى جانب الملك، للدفاع عنه ضد ملكة الخصم.

رفع بلتيك حاجبيه بطريقة يصعب تمييزها، ثم أخذ بيدقاً من الجانب الآخر للرقعة، ليفتح بالنقلة نفسها خطاً قطرياً لفيله الذي سيهدد الحصان الذي أعادته إلى الخلف، لتفقد بذلك نقلة، كما فقدت بيدقاً ثانياً. ظهر شبح ابتسامة صغيرة على شفتي بلتيك، فأشاحت بناظريها عنه وقد اعتراها الخوف.

عليها أن تتصرف. سيصل إلى ملكها بعد أربع نقلات أو خمس. يجب أن تستعيد تركيزها وقدرتها على رؤية ما يجري بوضوح أكبر، لكن كل شيء بدا أمامها ضبابياً، ثقيلاً، معقداً وخطيراً، فأيقنت بأنها مطالبة بفعل شيء، فنهضت تاركة ساعتها مشغلة، وتجاوزت الحبل المخملي وجمهور المتفرجين بصمت، وغادرت القاعة صوب الحمام. لم تجد أحداً هناك، فغمرت وجهها بالماء البارد، وضغطت بعض المناشف الورقية طويلاً على مؤخرة عنقها، ثم دلفت إلى المرحاض وتفحصت فوطتها الصحية. كل شيء على ما يرام. استرخت، باحثة عن صفائها الروحي، وقد وضعت مرفقيها على ركبتيها.

أعادت رسم وضعيتها في الرقعة رقم 1 ذهنياً، فأدركت أن الوضع صعب فعلاً، ولكنه أقل صعوبة من مباريات أخرى سبق أن اطلعت عليها في مكتبة موريس. كانت القطع في مخيلتها حادة وحاسمة.

لم تتحرك قيد أنملة، ولم تكترث للوقت الذي يمر، إلى أن تمكنت من تحليل وضعها بدقة متناهية، فنهضت وغسلت وجهها بالماء البارد مرة ثانية ثم عادت إلى القاعة. تعرف كيف ستتصرف الآن.

تزايد عدد المتفرجين في قاعة «الرقع الأولى»، مع وصول لاعبين آخرين أنهوا مبارياتهم وجاؤوا لمتابعة مباراتها، فتجاوزتهم وتخطت الحبل المخملي وعادت إلى مقعدها. توقفت يداها عن الارتجاف، ولم تعد تشعر بأي آلام في بطنها وعينيها. لعبت نقلتها، وضغطت على زر الساعة بثبات.

احتاج بلتيك إلى بضع دقائق قبل أن يأخذ حصانها مستخدماً

فيله، مثلما توقعت، ثم هددت قلعته باستخدام فيلها، فأبعدها عن خط النار مرغماً. تصاعدت الدماء إلى وجهها فقدمت ملكتها إلى وسط الرقعة، مستهدفة القلعة، ومسمِّرة البيدق أمام ملكه، وصارت قادرة على أخذ الفيل بعد القيام بكش ملك. نظرت بيث إلى بلتيك الذي كان يركّز على الرقعة ويرفع كمَّي قميصه، وعقارب الساعة تواصل التحرك.

احتاج إلى ربع ساعة تقريباً لتحريك قلعته، كما توقعت بيث بالضبط عندما كانت في الحمام. وتجهزت لذلك، فانتقلت قلعتها خلف ملكتها، لتسمع صوت زفرة عميقة أطلقها بلتيك.

بلغها صوت الهمس بين الحاضرين، فانتظرت رده.

عشر دقائق أخرى، لتعود ملكة بلتيك إلى وضعية الدفاع، ولم يكن ذلك بفائدة تذكر. قدمت بيث بيدقها بيد حازمة وروح صافية، مهاجمة الملكة.

نظر بلتيك إلى البيدق طويلاً، كما لو كان صرصوراً. إذا أخذه فسوف تحاصر ملكته، وإذا أزاح ملكته فسوف تكون بيث قادرة على شن هجمات متعددة، وإذا تركها في مكانها فسوف يخسرها.

- اللعنة! قال بهمس.

عندما اتخذ قراره، لم تتبقَّ أمامه سوى عشر دقائق فقط، فيما تمتلك بيث خمسين دقيقة إضافية. لقد ضيع وقتاً ثميناً في التمطي وتعديل وضعية الجلوس وفرد الذراعين والتكشير، كما لو كان واثقاً من ذكاء كل نقلاته. التقط ملكته أخيراً وحركها بإبعادها عن الخطر المحدق.

وضعت فيلاً خلف ملكتها، مهددة بكش مات، فاضطر إلى استخدام ملكته لإيقافها، لكنها قدمت قلعتها إلى الصف الثالث،

حيث حصلت على فرصة التنقل بحرية. مهما فعل فسوف تأخذ ملكته أو تصل إلى وضعية كش مات.

انحنى بلتيك فوق الرقعة، واضعاً رأسه بين يديه. سمعت صوت ضربات قدميه على الأرض.

- اللعنة، اللعنة، قال.

قالت بيث بصوت هادئ:

- أعتقد أنها النهاية.

- يمكنني المواصلة.

- لا أظن ذلك، قالت.

أمامه أربع دقائق فقط. ركز ناظريه على الرقعة كما لو أن رغبته القوية في الإفلات من الفخ ستمكنه من المواصلة. أخيراً، وعلى بُعد ثلاثين ثانية من النهاية، التقط ملكته ووضعها بحدة أمام قلعتها، في تضحية انتحارية، ثم ضغط على زر الساعة، واعتدل مستنداً بظهره إلى المقعد، مطلقاً زفرة حارة.

- لا فائدة، قالت بيث. لستُ بحاجة إلى أخذ الملكة.

- العبي.

- يمكنني تحقيق وضعية كش ملك بالفيل...

- العبي!

هزت رأسها، وحققت وضعية كش ملك بفيلها. استمع بلتيك لصوت عقارب الساعة، فأزاح ملكه وضغط على الزر. فقامت بيث بما استعدت له منذ البداية، مضحية بملكتها، أفضل قطعها، التي أخذها الملك الخصم. حدق فيها بلتيك مصدوماً. لم تخفض بصرها. هز كتفيه والتقط ملكتها ثم ضغط على الزر بقاعدة القطعة التي حصل عليها.

هنا قدّمت بيث فيلها الثاني من الصف الخلفي، لتضعه في وسط الرقعة.

- كش ملك. كش مات في النقلة التالية، قالت.

نظر بلتيك إلى الفيل.

- اللعنة.

نهض.

- القلعة ستقوم بكش مات، قالت بيث.

- اللعنة.

بدأ الجمهور الذي ملأ القاعة تدريجياً بالتصفيق. مد بلتيك يده بغضب، فصافحته بيث.

الفصل الخامس

عند وصول بيث إلى مكتب الصرف، علمت أن موعد الإغلاق قد حان. اضطرت إلى انتظار الحافلة بالقرب من باب المدرسة، ثم انتظار الحافلة الثانية في الشارع الكبير. هو البنك الثاني الذي تجربه.

احتفظت بيث بالشيك المطوي في جيب صدارها طوال اليوم، تحت سترتها. وعندما انهمك الرجل أمامها في جمع قطع نقدية من فئة عشرة سنتات ووضعها في جيب معطفه مبتعداً عن الشباك، كانت قد التقطته، ووضعت ذراعها على الرخام البارد، بيد مرفوعة، واقفة على رؤوس أصابع قدمَيها لرؤية وجه موظف الشباك.

- أريد فتح حساب بنكي، قالت.

ألقى الرجل نظرة على الشيك.

- كم عمرك يا آنسة؟

- ثلاثة عشر عاماً.

- آسف، لكن يتوجب حضور والدك أو وليّ أمرك.

أعادت بيث الشيك إلى جيب صدارها ثم غادرت.

على الطاولة قصيرة القوائم، بالقرب من السيدة ويتلي، استقرت أربع زجاجات جعة فارغة، ماركة بابست بلو ريبون. التلفاز مطفأ.

التقطت بيث صحيفة المساء من الشرفة الأمامية ثم فتحتها عند دخولها إلى البيت.

- كيف كان يومك في المدرسة يا صغيرتي؟ قالت السيدة ويتلي بصوت خافت يصعب تحديد نبرته.

- جيد.

حافظت بيث على هدوئها رغم ذهولها برؤية صورتها أسفل الصفحة الأولى من الجريدة التي وضعتها على الوسادة الخضراء بالقرب من الأريكة. في الأعلى صورة نيكيتا خروتشوف[1] وتحتها صورتها بحاجبين مرفوعين وعنوان كبير: **طفلة معجزة تفوز ببطولة الشطرنج**، حيث كتب بحروف مضغوطة: **لقد بهرت الخبراء رغم أنها في الثانية عشرة من عمرها**. تذكرت بيث الرجل الذي التقط لها الصورة قبل أن تتسلَّم الشيك وكأس البطولة. لقد أخبرته بأنها في الثالثة عشرة.

بدأت القراءة مستندة إلى الأريكة:

فوجئ لاعبو الشطرنج في كنتاكي نهاية الأسبوع الماضي بعلو كعب فتاة من الضواحي، تمكنت من التفوق على لاعبين متمرسين والفوز بلقب بطلة ولاية كنتاكي. إنها إليزابيث هارمون، التلميذة في الصف السابع بإعدادية فيرفيلد، التي أظهرت «تمكناً لم تبلغه امرأة من قبل»، بحسب تصريح هاري بلتيك الذي جرّدته الآنسة هارمون من لقب بطل الولاية.

---

(1) نيكيتا خروتشوف (1894-1971): السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي، حكم الاتحاد السوفييتي بين عامَي 1953 و1964. (المترجم)

كشرت بيث: لقد كرهت الصورة. إنها تُظهر صغر حجم أنفها ونمش وجهها.

- أريد فتح حساب بنكي، قالت.

- حساب بنكي؟

- عليك مرافقتي إلى البنك.

- ولكن يا صغيرتي، «بماذا» ستفتحين حساباً بنكياً؟

مدَّت بيث يدها إلى جيبها، وأخرجت الشيك ثم مدته نحوها، فأمسكت به الأخيرة بيديها بحرص، كما لو كان مخطوطاً من البحر الميت. قرأته بصمت، ثم قالت بهدوء:

- مئة دولار.

- أنا بحاجة إلى والد أو وليّ أمر من أجل الإجراءات الإدارية في البنك.

- ربحتِها إذاً؟

- نعم، لقد كتبوا «الرتبة الأولى» على الشيك.

- فهمت. لم أكن أتصور أن بالإمكان كسب هذا المبلغ عن طريق لعبة الشطرنج.

- تُقدّم بعض البطولات مبالغ أكبر.

- يا إلهي!

تسمّرت عينا السيدة ويتلي وهي تحدّق في الشيك.

- يمكننا الذهاب إلى البنك يوم غد بعد المدرسة.

- بالتأكيد.

في اليوم التالي، وبعد العودة من البنك، وجدت بيث نسخة من مجلة الشطرنج في غرفة المعيشة، مقابل الأريكة. علقت السيدة ويتلي معطفها على المشجب في الخزانة، ثم التقطت نسخة المجلة.

- تصفحتها، فانتبهت لخبر تنظيم بطولة كبرى في سينسيناتي[1] أواسط شهر ديسمبر، مع جائزة أولى تقدر بـ 500 دولار.

تأمّلتها بيث طويلاً.

- يجب أن أذهب إلى المدرسة، كما أن سينسيناتي بعيدة عن هنا.

- تستغرق الرحلة بالحافلة ساعتين، لقد استعلمت عن الأمر.

- وماذا عن الدراسة؟

- يمكنني كتابة رسالة اعتذار لأسباب صحية، مدّعية أنك مصابة بكثرة الوحيدات العدوائية[2].

- ماذا؟

- كثرة الوحيدات العدوائية، تصاب بها الفتيات في سنك، بحسب ما قرأت في مجلة ليديز هوم جورنال.

واصلت بيث تفرسها في ملامح السيدة ويتلي، مخفية دهشتها، وقد خيّل إليها أن السيدة ويتلي لا تقلّ نفاقاً عنها.

- إلى أين سنذهب؟

- فندق غيبسون، غرفة مزدوجة تكلف اثنين وعشرين دولاراً لليلة. سعر تذاكر الحافلة هو أحد عشر دولاراً وثمانون سنتاً للتذكرة الواحدة، بالإضافة بطبيعة الحال إلى ثمن الوجبات. لقد أجريت حساباتي. سنحظى بهامش ربح مريح حتى وإن حصلت على الرتبة الثانية أو الثالثة.

---

(1) سينسيناتي: أكبر مدن ولاية أوهايو الأميركية، من أكبر المراكز الصناعية والتجارية وسط غرب الولايات المتحدة الأميركية. (المترجم)

(2) كثرة الوحيدات العدوائية: داء فيروسي معدٍ، يسببه فيروس إبشتاين-بار. (المترجم)

احتفظت بيث في حقيبتها بعشرين دولاراً ودفتر شيكات يضم عشر صفحات.

- يتوجب عليّ شراء كتب عن الشطرنج، قالت.

- بكل تأكيد. قالت السيدة ويتلي مبتسمة. إذا حررت لي شيكاً بثلاثة وعشرين دولاراً وستين سنتاً، فسوف أذهب من الغد لحجز التذاكر.

بعد أن اشترت بيث كتاب **افتتاحيات الشطرنج الحديثة** وكتاباً عن نهايات اللعب، غادرت مكتبة موريس ثم اجتازت الشارع للذهاب إلى متجر بورسيل الكبير، وهو أفضل من بين سنايدر بحسب ما سمعته على لسان فتيات الإعدادية. وجدت ما تبحث عنه في الطابق الرابع: قطع شطرنج خشبية، مطابقة تقريباً لقطع السيد غانز، مع قطع أحصنة مصنوعة يدوياً وقلاع صلبة. ترددت بشأن الرقعة، كانت على وشك شراء رقعة خشبية، ثم اكتفت برقعة من القماش، بمربعات خضراء وبيج، يسهل حملها.

أفرغت مكتبها فور عودتها إلى البيت، ثم فردت الرقعة ووضعت القطع فوقها. وضعت كتابيها الجديدين في زاوية، وكأس البطولة الفضي الطويل على شكل ملك شطرنج في زاوية أخرى. أشعلت بيث المصباح ثم جلست خلف المكتب تتأمل القطع وتلاعب الضوء بظلالها على الرقعة. خيّل إليها أنها ظلت طويلاً على هذه الحال، فالتقطت كتاب **افتتاحيات الشطرنج الحديثة**، وبدأت من الصفحة الأولى هذه المرة.

لم ترَ بيث مكاناً شبيهاً بفندق غيبسون من قبل. صدمتها مساحته الشاسعة، صخبه، الثريا والسجاد الأحمر في مدخله، الورود،

الأبواب الدوارة الثلاثة، بل وحتى البواب ببدلته الأنيقة. وصلتا من محطة الحافلات سيراً على الأقدام، حاملتين حقائبهما الجديدة. رفضت السيدة ويتلي تسليم الحقائب للبواب، وقدمت الاسمين لموظف الاستقبال، غير آبهة بالشرر المتطاير من عينَي البواب.

استرخت بيث بعد مرور بعض الوقت على دخولهما إلى الغرفة. نافذتان كبيرتان تطلان على الشارع الرابع الصاخب في تلك الفترة من النهار حيث تكثر السيارات. البرد قارس في الخارج، فيما يوجد سجاد سميك في الداخل، وحمام أبيض كبير مع مناشف حمراء نظيفة، وجدار تغطيه مرآة ضخمة. يوجد أيضاً جهاز تلفاز ملون على المنضدة، وملاءات حمراء براقة تغطي كل من السريرين.

تفحصت السيدة ويتلي الغرفة، وفتحت الأدراج، شغلت التلفاز ثم أطفأته، وفردت ثنية على السرير.

- طلبتُ غرفة مريحة، ويبدو أنهم لم يخيبوا ظني.

جلستْ بالقرب من الفراش، على الكرسي الفيكتوري بمسنده الكبير، كما لو كانت تقيم في فندق غيبسون منذ أمد بعيد.

ستجرى البطولة في قاعة بالطابق فوق الأرضي، وما على بيث إلّا النزول بالمصعد. عثرت السيدة ويتلي على مطعم صغير في الشارع الذي يضم الفندق، حيث تناولتا البيض واللحم المقدد في وجبة الإفطار، ثم عادت إلى فراشها حاملة علبة تشسترفيلد ونسخة من صحيفة إنكوايرر، بينما ذهبت بيث للتسجيل في البطولة. لم تحصل على تصنيف رسمي بعد، ولكنها انتبهت هذه المرة إلى أن أحد المنظمين يعرف من هي، فلم يتم وضعها مع المبتدئين. يتم خوض مباراتين كل يوم، بوتيرة 120/ 40، أي ساعتين للعب أربعين نقلة.

انهمكت بيث في كتابة اسمها عندما سمعت صوتاً جهورياً منبعثاً

من البوابة المزدوجة المفضية إلى القاعة. رفعت عينيها فرأت جزءاً من قاعة الحفلات الفسيحة، مع وجود صف طويل من الطاولات الفارغة وبعض المتجولين بينها.

دخلت فأبصرت شخصاً غريباً، ممدداً على الأريكة، واضعاً ساقيه بحذائهما الطويل على الطاولة المنخفضة.

- . . . ثم تصل القلعة إلى الصف السابع، مثل شوكة سمكة في الحلق. ألقى نظرة عليها، فدفع الثمن.

استند الرجل إلى الأريكة مطلقاً ضحكة مجلجلة.

- عشرون دولاراً.

كان الوقت مبكراً، لذلك لم يتواجد سوى ستة أشخاص في القاعة، ولا أحد أمام الطاولات التي وضعت فوقها الرقع. جميعهم يستمعون للغريب. كان في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً، يشبه القراصنة، بسروال جينز قذر، وسترة سوداء وقبعة صوفية باللون نفسه، بلغت مستوى حاجبيه، حتى بدت ملتصقة بهما، مثل شاربه الأسود. بدا مهملاً لحلاقة ذقنه، كما أن يديه مبقعتان، ومليئتان بالخدوش.

- دفاع كارو-كان[1]، قال ضاحكاً. يا لها من حيلة خبيثة.

- أين تكمن خصوصية الكارو-كان؟ سأله شاب أنيق يرتدي سترة قطنية.

- البيادق ولا شيء خلفها.

وضع قدميه على الأرض ثم اعتدل في جلسته. كانت هناك على الطاولة المنخفضة رقعة قديمة مليئة بالبقع، بمربعات خضراء وبيج،

---

(1) دفاع كارو-كان: افتتاحية شطرنج شبه مفتوحة مثل الدفاع الصقلي والدفاع الفرنسي، لكنها أقل ديناميكية وأكثر متانة. (المترجم)

مع قطع خشبية تكسرت بعض أطرافها، وقطعة ملك فقدت الرأس فأعاده باستخدام شريط لاصق.

- سأشرح لكم الآن، قال وهو يجذب الرقعة نحوه.

اقتربت بيث. كانت الفتاة الوحيدة الحاضرة. مد الرجل يده بأناقة مدهشة، والتقط البيدق الأبيض بأنامله ووضعه في الصف الرابع، ثم التقط البيدق أمام فيل الخصم، من جهة الملكة، وقدمه بثبات، وحرك البيدق أمام الملكة البيضاء بمربعين وفعل الشيء نفسه مع القطع السوداء، ثم رفع عينيه نحو المتحلّقين حوله الذين كانوا يولونه انتباهاً شديداً.

- الكارو-كان. أليس كذلك؟

تعرف بيث هذه الافتتاحية، لكنها لم تلعب بها من قبل. توقّعت أن الأبيض سيُخرج حصان ملكته، وهو ما تم بالفعل. أخذ الرجل بيدق الملك الأبيض بآخر أسود. أخذه الحصان الأبيض. ثم أخرج الأحصنة المتبقية في كل معسكر. تذكرت بيث هذه النقلة، لكنها بدت لها حركة خجولة هذه المرة. فوجئت هي نفسها بكلامها.

- كنت سآخذ الحصان، قالت بهدوء.

رفع الرجل حاجبيه، ناظراً إليها.

- أنت طفلة كنتاكي، التي مسحت الأرض بكرامة هاري بلتيك؟

- نعم، قالت. إذا أخذتَ الحصان، فستجد بيدقين على الخط نفسه.

- وماذا إذاً؟ البيادق ولا شيء خلفها. هذا هو السبيل الأمثل للفوز.

ترك الحصان وسط الرقعة، ثم قدم البيدق الأسود إلى مربع الملك الرابع وواصل محاكاة المباراة، محركاً القطع بإهمال ظاهري،

وموضحاً في بعض الأحيان الفخاخ التي وجب تجنبها. بدا ذلك أشبه بمقطوعة متناغمة تُعزف وسط الرقعة، أو مثل برنامج وثائقي يمر لقطة تلو لقطة على شاشة التلفاز، عندما يرى المشاهد ساق نبتة تخترق سطح التربة، قبل أن تنمو وتزهر، لتقدم وردة متفتحة.

تجمَّع آخرون شيئاً فشيئاً. شعرت بيث بتولد إثارة جديدة في أعماقها، في مواجهة هذا الاستعراض، مع متابعتها لمهارة صاحب القبعة الصوفية السوداء، وأيضاً جسارته وصفائه. كان يمسك بالقطع بأطراف أصابعه، كما لو كانت ذباباً ميتاً، دون أن يتوقف عن التعليق بصوت هادئ، مبرزاً نقاط القوة والضعف، وما يتوجب فعله مع كل نقلة. في لحظة معينة مال خلالها لتحريك قلعة نحو الصف الأخير، انثنى جسده ففوجئت بيث برؤيتها للسكين بمقبضها الجلدي والفولاذي تتدلى من حزامه. بدا بالفعل هارباً من **جزيرة الكنز** إلى درجة صارت معها السكين طبيعية تقريباً. قطع حركته في اللحظة نفسها.

- انظروا.

قدَّم القلعة السوداء بصفين، ليضعها بحركة استعراضية، قبل أن يعقد ذراعيه أمام صدره.

- والآن، كيف سيكون رد الأبيض؟ تساءل موجهاً نظراته إلى الجميع.

درست بيث الوضع. كانت القطع البيضاء في مأزق صعب. بادر أحد الحاضرين وقال:

- الملكة تأخذ البيدق؟

هز صاحب القبعة رأسه وابتسم.

- القلعة إلى مربع الملك الثامن، وضعية كش ملك، وستسقط الملكة.

هذا ما رأته بيث أيضاً، يبدو أن القطع البيضاء قد خسرت كل شيء. كانت على وشك التصريح بذلك عندما تدخّل شخص آخر.

- ميسز ضد ريشيفسكي، خلال الثلاثينيات.

نظر إليه الرجل.

- صحيح، في مارغات. سنة 1935.

- وضع الأبيض القلعة في مربع الملكة الأول، قال الآخر.

- بالضبط، وماذا بعد ذلك؟

لعب النقلة المشار إليها. الآن بدا كل شيء منطقياً، القطع البيضاء في طريقها لخسارة المباراة. تتابعت بعض النقلات السريعة، ونهاية لعبة بدا لوهلة أنها تأخرت بعض الشيء، لكن القطع السوداء تجرأت على التضحية ببيدق تم تجاوزه. بنقلة واحدة، أظهرت حركة الملكة بوضوح أن القطع السوداء ستحصل على الملكة نقلتين قبل القطع البيضاء. كانت مباراة مبهرة، مثل العديد من المباريات التي قرأت عنها بيث في الكتب.

نهض الرجل، خلع قبعته وتمطى قليلاً، ثم خفض بصره للحظة نحوها.

- هكذا كان يلعب ريشيفسكي وهو في سنك يا فتاة، بل وربما أصغر منك.

عندما عادت بيث إلى الغرفة، كانت السيدة ويتلي مستغرقة في قراءة صحيفة إنكوايرر. نظرت إلى بيث من وراء نظاراتها.

- بهذه السرعة؟

- نعم.

- وماذا فعلت؟

- لقد فزت.

منحتها السيدة ويتلي ابتسامة كبيرة.

- أنت كنز حقيقي يا عزيزتي.

قرأت السيدة ويتلي إعلاناً في صحيفة عن تخفيضات في شيليتو، وهو متجر كبير يبعد عن الفندق ببضع بنايات، فذهبتا إليه، ما دامت المباراة القادمة بعد أربع ساعات، حيث سقطت ندف صغيرة من الثلج.

اتجهت السيدة ويتلي نحو الطابق تحت الأرضي.

- أريد إلقاء نظرة على السترات، قالت بيث أخيراً.

- أي نوع تفضلين يا عزيزتي؟

- الكشمير.

رفعت السيدة ويتلي حاجبيها.

- الكشمير؟ هل تعتقدين أن ميزانيتنا تسمح بها؟

- أجل.

عثرت بيث على سترة بلون رمادي باهت، ناسبت مقاسها بشكل تام، وثمنها أربعة وعشرون دولاراً بعد التخفيض. وقفت أمام المرآة الكبيرة، محاولة تقليد فتيات نادي آبل باي، لكنها تمتلك الوجه الدائري نفسه، الذي يكسوه النمش، والشعر الكستنائي الأملس نفسه. هزت كتفيها، وأدت ثمن السترة باستخدام شيك سفر. عند ذهابهما إلى شيليتو، مرّتا بمتجر صغير وأنيق لبيع الأحذية، يعرض أحذية أكسفورد في الواجهة. اصطحبت السيدة ويتلي إلى هناك، واشترت حذاء وجوارب ملائمة له. تقول بطاقة الأسعار إنها «صوف 100 بالمئة، وصنعت في إنجلترا».

عادت بيث إلى الفندق، وقد صفعتها ندف الثلج الصغيرة المنهمرة. ظلت عيناها مسمَّرتين على الحذاء الجديد والجوارب. أحبت مظهر الحذاء الجلدي باللونين البني والأبيض، ودفء الجوارب براقة الألوان بكعبيها.

وضعها التباري في فترة ما بعد الظهر أمام رجل في منتصف العمر، جاء من أوهايو، وتصنيفه 1910. بدأت بافتتاحية الدفاع الصقلي وأجبرته على الاستسلام بعد ساعة ونصف. شعرت بصفاء ذهني لا مثيل له، وتمكنت من توظيف جزء مما تعلمته مؤخراً بفضل كتاب من تأليف أستاذ روسي يدعى بوليسلافسكي.

عندما أعادت ورقتها، وجدت سايزمور واقفاً بالقرب من المكتب. أسعدتها مقابلة وجوه مألوفة، جاءت من البطولة السابقة، ولكنها لم تكن ترغب في الواقع سوى في مقابلة وجه واحد - وجه تاونز. بحثت عنه بعينيها طويلاً، لكن من دون جدوى.

في المساء، تابعت السيدة ويتلي عبر شاشة التلفاز **بيفيرلي هيلبيليز**[1] **وذي ديك فان دايك شو**[2]، فيما انشغلت بيث بإعادة لعب مباراتَيها، سعياً منها لتحديد نقاط ضعفها، فلم تكتشف أي خطأ. أخذت كتاب روبن فاين عن نهايات اللعب في الشطرنج، فالنهايات تحمل في عمقها شيئاً مميزاً، عندما تفرغ الرقعة من كل قطعها باستثناء قطعة واحدة أو قطعتين، ويرتبط كل شيء بمدى قدرة

---

(1) The Beverly Hillbillies: مسلسل أميركي بالأبيض والأسود جرى عرضه بين عامَي 1962 و1971. (المترجم)

(2) The Dick Van Dyke Show: مسلسل أميركي بالأبيض والأسود جرى عرضه بين عامَي 1961 و1966. (المترجم)

بيدق على أن يصبح ملكة. هي مواجهة من نوع آخر، بدقة قد تكون مزعجة أحياناً، بما لا يسمح بتنظيم هجمات شرسة من النوعية التي تفضلها بيث.

لكن كتاب روبن فاين أصابها بالملل، فأغلقته واندست في سريرها. كانت هناك حبتا مهدئ في جيب منامتها. أطفأت الضوء وابتلعت الحبتين. أكثر ما تخشاه هو الاستسلام للأرق.

في اليوم الثاني، جرت الأمور بالسهولة نفسها، وإن واجهت لاعبين أكثر خبرة. احتاجت إلى بعض الوقت للتخلص من آثار المهدئات، لكنها نجحت في تجاوز ضبابية ذهنها قبل المباراة الأولى، بل وتحريك قطعها بلا أي تردد يذكر. كانت تلتقطها وتضعها في المكان الصحيح بثقة كاملة.

لم تكن هناك غرفة مخصصة «للرقع الأولى» في هذه البطولة: تواجدت الرقعة رقم 1 في الصف الأول ببساطة شديدة. لعبت بيث مباراتها الثانية عند الرقعة رقم 6، وقد تدفق المتفرجون لمتابعتها عندما أجبرت خصمها الأستاذ على الاستسلام بعدما أخذت إحدى قلعتَيه. علت التصفيقات، وعندما رفعت عينيها أبصرت ألما ويتلي في الخلف، وقد رسمت على وجهها ابتسامة كبيرة.

وضعتها المباراة الأخيرة عند الرقعة رقم 1، في مواجهة أستاذ يدعى رودولف، نجح في إجراء تبديلات وسط الرقعة، بعدما بلغت المباراة منتصفها، وشعرت بيث بالقلق مع إجبارها على اللعب بقلعة وحصان وثلاثة بيادق، الوضع نفسه بالنسبة إلى رودولف، مع فيل عوض الحصان، وهي لا تحب ذلك، لأن الفيل يملك تفوقاً واضحاً، ولكنها نجحت رغم ذلك في توظيف حصانها ومبادلته بالفيل، محافظة على أقصى درجات حذرها لساعة ونصف. قام

رودولف بنقلة خاطئة، فاستغلت بيث الفرصة. حاصرته في وضعية كش ملك باستخدام بيدق، ثم بادلت قلعتها بقلعته فحصلت على بيدق متقدم تحت حماية ملكها. استسلم رودولف وقد بدا غاضباً للغاية، متحسراً على خطئه.

تصاعدت التصفيقات، فنظرت بيث إلى الجمهور المتحلق حولها. كانت السيدة ويتلي في الصف الأخير تقريباً، مرتدية فستانها الأزرق، تصفق بسعادة ورضاً.

لدى عودتهما إلى الفندق، كانت السيدة ويتلي تحمل كأس البطولة، فيما وضعت بيث الشيك في جيبها. دوّنت السيدة كل شيء في ورقة من تلك المخصصة لكتابة الرسائل، وضعتها فوق التلفاز: ستة وستون دولاراً نظير ثلاث ليال في فندق غيبسون، بالإضافة إلى ضريبة قدرها ثلاثة دولارات ونصف، ثلاثة وعشرون دولاراً وستون سنتاً ثمناً لتذاكر الحافلة، وثمن الوجبات، بما يتضمن البقشيش.

- احتسبت اثني عشر دولاراً لعشاء هذه الليلة، احتفالاً بفوزك، ودولارَين لفطور الغد، ليصبح إجمالي مصاريفنا مئة واثنين وسبعين دولاراً وثلاثين سنتاً.

- الباقي أكثر من ثلاثمئة دولار، قالت بيث.

عمَّ الصمت. فهمت بيث كل الأرقام، لكنها تفحصت الورقة. تساءلت في أعماقها ما إذا كانت مطالبة بعرض فكرة تقاسم المبلغ مع السيدة ويتلي، وإن لم تكن راغبة في ذلك، فهي التي فازت بالبطولة.

كسرت السيدة ويتلي الصمت.

- ربما بإمكانك منحي نسبة عشرة بالمئة، قالت بنبرة لطيفة. بصفتي مديرة أعمالك.

- اثنان وثلاثون دولاراً وسبعة وسبعون سنتاً، قالت بيث.

- أخبروني في ميثوين بأنك متفوقة للغاية في الرياضيات.

هزت بيث رأسها.

- حسناً.

تناولتا لحم عجل مع الصلصة في مطعم إيطالي. طلبت السيدة ويتلي لنفسها نبيذاً أحمر، شربته وهي تدخن سجائر تشسترفيلد أثناء تناولها لطعامها. أحبت بيث الخبز والزبدة البيضاء الباردة، كما أحبت البرتقال المستقر فوق طاولة البار، بالقرب من طاولتهما.

أفرغت السيدة ويتلي كأسها في جوفها، مسحت شفتيها ثم أشعلت سيجارتها الأخيرة.

- عزيزتي بيث، سيتم تنظيم بطولة أخرى في هيوستن، خلال العطلة، ابتداء من يوم السادس والعشرين من ديسمبر. لا أعتقد أن السفر يوم عطلة عيد الميلاد سيمثل مشكلة بالنسبة إلينا، ما دام الجميع مشغولين وقتها بتناول حلوى البودينغ، أو شيء من هذا القبيل.

- أعلم ذلك.

قرأت بيث الإعلان في مجلة الشطرنج فتملكتها رغبة كبيرة في المشاركة، ولكن هيوستن بدت لها بعيدة جداً، مع جائزة أولى قدرها ستمئة دولار.

- أعتقد أن بإمكاننا السفر بالطائرة، قالت السيدة ويتلي بنشاط. سنحظى بفرصة قضاء العطلة الشتوية في مكان مشمس.

شربت بيث عصيرها المثلج.

- حاضر، قالت. ثم كررت دون أن ترفع عينيها. حاضر يا أماه.

عند سفرهما بالطائرة، كان عشاء عيد الميلاد لحم ديك رومي تم تسخينه في الفرن، مع كأس مجاني من الشامبانيا للسيدة ويتلي، وعصير برتقال معلب لبيث. كان هذا أجمل عيد ميلاد في حياتها. حلقت الطائرة فوق مدينة كنتاكي المكسوة بالثلوج، ودارت أكثر من مرة فوق خليج المكسيك. حطَّتا في منطقة أخرى مشمسة حرارتها مرتفعة. غادرتا المطار، ومرتا أمام سلسلة من أوراش البناء، مع رافعات عملاقة صفراء اللون وبلدوزرات متوقفة بالقرب من عارضات صغيرة مكدسة فوق بعضها، وقد قام أحدهم بتعليق إكليل احتفالي براق على إحدى العارضات.

كان قد وصلها بالبريد العدد الأخير من **مجلة الشطرنج** أسبوعاً واحداً قبل سفرهما. تصفحتها بيث فوجدت صورة صغيرة لها، وبلتيك خلفها، أعلاها عنوان كبير: **تلميذة في الإعدادية تجرّد بطل ولاية كنتاكي من لقبه**، حيث تمت مناقشة تفاصيل المباراة ومعها تعليق: «أصيب المتتبعون بالدهشة حيال التحكم الكبير للطفلة بنقلاتها واستراتيجية لعبها وامتلاكها لثقة تفوق ثقة البالغين». أعادت بيث قراءة المقال مرتين قبل تمرير النسخة إلى السيدة ويتلي التي قرأته بصوتٍ عالٍ وبنبرة ابتهاج.

- رائع! علقت قائلة.

قرأت هذه المرة بصمت، ثم أردفت بأنفاس متقطعة:

- إنها سمعة وطنية يا عزيزتي.

أحضرت السيدة ويتلي النسخة معها خلال سفرهما بالطائرة، حيث أمضتا بعض الوقت في تحديد البطولات التي ستشارك فيها بيث خلال الأشهر القادمة، ووصلتا إلى تحديد بطولة واحدة شهرياً، وقد عبّرت السيدة عن خشيتها من المبالغة في بعث رسائل ادعاء

المرض للمدرسة، بما سيؤثر على «مصداقيتها». تساءلت بيث، إن لم يكن من الأفضل تقديم طلب مباشر -ما دام معتاداً تقديم التلاميذ الذين يمارسون كرة السلة أو كرة القدم طلبات غياب عن الحصص الدراسية- لكن بدا أن السيدة ويتلي مرتاحة أكثر لهذا الوضع، حيث بدا ذلك أقرب إلى المؤامرة.

فازت في هيوستن بسهولة بالغة. وكما قالت السيدة ويتلي، فقد «فهمت طبيعة الأمور» بشكل ممتاز. اضطرت بيث للقبول بالتعادل في المباراة الثالثة، لكنها فازت بالمباراة النهائية بسلسلة من النقلات البارعة، محطمة بذلك بطل الجنوب الغربي، البالغ من العمر أربعين عاماً، كما لو كان مجرد مبتدئ في اللعبة.

بقيتا في المدينة يومين إضافيين، «للتمتع بحرارة الشمس»، وزارتا متحف الفنون الجميلة وحديقة الحيوانات. ظهرت صورة بيث في الصحيفة بعد يوم واحد من اختتام البطولة، وقد أراحها ما قرأته هذه المرة. «**الطفلة المعجزة**»، كما أشار المقال.

اشترت السيدة ويتلي ثلاث نسخ. «وماذا لو قمت بإعداد ألبوم صحفي؟».

بحلول شهر يناير، اتصلت السيدة ويتلي بالإعدادية لتقول إن بيث قد تعرّضت لانتكاسة صحية، وذهبتا إلى تشارلستون. تحدثت في فبراير عن زكام وذهبتا إلى أتلانتا، وفي مارس عن أنفلونزا وذهبتا إلى ميامي. تحدثت السيدة أحياناً إلى ناظرة المدرسة، وأحياناً إلى عميدة الفتيات. لم توضع مبرراتها موضع شك. ربما سمع بعض التلاميذ بانتصارات بيث في الشطرنج عن طريق الصحف أو بطرق أخرى، لكن لم يعلق أي موظف في الإدارة بكلمة. كانت

بيث تقضي لياليها بين البطولات، تراجع مبارياتها. خسرت مباراة واحدة في أتلانتا لكنها حصلت على المرتبة الأولى رغم ذلك. لم تخسر أي مباراة في البطولتين التاليتين. استمتعت بركوب الطائرة رفقة السيدة ويتلي، التي تخلت عدة مرات عن جديتها، مع احتسائها للمارتيني، فكانتا تثرثران وتتبادلان الضحكات. سخرت السيدة ويتلي من المضيفات، وستراتهن المكوية بعناية، ومكياجهن المبالغ فيه، كما تحدثت عن سخافة بعض جيرانها في لكسينغتون. ضحكت بيث طويلاً، متطلعة إلى الغيوم عبر النافذة، وقد اعتراها شعور غامر بالرضا، لم يراودها حتى عندما كانت في ميثوين، يوم احتفظت بالحبوب المهدئة لتناول خمس أو ست حبات دفعة واحدة.

بدأت تحب حياة الفنادق والمطاعم وإثارة البطولات والانتصارات المتتالية، منتبهة لتضاعف عدد المتفرجين والمهتمين. صارت معروفة في كل البطولات، فهي الأصغر سناً دائماً، وأحياناً الأنثى الوحيدة. كلما عادت إلى المدرسة بدت لها الأشياء أكثر إثارة للملل. يتحدث بعض التلاميذ عن مواصلة دراستهم الجامعية، فيما يتحدث آخرون عن البحث عن وظائف. تحدثت فتاتان تعرفهما عن امتهان التمريض. لم تشارك أبداً في هذه الحوارات، وهي تعلم جيداً ما الذي ترغب في فعله مستقبلاً، كما لم تحدّث أحداً عن رحلاتها وصعود نجمها في عالم الشطرنج.

لدى عودتهما من ميامي في شهر مارس، وجدتا رسالة من اتحاد الشطرنج تنتظرهما في صندوق البريد. كانت تحوي بطاقة عضويتها الأولى، بتصنيفها: 1881. تم إعلامها بأنها بحاجة إلى بعض الوقت حتى تواثم الأرقام قوتها الحقيقية. كانت راضية الآن بحصولها على التصنيف. ستتقدم في التصنيف بشكل تدريجي.

الخطوة التالية الأكثر أهمية هي الوصول إلى لقب الأستاذ عند 2200 نقطة. بعد 2000 نقطة، يسمّونك خبيراً، لكن ذلك لا يعني الشيء الكثير. ما كان يهمها ويثير حماسها هو لقب الأستاذ الدولي الكبير.

ذهبتا في الصيف إلى نيويورك، فندق هنري هدسون. بالرغم من أنهما كانتا تكتفيان في المنزل بوجبات مثلجة، إلّا أنهما استسلمتا لتفوق الطبخ الراقي، فذهبتا في نيويورك إلى المطاعم الفرنسية، متجولتين في المدينة عبر الحافلة للذهاب إلى بيسترو أو مقهى أرجنتوي. في لكسينغتون، ذهبت السيدة ويتلي واشترت دليل سفر في محطة استراحة، حيث اختارت أماكن ذات ثلاثة نجوم أو أكثر لتقوما بتحديد مواقعها على الخريطة. كانت الأسعار باهظة، لكنهما لم تلقيا بالاً لذلك. طلبت بيث سمك تروتة مدخنة، لا سمكاً طازجاً، فلم تتمكن من نسيان طعم السمك الإجباري ليوم الجمعة في ميثوين. وقررت أن تختار اللغة الفرنسية في سنتها المقبلة بالإعدادية.

تمثلت مشكلتها الوحيدة خلال أسفارها، في اضطرارها لتناول مهدئات السيدة ويتلي لكي تتمكن من النوم، وحاجتها إلى أكثر من ساعة لاستعادة صفاء ذهنها صباحاً. لكن البطولات لا تبدأ أبداً قبل الساعة التاسعة، فكانت تستيقظ دوماً بشكل مبكر لتناول عدة فناجين من القهوة. لم تكن السيدة ويتلي على علم بذلك، ولم تهتم باستهلاكها المبالغ فيه للقهوة، ففي نهاية المطاف، كانت تعاملها كبالغة، وبدا أحياناً أن بيث هي الأكبر سناً.

أحبت بيث مدينة نيويورك. أحبت ركوب الحافلة، واهتزازات قاطرات المترو. أحبت التجوال ورؤية واجهات المتاجر الكبرى، عندما يسمح وقتها بذلك، كما أحبت سماع أشخاص يتحدثون

باليديشية أو الإسبانية. لم تهتم كثيراً بالأجواء الخطرة، وأسلوب قيادة سيارات الأجرة بشكل متهور، أو حتى البهرجة المزعجة في تايمز سكوير. ذهبتا في ليلتهما الأخيرة إلى راديو سيتي ميوزيك هول لمشاهدة **ويست سايد ستوري** ورروكتس. شعرت بيث بسعادة بالغة مع جلوسها على مقعد أعلى القاعة الفسيحة.

اعتقدت بداية أن صحفي مجلّة **لايف** سيكون شخصاً يدخن سيجارة تلو أخرى، ويشبه لويد نولان[1]، لكن تبيّن أن طارق الباب سيدة قصيرة، ترتدي فستاناً أسود، بشعر رمادي، يرافقها رجل يحمل آلة تصوير. قدّمت نفسها بصفتها جان بالك. بدت أكبر من السيدة ويتلي. تجولت الصحفية في غرفة المعيشة بخطوات سريعة وحركة واثقة، متفحصة عناوين الكتب على الرفوف، ومتمعنة في تفاصيل اللوحات المعلقة على الجدران، قبل أن تبدأ في طرح الأسئلة. بدت صريحة ولطيفة.

- أنا مندهشة للغاية، قالت، وإن كنت بعيدة كل البعد عن عالم الشطرنج. يقولون إنك جوهرة حقيقية.

شعرت بيث ببعض الإحراج.

- أن تكوني الفتاة الوحيدة في هذا العالم الرجالي، ما الذي يمثله ذلك بالنسبة إليك؟

- لا يزعجني ذلك.

- ألا تشعرين بالخوف؟

كانتا تجلسان متقابلتين. مالت الآنسة بالك، وهي تحدجها بنظرات ثابتة.

---

(1) لويد نولان (1902-1985): ممثل أميركي. (المترجم)

هزت بيث رأسها. اقترب المصور من الأريكة وبدأ يأخذ بعض المقاسات المتعلقة بزاوية التصوير.

- في طفولتي، قالت الصحفية، كنت ممنوعة من المشاركة في كل المسابقات، فاكتفيت باللعب بالدمى.

تراجع المصور ناظراً إلى بيث من خلال عدسة آلته. تذكرت الدمية التي أهداها إياها السيد غانز.

- لا أعتبر لعب الشطرنج منافسة بحد ذاتها، قالت.

- لكنك تلعبين من أجل الفوز، أليس كذلك؟

ودّت بيث لو أنها تحدّثها عن الجمال الكامن في رقعة الشطرنج. تطلعت إلى الوجه المدبب والمركز للآنسة بالك، فلم تجد كلمات مناسبة.

- هل تواعدين أحداً؟

- لا، أنا في الرابعة عشرة.

بدأ المصور يلتقط الصور.

أشعلت الآنسة بالك سيجارة. مالت لنثر رمادها في إحدى منافض سجائر السيدة ويتلي.

- هل أنت مهتمة بالفتيان في سنك؟

شعرت بيث بالانزعاج. كانت ترغب في الحديث عن الظروف التي تعلمت فيها لعب الشطرنج، والبطولات التي فازت بها، والحديث عن مورفي وكابابلانكا. لم تستلطف هذه المرأة ولا الأسئلة التي تطرحها.

- اهتمامي منصبٌّ بالدرجة الأولى على الشطرنج.

ارتسمت ابتسامة كبيرة على محيّا الآنسة بالك.

- حدثيني عن ذلك، كيف تعلمت الشطرنج وفي أي سن بدأت اللعب؟

حكت لها كل التفاصيل، فقامت الآنسة بالك بتدوين ملاحظاتها، وإن شعرت بيث بأنها غير مهتمة بما ذكرته. تكلمت فأدركت أنها لا تملك الكثير لقوله.

في الأسبوع التالي في المدرسة، خلال حصة الجبر، انتبهت بيث للفتى الجالس أمامها وهو يمرر عدداً من مجلة **لايف** إلى زميلته. استدارا نحوها، وتطلعا إليها كما لو كانت أول مرة ينتبهان فيها لوجودها. استوقفها الفتى -وهو الذي لم يسبق له أن كلّمها من قبل- وطلب منها توقيع أوتوغراف على نسخة المجلة. فوجئت بيث بتصرفه، فالتقطت النسخة: صفحة كاملة، مع صورة لها أمام رقعتها، بملامح صارمة، مع صورة أخرى للمبنى الرئيسي في ميثوين، وعنوان كبير أعلى الصفحة: **عبقرية صغيرة على طريقة موزارت تبهر عالم الشطرنج**. وضعت المجلة على الطاولة ووقّعت مستخدمة قلم زميلها.

عندما عادت إلى البيت، وجدت السيدة ويتلي تضع نسخة من المجلة فوق ركبتيها، وتقرأ بصوتٍ عالٍ:

«لا يرى البعض في الشطرنج سوى هواية أو فرصة لتزجية الوقت، لكنه تحدٍّ أو حتى هوس بالنسبة إلى آخرين. من حين إلى آخر تظهر بعض المواهب في هذا المضمار، يأتي طفل من بعيد ليدهشنا بموهبته الفذة، في لعبة قد تكون هي الأصعب بين نظيراتها. وماذا لو كان هذا الطفل أنثى - فتاة صغيرة بعينين عسليتين وفستان أزرق، لا تبتسم أبداً؟

لم يحدث مثل هذا الأمر من قبل، لكنه حصل مؤخراً. في لكسينغتون بكنتاكي، وسينسيناتي وتشارلستون وأتلانتا وميامي، وقبل فترة في نيويورك. ففي مملكة بطولات

الشطرنج الكبرى، المخصصة حصراً للذكور، تابعنا جميعاً دخول فتاة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها، بنظرات ثابتة ومتقدة، تلميذة في الصف الثامن بإعدادية فيرفيلد في لكسينغتون في كنتاكي، لا ترحم أياً من منافسيها...».

- هذا رائع! قالت السيدة ويتلي. هل أكمل القراءة؟

- لقد تحدثوا عن دار الأيتام.

كانت بيث قد أحضرت نسخة بدورها.

- وتطرقوا أيضاً إلى بعض مبارياتي، لكنهم يركزون بشكل أكبر على كوني فتاة.

- أجل، هذا صحيح.

- لا يجب أن يكون ذلك بتلك الأهمية، قالت. لقد حذفوا أكثر من نصف ما قلته، ولم يذكروا السيد شايبل، ولم يشيروا إلى طريقة لعبي لافتتاحية الدفاع الصقلي.

- ولكن يا بيث، قالت السيدة ويتلي، أنت تطرقين أبواب الشهرة!

نظرت إليها بيث مفكرة.

- خصوصاً لأنني فتاة.



صباح اليوم التالي، استوقفتها مارغريت في أحد ممرات الإعدادية. كانت ترتدي سترة من وبر الجمال، وقد قصت شعرها الأشقر ليبلغ كتفيها، فبدت أجمل حتى من السنة الماضية عندما سرقت منها بيث عشرة دولارات من حقيبتها.

- لقد كلفني نادي آبل باي بدعوتك، قالت مارغريت باحترام. سننظم حفلة خاصة في منزلي يوم الجمعة القادمة.

الآبل باي. بدا ذلك غريباً. وافقت بيث، وعندما قامت بتدوين العنوان انتبهت إلى أنها أول مرة تتحدث فيها مع مارغريت.

قضت أكثر من ساعة بعد ظهر ذلك اليوم تجرب مقاسات بعض الفساتين في متجر بورسيل، ليقع اختيارها في نهاية المطاف على فستان بلون أزرق وياقة بيضاء، من بين أغلى ما يعرضه المحل. عندما أرته للسيدة ويتلي في المساء، قائلة إنها ستشارك في سهرة لنادي آبل باي، بدت الأخرى مسرورة جداً.

- تبدين أنيقة فعلاً! قالت عندما استعرضت بيث الفستان أمامها.

لمع الخشب الأبيض في بهو منزل مارغريت، وعلى الجدران لوحات زيتية حصراً - معظمها عن الخيول. كان الطقس معتدلاً بالنسبة إلى المعتاد خلال شهر مارس، ولكن النار اضطرمت رغم ذلك في المدفأة البيضاء. عندما وصلت بيث، مرتدية فستانها الجديد، انتبهت لوجود أربع عشرة فتاة وصلن قبلها، جالسات على أرائك بيضاء وأخرى بألوان بهيجة. معظمهن يرتدين تنانير وسترات.

- أن تظهر إحدى طالبات فيرفيلد في عدد من مجلة **لايف**، هذا عظيم للغاية، كدت أفقد وعيي من شدة الانبهار!

بدأت بيث تحدثهن عن البطولات، فقاطعنها لطرح أسئلة عن الفتيان. هل كانوا وسيمين؟ هل قامت بمواعدة أيٍّ منهم؟

- لم يكن الوقت يسمح بالانشغال بمثل هذه الأمور، قالت بيث، فغيّرن الموضوع.

تحدّثن لمدة ساعة كاملة عن الفتيان والشباب والمواعيد الغرامية، والملابس، وهنّ ينتقلن عشوائياً من التكلف المدروس إلى

الضحك. ظلت بيث جالسة في مكانها على طرف الأريكة، شاعرة بالحرج، وكأس من الكريستال مليء بكوكا كولا في يدها، عاجزة عن التفوه بكلمة واحدة. مع حلول الساعة التاسعة، شغلت مارغريت التلفاز الضخم بالقرب من المدفأة، وباستثناء بعض الضحكات المكتومة، عمَّ الصمت طوال فترة عرض «فيلم الأسبوع».

ظلت بيث معهن إلى حدود الساعة الحادية عشرة، دون أن تشارك في نميمتهن وضحكاتهن خلال فترة الإعلانات. وجدت نفسها مندهشة. أهذا هو نادي آبل باي النخبوي الذي أثار انبهارها مع وصولها إلى لكسينغتون؟ هكذا يمضين سهراتهن إذاً: مشاهدة فيلم لتشارلز برونسون[1]. ولم ينتزع فتيل الصمت إلا عندما هتفت إحداهن، واسمها فيليسيا:

- أتساءل ما إذا كان قوياً فعلاً في الواقع مثلما يبدو هنا!

كان هذا التعليق الوحيد الذي انتزع ضحكات بيث.

عندما همّت بالمغادرة بحلول الساعة الحادية عشرة، لم تحثّها إحداهن على البقاء، ولم تطلب منها إحداهن الانضمام إلى النادي. عادت بسيارة أجرة، شاعرة بالارتياح، وأمضت ساعة تقرأ كتاب **منتصف اللعب في الشطرنج** لـ د. لوتشينكو، مترجَماً عن اللغة الروسية.

في البطولة التالية، كان كل زملائها على علم بمشاركتها، ولم تكن بحاجة إلى مبرر صحي هذه المرة. ذهبت السيدة ويتلي لمقابلة مدير المدرسة، فحصلت بيث على إعفاء من حضور الدروس. لم

---

(1) تشارلز برونسون (1921-2003): ممثل أميركي شهير، أبرز أفلامه «حدث ذات مرة في الغرب». (المترجم)

يتحدث أحد عن ادعائها المرض سابقاً، بعدما توالى الحديث عنها في الجريدة المدرسية والإشارة إليها عندما تسير في ممرات الإعدادية.

كانت البطولة في كانساس سيتي، وبعد فوزها، قام منظم البطولة بدعوتها لمأدبة عشاء، قائلاً إن حضورها شرف للجميع. كان شاباً جاداً عاملها بأقصى درجات الاحترام.

- أريد المشاركة في بطولة الولايات المتحدة الأميركية المفتوحة، قالت بيث عند تناولهم التحلية والقهوة.

- بالطبع، قال. وبإمكانك الفوز بها.

- هل يعني ذلك سفرها إلى الخارج للمشاركة في بطولات دولية؟ سألت السيدة ويتلي. في أوروبا على سبيل المثال؟

- بالطبع.

الشاب يدعى نوبايل. يرتدي نظارة بعدستَين سميكتَين ويشرب مياه مثلجة باستمرار.

- ستتم دعوتك إن بلغتهم شهرتك.

- وهل سيضمن لي الفوز ببطولة الولايات المتحدة الأميركية المفتوحة ذلك؟

- بالتأكيد، منذ حصول بيني واتس على لقب دولي وهو يشارك في بطولات بأوروبا.

- كم تبلغ قيمة الجوائز؟ سألت السيدة ويتلي وهي تشعل سيجارة.

- مبالغ مهمة حسب علمي.

- وماذا عن روسيا؟ قالت بيث.

حدجها نوبايل بنظرات ثابتة، كما لو أنها مسّت بسؤالها منطقة محظورة.

- روسيا، قال في نهاية المطاف، إنها الجحيم ذاته. الروس يكتسحون الأميركيين بسهولة تامة.

- حقّاً... قالت السيدة ويتلي.

- هذا صحيح، لا أعتقد أن أي أميركي قد امتلك أدنى فرصة في مواجهة الروس خلال العشرين سنة الماضية على الأقل. الأمر شبيه إلى حد ما بالباليه، هم يتلقون هناك رواتب نظير لعبهم للشطرنج.

تذكرت بيث الصور التي رأتها في **مجلة الشطرنج**، الملامح الصارمة والمخيفة المركزة أمام الرقعة - بورغوف وتال ولاييف وشابكين، بجباههم المقطبة وبدلاتهم الغامقة. الشطرنج في روسيا مختلف تماماً عن نظيره في الولايات المتحدة الأميركية.

طرحت بيث سؤالاً أخيراً:

- كيف السبيل للمشاركة في بطولة الولايات المتحدة الأميركية المفتوحة؟

- يكفي إرسال رسم الدخول، أجابها نوبايل. هذا يشبه بقية البطولات، عدا أن المنافسة أصعب بكثير.

أرسلت بيث رسم المشاركة لكنها لم تشارك في البطولة بعدما أصيبت السيدة ويتلي بزكام أجبرها على البقاء طريحة الفراش لخمسة عشر يوماً، ولم تجرؤ بيث التي بلغت الخامسة عشرة على الذهاب وحدها. بذلت كل ما في وسعها لإخفاء ردة فعلها، ولكنها لم تتقبل فكرة مرض ألما ويتلي، وشعرت بالخوف من السفر وحدها. بطولة الولايات المتحدة الأميركية المفتوحة أقل أهمية من بطولة الولايات المتحدة الأميركية، لكن الوقت حان لاختيار مواجهاتها استناداً إلى

معايير أخرى غير الجائزة المالية. البطولات مثل بطولة الولايات المتحدة أو بطولة ميريويذر المغلقة تشبه عالماً صغيراً منغلقاً على نفسه، سمعت عنه بالصدفة في بعض المحادثات، أو قرأت عنه في **مجلة الشطرنج**، وقد حان الوقت بالنسبة إليها للدخول إلى هذا العالم، والوصول بذلك إلى المستوى الدولي. كانت ترى هدفها بوضوح أحياناً: محترفة حقيقية، أفضل لاعبة شطرنج في العالم، امرأة واثقة من نفسها، قادرة على السفر وحدها في الطائرة، في الدرجة الأولى، بأناقة كاملة، وجمال وثقة عالية بالنفس - نسخة بيضاء من جولين إن صح التعبير. فكرت كثيراً في كتابة رسالة لها، لكنها أحجمت عن ذلك.

تفحصت تفاصيل جسدها في المرآة أكثر من مرة، متخيلة المرأة الجميلة والمتزنة التي تريد أن تصبحها.

كبرت بيث وصارت أكثر جمالاً عند بلوغها السادسة عشرة، واختارت تسريحة شعر تُبرز اتساع عينيها، ولكنها واصلت إعطاء انطباع بأنها مجرد تلميذة. صارت تشارك في البطولات مرة كل ستة أسابيع - في إلينوي وتينيسي، وأحياناً في نيويورك، مع مواصلة القبول ببعض البطولات التي توفر جوائز بقيمة مالية تسمح بالاحتفاظ بفائض مالي مريح، بعد اقتطاع النفقات الأخرى.

تضخم حسابها البنكي، وهو ما أشعرها بالسعادة، ولكن بدا أن مسارها في اللعبة قد بلغ قمته، كما صار متجاوزاً الآن معاملتها باعتبارها طفلة معجزة.

الفصل السادس

نُظمت بطولة الولايات المتحدة الأميركية المفتوحة في لاس فيغاس، وقد بدا واضحاً أن نزلاء فندق ماريبوسا غير مهتمين. منهم لاعبو الروليت والنرد وبلاك جاك، حول طاولات القاعة الكبيرة، بقمصانهم وستراتهم متعددة الألوان، منغمسين في عالمهم، فيما كافتيريا الفندق في الجزء الآخر من القاعة. عندما تنقلت بيث بين الطاولات حيث يلعبون النرد، ليلة انطلاق البطولة، لم يبلغ مسامعها سوى صوت طقطقة الفيشات فوق البساط الأخضر. بوصولها إلى الكافتيريا، جلست على مقعد، وأدارت رأسها نحو المقاعد الفارغة تقريباً، لتلحظ وجود شاب وسيم، جالساً وحده أمام طاولة، مائلاً نحو فنجان قهوة. إنه تاونز، القادم من لكسينغتون.

نهضت واقتربت منه.

- مرحباً!

رفع رأسه، رمش بعينيه غير قادر على التعرف عليها.

- هارمون! هتف بعد ذلك. يا إلهي!

- أيمكنني الجلوس؟

- بالطبع، المفروض أن أتعرف عليك منذ الوهلة الأولى. أنت في القائمة.

- القائمة؟

- قائمة البطولة. لست هنا بصفتي مشاركاً. أرسلتني **مجلة الشطرنج** لتغطية الحدث. تفحصها بنظراته. وربما يمكنني تغطية مشاركتك لحساب صحيفة **هيرالد-ليدر**.

- صحيفة لكسينغتون؟

- بالضبط. لقد كبرت بشكل مدهش يا هارمون. لقد قرأت الحوار الذي نُشر في مجلة **لايف**. ركز بصره على وجهها. وقد صرت جميلة بالفعل.

منعها الارتباك من التعليق. بدا كل شيء غريباً في لاس فيغاس. على كل طاولة مصباح إضاءة مع قاعدة زجاجية ممتلئة بسائل أرجواني تتخلله بعض الفقاعات، تحت أباجورة بلون وردي براق. تسلمت لائحة الأطعمة والمشروبات من نادلة ترتدي جوارب مشبكة وتنورة قصيرة سوداء، وإن كان وجهها أقرب إلى وجه أستاذ في مادة الهندسة. منحها تاونز ابتسامة مشرقة، وقد بدا وسيماً، وهو يرتدي سترة سوداء وقميصاً رياضياً مخططاً. طلبت وجبة خاصة بفندق ماريبوسا: فطائر ساخنة مع بيض مخفوق، فلفل مشوي، وكوب كبير من القهوة.

- يمكنني تخصيص نصف صفحة عنك في عدد الأحد، قال تاونز.

قدموا لها البيض والفطائر، فتناولتها مع فنجانين من القهوة.

- لدي آلة تصوير في غرفتي، قال بتردد. لدي أيضاً رقعة شطرنج. هل ترغبين في اللعب؟

هزت كتفيها.

- حسناً، هيا بنا.

- رائع!

منحها ابتسامة مشرقة.

سمحت الستائر المفتوحة بإلقاء نظرة على موقف السيارات. لم يكن السرير الضخم مرتباً، وقد بدا أنه يحتل أغلب مساحة الغرفة. انتبهت لوجود ثلاث رقع شطرنج: واحدة على الطاولة بالقرب من النافذة، واحدة فوق المكتب، وأخرى في الحمام بالقرب من الحوض. أجلسها بالقرب من النافذة، وبدأ بتصويرها وهي منهمكة في تنظيم القطع فوق الرقعة. عجزت بيث عن مقاومة رغبتها في النظر إليه، وعندما اقترب بعدسة تصويره منها، شعرت بحرارة جسده، فانقطعت أنفاسها. خفق قلبها وهي تمد يدها لتحريك قلعة، منتبهة لارتجاف أصابعها.

التقط آخر صورة، ثم فك عدسة آلة التصوير.

- ستفي هذه الصور بالغرض. وضع الآلة على منضدة السرير. فلنلعب الآن.

رفعت عينيها نحوه.

- لم تخبرني باسمك الشخصي.

- ينادونني جميعاً بتاونز، قال. ربما أُفضِّل مناداتك بهارمون وليس إليزابيث لهذا السبب.

وضعت القطع على الرقعة.

- ينادونني ببيث.

- أنا أميل لمناداتك بهارمون.

- فلنلعب البليتز[1]، قالت. بإمكانك اللعب بالقطع البيضاء.

البليتز مباراة خاطفة، أسرع من أن تخضع لتعقيدات استراتيجيات اللعب في المباريات العادية. التقط ساعة الشطرنج على المكتب وقام بضبطها لكي تمنح لكل منهما خمس دقائق.

- المفروض ألا أمنحك سوى ثلاث دقائق فحسب.

- هيا، قالت بيث من دون النظر إليه.

الواقع أنها لم تكن ترغب إلّا في شيء واحد فقط: أن يقترب منها ويلمسها، أن يداعب ذراعها، أو يضع يده على خدها. وقد بدا لها أنه غير مهتم بذلك، بابتسامته الطبيعية. يستحيل أن يفكر فيها كما تفكر هي فيه. ولكنها تتذكر رغم ذلك ما قالته جولين ذات مرة: «هم لا يفكرون سوى في ذلك يا عزيزتي، إنه الشيء الوحيد الذي يشغل تفكيرهم». وكانا وحدهما في غرفته، بالقرب من السرير الضخم، في لاس فيغاس.

وضع الساعة بالقرب من الرقعة، فانتبهت بيث إلى أنه منحها وقتاً مساوياً لوقته. لم تكن ترغب حقيقة في لعب الشطرنج، بل في مطارحته الغرام. ضغطت على الزر من جانبها، فانطلقت الساعة. قدّم هو البيدق أمام الملك، ثم ضغط الزر. حبست أنفاسها للحظة، ثم ركزت على اللعب.

---

(1) البليتز أو الشطرنج الخاطف: مباراة شطرنج سريع يُمنح فيها لكل لاعب فقط 10 دقائق أو أقل كمدة للتفكير. البليتز كلمة ألمانية تعني «خاطف» وارتبطت بدرجة كبيرة بالهجمات الجوية النازية خلال الحرب العالمية الثانية. (المترجم)

فتحت بيث باب غرفتها بالفندق، فوجدت السيدة ويتلي جالسة على السرير، السيجارة في يدها والحزن في عينيها.

- أين ذهبت يا عزيزتي؟ قالت بصوت هادئ، أقرب للحزن، بما يذكر بالنبرة التي تكسو صوتها عندما تتحدث عن السيد ويتلي.

- كنت ألعب الشطرنج، قالت بيث. أنا أتدرب.

كان هناك عدد من مجلة الشطرنج فوق التلفاز. فتحتها بيث على الصفحة الأولى. لم يكن اسم تاونز مدوناً في قائمة المحررين، ولكنها عثرت في الأسفل على قائمة «المراسلين»، وتضم ثلاثة أسماء من بينها: د.ل. تاونز. ما زالت لا تعرف اسمه الأول حتى الآن.

سألتها السيدة ويتلي بعد مرور بعض الوقت:

- هل يمكنك إحضار علبة جعة؟ إنها فوق المنضدة المحاذية للسرير.

نهضت بيث. هناك خمس علب جعة فارغة على الصينية البنية التي يقدمونها ضمن خدمة الغرف، مع كيس بطاطس شيبس نصف فارغ.

- ألا ترغبين أنت أيضاً في شرب الجعة؟ قالت السيدة ويتلي.

تناولت بيث علبتين، شاعرة بالملمس البارد للمعدن في يدها.

- حسناً.

قدمت العلبتين للسيدة ويتلي وذهبت للبحث عن كأس نظيف في الحمام.

- أعتقد أنها أول مرة تشربين فيها الجعة، قالت السيدة ويتلي عندما ناولتها بيث الكأس.

- أنا في السادسة عشرة من عمري.

- حسناً. . . رفعت السيدة ويتلي حاجبيها، ثم سحبت سدادة العلبة، فأصدرت تكة خفيفة، لتملأ بعدها كأس بيث حتى تجاوزت الرغوة حافته. تفضلي، قالت كما لو أن الأمر يتعلق بدواء.

شربت بيث محتوى الكأس بجرعات صغيرة. لم تذق طعم الجعة من قبل، لكنه بدا شبيهاً بما تخيلته، أو ما اعتقدت أنها تعرفه منذ زمن طويل. أجبرت نفسها على عدم رسم تكشيرة على محيّاها، مفرغة نصف محتوى الكأس في جوفها. مدّت السيدة ويتلي ذراعها لسكب ما تبقى من محتوى العلبة. قربت بيث الكأس من شفتيها. ألهب السائل حلقها قليلاً، قبل أن تشعر ببعض الحرارة في معدتها. توردت وجنتاها لدى شربها لآخر نقطة في كأسها.

- يا إلهي، قالت السيدة ويتلي، لا يفترض بك شرب الجعة بهذه السرعة.

- أريد المزيد.

فكرت بيث في تاونز، في الطريقة التي نظر إليها عندما نهضت وهمَّت بالمغادرة بعد انتهاء المباراة. ابتسم والتقط يدها. كانت هذه الملامسة كافية لكي يصطبغ وجهها باللون الأحمر، كما فعلت بها الجعة قبل قليل. هزمته سبع مرات متتالية في البليتز. ضغطت أصابعها على الكأس، وانتابتها لثانية الرغبة في إلقاء الكأس أرضاً بكل قوتها، ورؤيته يتحطم، وهو ما عوّضته بالذهاب لتناول علبة جعة أخرى، حيث دست إصبعها في الحلقة وجذبتها.

- لا يفترض بك حقيقة. . .

ملأت بيث كأسها.

- حسناً، قالت السيدة ويتلي بإذعان، ما دمت مصرة، فأعطيني علبة أخرى. أتمنى فقط ألا يتسبب لك ذلك في أي أذى. . .

اصطدمت كتف بيث بإطار الباب عند ذهابها للحمام. وصلت في الوقت المناسب، حيث تقيأت، بما أشعرها بالتهاب حارق في منخريها. ظلت بعد ذلك في المرحاض، حيث انهارت باكية. ولكن رغم انهمار دموعها، وجدت في ثلاث علب من الجعة اكتشافاً جديداً، يعادل أهمية ما اكتشفته عندما كانت في الثامنة من عمرها، يوم احتفظت بحبات المهدئ الخضراء لتناولها دفعة واحدة. تستلزم المهدئات انتظار وقت طويل قبل سريان مفعولها والشعور بارتخاء عضلات بطنها، أما الجعة فهي قادرة على منح الشعور نفسه، لكن بشكل سريع ومباشر تقريباً.

- لا مزيد من الجعة يا عزيزتي، قالت السيدة ويتلي عندما عادت بيث إلى الغرفة. ليس قبل بلوغك الثامنة عشرة.

تم إعداد قاعة الحفلات لاستيعاب سبعين لاعباً، وقد تم إرسال بيث إلى الرقعة رقم 9، في مواجهة رجل صغير البنية، جاء من أوكلاهوما. فازت بالمباراة كما لو كانت في حلم، وبأربع وعشرين نقلة. انتقلت بعد الظهر إلى الرقعة رقم 4، حيث حطمت دفاعات شاب نيويوركي جاد للغاية، مستخدمة مناورة الملك، ومضحية بفيل، على طريقة بول مورفي.

يتجاوز سن بيني واتس العشرين عاماً، ولكنه بدا في نفس سنها. تابعته بيث بعينيها من حين لآخر. كان قد بدأ في الرقعة رقم 1، ولم يغيرها بعد ذلك. يقول البعض إنه أفضل لاعب شطرنج أميركي منذ مورفي. وجدت نفسها بالقرب منه عندما وقفا بجانب موزع كوكا كولا، لكنهما لم يتجاذبا أطراف الحديث. كان يحدث لاعباً آخر وعلى وجهه ابتسامة كبيرة. كانت محادثة ودية حول

تفاصيل الدفاع نصف السلافي[1] الذي درسته بيث قبل فترة قصيرة، وكان بإمكانها التعليق على فحوى حديثهما، لكنها ظلت صامتة، حيث أخذت مشروبها الغازي وعادت أدراجها. عند الاستماع إليهما، راودها إحساس مألوف وغير محبب: الانطباع بأن الشطرنج شأن ذكوري لا شأن لها به، وهو ما أشعرها بغضب كاسح.

كان واتس مرتدياً قميصاً أبيض بياقة مفتوحة وكمَّين مرفوعين. توحي ملامحه بالبهجة والدهاء في الآن ذاته. ومع شعر مجعد وشقرة تشبه لون القش، فهو يقدم نموذجاً للأميركي المثالي، مثل هكلبيري فين[2]، ولكن نظراته حملت -رغم كل ذلك- انطباعاً بوجود شيء غير مريح. هو أيضاً كان طفلاً معجزة، وإذا أضيف إلى ذلك حصوله على لقب بطل الولايات المتحدة، فقد شعرت بيث بالقلق. تذكرت إحدى مبارياته التي نشرت تفاصيلها، تعادل ضد بورتسمان، معنونة بـ«كوبنهاغن، 1948». كان بيني وقتذاك في الثامنة من عمره - سن بيث نفسه عندما كانت تلعب في القبو ضد السيد شايبل. وسط الكتاب صورة له في الثالثة عشرة من عمره، بملامح مهيبة، واقفاً خلف طاولة عريضة مع ضباط في البحرية بملابسهم الرسمية، كان قد واجه ثلاثة وعشرين رجلاً في أنابوليس وهزمهم جميعاً.

وجدته في المكان ذاته عندما عادت حاملة زجاجة كوكا كولا الفارغة. تفرس في ملامحها.

---

(1) الدفاع نصف السلافي: افتتاحية شطرنج تمنح القطع السوداء عدّة إمكانيات للتغلب على تفوق القطع البيضاء، لم تلق رواجاً بين لاعبي الصف الأول إلا مطلع التسعينيات. (المترجم)

(2) هكلبيري فين: بطل رواية **مغامرات هكلبيري فين** للكاتب الأميركي مارك توين. (المترجم)

- هِيْ! قال مبتسماً. أنت بيث هارمون.

وضعت الزجاجة في مكانها.

- أجل.

- قرأت مقال مجلة **لايف**. المباراة التي نشروا تفاصيلها جميلة للغاية.

يتعلق الأمر بالمباراة التي هزمتْ خلالها بلتيك.

- شكراً، قالت.

- أنا بيني واتس.

- أعرف ذلك.

- ولكن، ما كان عليك استخدام التبييت، قال محافظاً على ابتسامته.

اتسعت عيناها.

- كان لزاماً عليّ إخراج القلعة.

- كان من الممكن أن تفقدي بيدق الملك.

لم تفهم بيث قصده. تتذكر تفاصيل المباراة جيداً، كما أعادت لعبها في ذهنها عدة مرات، دون أن تكتشف وجود أي خطأ. أمن الممكن أن يتذكر تفاصيلها عن ظهر قلب، فقط بعد قراءتها واكتشافه وجود نقطة ضعف؟ أم أنه مجرد تباهٍ؟ صمتت متذكرة وضع القطع بعد التبييت، وقد بدا لها أن بيدق الملك كان في أمان.

- لا أظن ذلك.

- حرّك فيله إلى B-5، ولم يكن بإمكانك ترك قطعة مسمَّرة.

- لحظة من فضلك.

- لا أستطيع، قال بيني. يجب أن أكمل مباراة مؤجلة. أعيدي

توزيع القطع على رقعة أمامك وفكّري في الأمر. المشكلة عموماً متمحورة حول حصان ملكته.

اعتراها الغضب فجأة.

- لست بحاجة إلى رقعة للتفكير في الأمر.

- يا إلهي! قال وانصرف مبتعداً.

ظلت بيث واقفة في مكانها لدقائق طويلة بعد ابتعاده، قبل أن تفهم قصده. وجدت رقعة شطرنج على طاولة مجاورة، فأعادت توزيع القطع وفق ما جرى قبل التبييت، لكي تتأكد، لكنها شعرت في الوقت نفسه بمعدتها تتشنّج. لو قام بلتيك بتثبيت إحدى قطعها، فسوف يصبح حصان ملكته خطراً. كان عليها تحرير قطعتها، وتجنب الشوكة التي قد يمثلها هذا الحصان اللعين، بعدها قد يقدم بلتيك قلعته، وعندها ستفقد بيدقها وبالتالي ستأخذ المباراة منحى آخر. الأسوأ من كل هذا أنها لم تنتبه لكل هذه التفاصيل، فيما استطاع بيني واتس اكتشاف ذلك لمجرد اطلاعه على مباراةٍ مجهولةٍ في عدد من مجلة لايف. عضت شفتيها وهي واقفة أمام الرقعة، قبل أن تُسقط ملكها. هي التي افتخرت طويلاً باكتشافها لخطأ ارتكبه مورفي في إحدى مبارياته وهي بعد تلميذة في الصف السابع، تجد نفسها اليوم أمام وضع مشابه، لكنه ضدها هي. لم يرقها ذلك. لم يرقها أبداً.

عندما وصل واتس، كانت بيث جالسة خلف القطع البيضاء، في الرقعة رقم 1. صافحها قائلاً بصوت هامس:

- الحصان إلى مربع الحصان الخامس. أليس كذلك؟

- بلى، تمتمت بين أسنانها.

ظهر وميض آلة تصوير لوهلة، قبل أن تقدّم بيث البيدق أمام ملكتها.

اختارت مناورة الملكة، ولكنها شعرت بالخوف في منتصف المباراة، ولكنها أدركت في منتصف المباراة أن اختيارها كان خاطئاً. قد تقودها هذه الافتتاحية إلى وضعيات معقدة، ووضعيتها الحالية كانت بيزنطية بالفعل. نصف دزينة من القطع في كل معسكر، وما يقلقها، وما دفعها أكثر من مرة إلى مد يدها ثم التراجع قبل لمسها، هو أنها فقدت ثقتها بنفسها. لم تجد بيث في نفسها القدرة على رؤية ما بوسع بيني واتس رؤيته. كان يلعب بهدوء ودقة، يلتقط قطعه بمرونة ليضعها فوق المربع الصحيح من دون إصدار أي صوت، وأحياناً مع ابتسامة خفيفة ترتسم على شفتيه. بدت كل نقلاته صلبة. تستند قوة بيث بالأساس إلى هجماتها المفاجئة، ولكنها لم تجد أي إمكانية لشن هجوم. اعتراها الغضب منذ النقلة السادسة عشرة لاختيارها هذه الافتتاحية.

تحلّق أربعون شخصاً تقريباً حول طاولتهما، الأكبر حجماً من نظيراتها. وفي الخلف، على ستارة مخملية بنية، تم تثبيت اسميهما: **واتس وهارمون**. وفي غمرة غضبها وخوفها، تولّد في أعماق بيث شعور مرعب بأنها أقل مستوى من واتس، بأنه يفوقها خبرة، ويلعب الشطرنج أفضل منها. لم يراودها مثل هذا الشعور من قبل، وقد خيّل إليها أنها مسجونة، مقيدة، وهو ما لم يحصل منذ آخر لقاء جمعها بالسيدة ديردورف. رفعت رأسها ونظرت بشكل سريع إلى الجمهور، باحثة بعينيها عن السيدة ويتلي، التي لم تحضر، ثم مالت بجذعها نحو الرقعة. ألقت نظرة على بيني، بابتسامته الهادئة، كما لو أنه يقدّم لها مشروباً، لا معضلة شديدة التعقيد.

وضعت بيث مرفقيها على الطاولة، وجعلت رأسها يتكئ على قبضتَيها ثم راحت تركّز.

لمعت في ذهنها فكرة بسيطة بعد مرور بعض الوقت: أنا لا ألعب ضد بيني واتس، بل ألعب الشطرنج. نظرت إليه مرة أخرى. لا يمكنه أن يلعب أو يحرك قطعه أكثر منها. خفضت بصرها وبدأت تقيم نتائج كل نقلة ممكنة، وتخيل مواضع البيادق إذا لم تعد مكدسة وسط الرقعة. إذا أخذت حصان ملكه باستخدام فيلها فسيأخذه باستخدام بيدق ملكته... خيار سيّئ. بإمكانها تقديم حصانها وإجباره على التبديل. هكذا أفضل. رمشت بعينيها، وقد بدأت تشعر بالراحة، معيدة تنظيم مواضع البيادق في ذهنها، باحثة عن فرصة لاستعادة المبادرة. لم يعد شيء موجوداً أمامها سوى أربعة وستين مربعاً، والحركات الهندسية للبيادق - أفق تمزقه بيادق وهمية، بيضاء وسوداء، تتحرك وتتشكل من جديد، مع تجربتها لنقلات متنوعة، وتتحول إلى ما يشبه أغصان أشجار تتمدد مع كل نقلة. بدا لها أحد الأغصان واعداً بالكثير، فسمحت للغصن بحملها إلى حين وصولها إلى الوضعية المناسبة لما تبحث عنه.

أطلقت بيث زفرة، ثم اعتدلت في جلستها. أبعدت قبضتَي يديها عن وجهها، فشعرت ببعض الآلام في وجنتيها، وتصلُّب في ظهرها. ألقت نظرة على الساعة. لقد مرت أربعون دقيقة. تثاءب واتس. مدت ذراعها وقدّمت حصانها، لتفرض التبادل. من النظرة الأولى، بدت النقلة غير هجومية. ثم ضغطت على الزر.

فكر واتس لثلاثين ثانية، ثم أجرى التبديل. اجتاحها القلق من جديد. هل تمكن من كشف مخططاتها؟ وبهذه السرعة؟ حاولت طرد هذه الفكرة، ثم أخذت القطعة المتوفرة، فأخذ أخرى بدوره، كما

توقعت بالضبط. أخذت قطعة أخرى، فمد واتس يده للمواصلة، ثم تراجع متردداً. **خذها!** صرخت في أعماقها. لكنه سحب يده. إذا أدرك واتس ما الذي تعدّه ضده، فسوف يكون قادراً على الإفلات. عضت شفتها. كان يدرس وضعه بتركيز تام. سيرى كل شيء. أحست بأن دقات الساعة مزعجة للغاية. تسارعت دقات قلبها بقوة إلى درجة خشيت معها أن يتمكن واتس من سماعها، ويدرك أنها مذعورة، وأن...

إلّا أنه لم يفعل. قام بالتبديل الذي خطّطت له. نظرت إليه غير مصدقة. فات الأوان بالنسبة إليه. ضغط على الزر الذي يوقف ساعته، مطلقاً بالتالي ساعة بيث.

قدمت بيث البيدق أمام قلعتها إلى الصف الخامس، فتصلب واتس في مكانه - بطريقة يصعب تمييزها، لكنها لاحظتها بدقة. ركز كل انتباهه على الرقعة، ثم أدرك ربما أنه سيجد نفسه محاصراً ببيدقين على الخط. بعد مرور دقيقتين أو ثلاث، هز كتفيه وأجرى النقلة التي يفترض به القيام بها. واصلت بيث خطتها، وبعد نقلتين صار بيدقا واتس على الخط ذاته، فزال غضبها وقلقها. كانت تلعب الآن من أجل الفوز، سوف تركز هجومها على نقطة ضعفه، وهذا ما تعشقه هي، الهجوم.

نظر إليها بيني للحظة، بأعصاب هادئة، ثم مد يده لالتقاط ملكته، وقام بحركة مفاجئة، أخذ من خلالها بيدقها الأوسط. بيدق محمي، مكّن ملكتها من البقاء في أمان طوال المباراة تقريباً. لقد ضحى بالملكة، وهو ما لم تجد في نفسها القدرة على تصديقه.

فهمت أخيراً ما الذي يعنيه ذلك، لتعود آلام بطنها من جديد. كيف غاب ذلك عنها؟ فمن دون البيدق، ستكون مهددة بكش مات

بتحالف قلعة وفيل بسبب الخط المائل المفتوح للفيل. بإمكانها حماية نفسها بإرجاع حصانها وتحريك قلعتها، لكنها اكتشفت برعب أن ذلك غير كافٍ، لأن حصانه غير الهجومي ظاهرياً سيغلق المخرج الأخير للملك. كان ذلك فظيعاً، فهو نفس ما تقوم به ضد الآخرين، وما كان مورفي يتقنه بدقة متناهية. وهي التي لم تكن تفكر سوى في وضع بيدقين على نفس الخط...

لم تكن مجبرة على أخذ الملكة. ما الذي سيحصل عندئذ؟ سوف تفقد بيدقها، وتحتل ملكته وسط الرقعة. والأسوأ من ذلك أنها سوف تقع في شرك قلعته التي تحررت بفعل التبييت، بما يمكنها من الضغط على ملكها. كلما فكرت في ذلك تبيّن لها مدى خطورة الوضع، وعدم انتباهها لما حاكه ضدها. اتكأت بمرفقيها مرة أخرى على الطاولة لإعادة تقييم الوضع. يتوجب عليها شن هجوم مضاد.

لم تجد أي إمكانية لذلك. أمضت نصف ساعة وهي تفكر، ولم تصل سوى إلى قناعة بأن خطة بيني كانت أكثر ذكاء مما تصورت.

ربما يمكنها إنقاذ الوضع بإجراء تبديل، إذا تقدمت بسرعة كبيرة. عثرت على موضع مناسب لقلعتها فقامت بالنقلة. إذا أراد بيني تقديم ملكته، فسوف يكون التبديل ممكناً.

لم يفعل ذلك، مفضلاً إخراج فيله الآخر. دفعت هي قلعتها نحو الصف الثاني، فنقل ملكته نحو الجانب الآخر من الرقعة، مهدداً بالوصول إلى كش مات في ثلاث نقلات، ما أجبرها على إرجاع حصانها إلى الخلف. واصل هو هجومه، فيما أدركت هي شيئاً فشيئاً، عاجزة ويائسة، أنها في طريقها لخسارة المباراة. عندما ضحّى هو بفيله لأخذ البيدق الذي يحمي ملكها، أدركت أن كل شيء قد انتهى، ولا يمكنها فعل شيء. ودّت لو أنها تصرخ، لكنها

أسقطت ملكها ونهضت. شعرت بآلام مبرحة في معدتها وظهرها وأسفل عنقها. كان سيكفيها الوصول إلى التعادل، لكنها لم تكن قادرة حتى على تحقيق ذلك. سبق لبيني أن تعادل في مباراتين سابقتين خلال البطولة. أما هي فقد بدأت المباراة برصيد يستحيل تجاوزه، وكان التعادل كفيلاً بتمكينها من الفوز بالبطولة، لكنها سعت إلى تحقيق الانتصار.

- مباراة رائعة، قال بيني ماداً يده نحوها.

أجبرت نفسها على مصافحته. صفق بعض الحاضرين، ولكن ليس من أجلها، بل من أجل بيني واتس.

حل المساء دون أن تتمكن بيث من تجاوز الصدمة، وإن تراجع ثقلها قليلاً. حاولت السيدة ويتلي مواساتها. ستتقاسم القيمة المالية لجائزة البطولة مع بيني، وسيتم إعلانهما بطلين بالمناصفة، مع درع صغير لكل منهما.

- هذا ما يحصل في معظم الأحيان، قالت السيدة ويتلي. لقد استعلمت عن الأمر: في معظم الأحيان يحصل لاعبان على اللقب مناصفةً في البطولة المفتوحة.

- لم أنتبه لما حاكه ضدي، قالت بيث، وهي تستعيد مشهد الملكة الخصم تتقدم لأخذ بيدقها.

بدا ذلك شبيهاً بضغطها بلسانها على ضرس مؤلمة.

- لا يمكنك التغلب على كل الحيل ضدك يا عزيزتي. لا أحد بإمكانه ذلك.

التفتت بيث نحوها.

- أنت لا تعرفين شيئاً عن الشطرنج.

- لكنني أعرف ما معنى الخسارة.

- لا شك لديّ أنك تعرفينه، ردت بيث بكل الخبث الذي تملكه. لا شك لديّ أنك تعرفينه جيداً.

تأملتها السيدة ويتلي للحظات، باستغراب.

- والآن أنت تعرفينه أيضاً، تمتمت بصوت خفيض.

بحلول فصل الشتاء خلال ذلك العام، حدث أحياناً أن يلتفت المارة في لكسينغتون للنظر إليها، كما تمت دعوتها إلى برنامج مورنينغ شو على قناة WLEX. مقدّمة البرنامج، امرأة بشعر براق ونظارة ملونة، سألتها إن كانت تلعب البريدج، لترد بيث بلا. هل يسعدها أن تكون بطلة الولايات المتحدة الأميركية في بطولة الشطرنج المفتوحة؟ لترد بيث بأنها بطلة بالمناصفة. كانت جالسة على مقعد يغطيه القماش، والأضواء مسلطة عليها. كانت مستعدة للحديث عن الشطرنج، لكن أسلوب هذه المرأة والاهتمام الذي بدا أنها مجبرة على إظهاره نحو اللعبة، جعلا مهمتها أصعب. في نهاية المطاف، كان السؤال حول رأيها تجاه من يعتبر أن الشطرنج مجرد مضيعة للوقت. نظرت بيث إليها وقالت:

- هذا لا يختلف في شيء عن كرة السلة.

انتهى الحوار الذي دام ست دقائق قبل تمكنها من إتمام فكرتها.

خصص لها تاونز مقالاً ظهر في صفحة كاملة ضمن ملحق صحيفة هيرالد-ليدر مع الصورة التي التقطها لها في لاس فيغاس، عند نافذة غرفته. أعجبتها الصورة، مع يدها فوق قطعة الملكة البيضاء، ونظراتها الصافية، الجادة، والذكية. اشترت السيدة ويتلي خمس نسخ لألبومها.

صارت بيث الآن في المرحلة الثانوية، حيث يوجد نادٍ للشطرنج، لكنها لم تنتسب إليه. لم يكن أعضاء النادي قادرين حتى على تخيل فكرة مقابلة لاعبة تحمل لقب أستاذ في ممرات الثانوية، وكانوا يحدجونها بنظرات تمزج بين الحرج والاحترام الحذر. ذات يوم أوقفها طالب في السنة النهائية، ببعض التوتر، وسألها عن إمكانية خوضها لمباريات متزامنة ضد ثلاثين طالباً في الثانوية. تذكرت الثانوية القريبة من ميثوين، والطريقة التي تعاملوا بها معها بعد ذلك.

- آسفة، لا وقت لدي.

بدا لها الطالب غير جذّاب ومنفّراً، مما جعلها تشعر بأنها غير جذّابة ومنفّرة بدورها، فقط لأنها مجبرة على محادثته.

خصصت ساعة لواجباتها المدرسية في المساء، هي التي حافظت على تفوقها، لكن هذا لم يكن ذا أهمية بالنسبة إليها. تتمحور حياتها حول خمس أو ست ساعات تقضيها في دراسة الشطرنج. تم قبولها بشكل استثنائي في الجامعة لدراسة اللغة الروسية لحصة واحدة كل أسبوع، وهو الواجب المدرسي الوحيد الذي وجدته جديراً بالاهتمام.

الفصل السابع

زفرت بيث، ثم سحبت نفَساً وابتلعت الدخان. الأمر بسيط للغاية. مدت اللفافة إلى شاب على يمينها.

- شكراً.

كان يتحدث عن دونالد داك مع آيلين، في منزل الأخيرة مع باربارا، بالقرب من الشارع الكبير. قامت آيلين بدعوة بيث لحضور السهرة، بعد الحصة المسائية.

- إنه صوت ميل بلانك[1]، قالت آيلين. هو الذي يؤدي كل هذه الأدوار.

لم تنفث بيث الدخان المحتشد في رئتيها، معتقدة أن ذلك سيشعرها بالارتخاء. مضت نصف ساعة جلست خلالها على الأرض، برفقة الطلبة، من دون التفوه بكلمة.

- يؤدي بلين دور سيلفستر، لا دور دونالد داك، أكد الشاب بشكل قاطع، قبل أن يلتفت نحو بيث. أنا أدعى تيم. أنت لاعبة الشطرنج، أليس كذلك؟

---

(1) Mel Blanc (1908-1989): ممثل أميركي، اشتهر بتأديته لأصوات عدة شخصيات كرتونية. (المترجم)

نفثت بيث الدخان.

- بلى، صحيح.

- أنت بطلة الولايات المتحدة.

- أنا حاملة لقب البطولة المفتوحة مناصفة.

- معذرة، يبدو ذلك أمراً في غاية التعقيد.

كان نحيلاً، بشعر أحمر. انتبهت لوجوده في الفصل الدراسي، وتذكرت صوته الهادئ عندما كانوا مطالبين باستظهار بعض الجمل باللغة الروسية بشكل منسجم.

- هل تلعب الشطرنج؟

لم ترقها نبرة صوتها. شعرت بأنها في مكان لا يناسبها. سيكون من الأفضل لها أن تعود إلى البيت أو تتصل بالسيدة ويتلي.

هز رأسه.

- لعبة ذهنية أكثر من اللازم. هل ترغبين في بعض الجعة؟

لم تشرب الجعة منذ تواجدها في لاس فيغاس في العام الماضي.

- حسناً.

رغبت في النهوض.

- سأذهب أنا.

اتكأ عليها للنهوض، ثم ذهب لإحضار علبتين قدّم إحداهما لبيث. احتست محتوى العلبة ببطء. تعالى صوت الموسيقى خلال الساعة الأولى، بصخب جعل الحوار مستحيلاً، ولكن أحداً لم يكلف نفسه عناء تغيير الأسطوانة التي واصلت الدوران بعد انتهاء آخر أغنية، حيث أبصرت بيث المصابيح الحمراء الصغيرة للمشغل،

وتمنت ألا ينتبه الآخرون لذلك ويفكر أحدهم في وضع أسطوانة أخرى.

عاد تيم للجلوس بجانبها مطلقاً تنهيدة.

- كنت مولعاً بلعب المونوبولي في الماضي.

- لم ألعبها من قبل.

- إنها تحولك إلى عبد للرأسمالية. ما زلت أحلم حتى الآن بالأموال الطائلة.

ضحكت. عادت اللفافة إليها، فالتقطتها بأطراف أصابعها وسحبت نفَساً بأقصى ما تملك من قوة، قبل تمريرها إلى تيم.

- لماذا تتعلم الروسية، قالت. ما دمت عبداً للرأسمالية؟

احتست جرعة من جعتها.

- أنت جميلة حقاً، قال ساحباً نفَساً من اللفافة. نحن بحاجة إلى لفافة أخرى، أضاف بنبرة أعلى، ثم التفت نحو بيث. أرغب في قراءة أعمال دوستويفسكي باللغة الروسية.

أنهت جعتها. أعد أحدهم لفافة جديدة ومررها للآخرين. تواجد اثنا عشر شخصاً في الغرفة. كانوا قد اجتازوا امتحانهم الأول في اللغة الروسية، وقاموا بدعوة بيث إلى السهرة.

بفضل الجعة والتدخين والحديث مع تيم -بسهولة وسلاسة كما أنها تحدّث نفسها- شعرت بيث بالارتياح. عندما مرّروا لها اللفافة من جديد، سحبت نفَساً طويلاً، ثم نفَساً ثانياً.

وضع أحدهم أسطوانة ثانية، فبدا لها أن الموسيقى أفضل هذه المرة، ولم تشعر بأن الصوت مزعج. نهضت فجأة.

- يجب أن أتصل بالبيت.

- في غرفة النوم هناك، عليك المرور عبر المطبخ.

تناولت هناك علبة جعة أخرى، عبَّت منها جرعات كبيرة، ثم فتحت باب غرفة النوم وبحثت عن مفتاح الضوء ولم تجده. عثرت فوق الفرن، بجانب الموقد، على علبة أعواد الثقاب، حملتها معها إلى الغرفة. لم تجد مفتاح الضوء بعد، بل تشكيلة من الشموع بأشكال مختلفة فوق المنضدة. أشعلت واحدة، وهزت عود الثقاب، لتتركز نظراتها على الشمعة التي اتخذت لوناً أرجوانياً.

استقر الهاتف فوق طاولة بالقرب من سرير غير مرتب. حملت الشمعة وجلست على طرف السرير، ضاغطة على أزرار الأرقام.

بدا أن أفكار السيدة ويتلي مشوشة، إما بسبب الجعة أو الانشغال بالتلفاز.

- يمكنك الخلود إلى النوم، قالت بيث. معي نسختي من المفاتيح.

- قلتِ إنك في حفلة مع زملائك الطلبة؟ أولئك الذين يتابعون دراستهم في الجامعة؟

- نعم.

- انتبهي إذاً لما سوف تدخنينه يا عزيزتي.

اجتاح بيث شعور قوي بالرضا، غمر كتفيها ومؤخرة عنقها، وودت لو أنها تعود إلى البيت راكضة لتعانق السيدة ويتلي وتحضنها بقوة بين ذراعيها، لكنها ردت ببساطة:

- حاضر.

- إلى الغد صباحاً إذاً، قالت السيدة ويتلي.

جلست على طرف السرير، وأنهت علبة الجعة وهي تستمع إلى الموسيقى القادمة من غرفة المعيشة. لم تكن مولعة بالاستماع للموسيقى، ولم يسبق لها المشاركة في سهرات أو حفلات راقصة.

وباستثناء سهرة الآبل باي، فهذه أول مرة تشارك في سهرة. توقفت الموسيقى في الغرفة الأخرى، وبعد لحظات قليلة وجدت تيم جالساً بالقرب منها على السرير. اعتبرت الأمر طبيعياً للغاية، كما لو كان استجابة لطلب تقدمت به.

- تناولي علبة جعة أخرى، قال.

أخذتها بيث وواصلت الشرب، بحركات ثقيلة وواثقة.

سيطر عليها بعض الذعر وهو يقترب منها، وشعرت بالعجز والهوان، لكن لم يدم ذلك طويلاً. كل شيء على ما يرام. إنها في السابعة عشرة، وقد حان الوقت. ليته فقط كان تاونز.

نامت بعد تجربتها الأولى تلك، ليس في حضن شخص تحبه، ودون حتى أن تلمس الرجل الذي يشاركها السرير، بل بعشوائية، وبكامل ملابسها. نفخ تيم على الشمعة، ثم سمعت صوت إغلاق الباب بهدوء.

عندما استيقظت، ألقت نظرة على المنبه القريب منها، لتكتشف أن الساعة تقترب من العاشرة صباحاً. تسللت أشعة الشمس إلى الغرفة عبر شقوق النوافذ، وعبقت رائحة الرطوبة في المكان. شعرت بوخز تنورتها الصوفية في ساقيها، كما ضغطت ياقة سترتها على رقبتها ما جعلها تتعرق. أحست بالجوع الشديد. رمشت بعينيها، جالسة لدقيقة على حافة السرير، ثم نهضت وفتحت باب المطبخ، حيث وجدت قناني فارغة وعلب جعة في كل مكان، كما اختنقت الأجواء برائحة التبغ البارد. وجدت ورقة صغيرة مثبتة في باب البراد، مع رأس ميكي ماوس الممغنط. «ذهب الجميع لرؤية فيلم في سينسيناتي. يمكنك البقاء هنا قدر ما تشائين».

كان الحمام قبالة غرفة المعيشة. اغتسلت بيث، ونشفت جسدها، ثم لفت فوطة حول رأسها، وعادت إلى المطبخ وفتحت البراد. وجدت دزينة بيض وعلبتَي جعة من نوع بودوايزر وبعض المخللات، كما عثرت على لفافة معدّة بعناية، التقطتها وحملتها إلى شفتيها، ثم أشعلت عود ثقاب. سحبت نفَساً بعمق، ثم وضعت أربع بيضات في ماء مغلي. لم تشعر في حياتها بمثل هذا الجوع. قامت بتنظيف الشقة بطريقة منظمة، كما لو كانت تلعب الشطرنج، فكدست القناني وأعقاب السجائر في أكياس ورقية كبيرة ووضعتها في الشرفة الخلفية. عثرت أيضاً على نصف قنينة نبيذ وأربع علب جعة ضمن النفايات، فتحت إحداها وشغلت المكنسة الكهربائية لتنظيف سجاد غرفة المعيشة.

كان هناك سروال جينز على مسند مقعد في غرفة النوم. قامت بارتدائه بعد انتهائها من أعمال التنظيف، فوجدت أن السروال يناسبها تماماً. عثرت أيضاً على تي شيرت أبيض في الدرج فارتدته. أفرغت علبة الجعة لتفتح أخرى فوراً. نسيت إحداهن أحمر شفاه بالقرب من الصنبور، فعادت إلى الحمام ونظرت إلى نفسها في المرآة ثم وضعته على شفتيها. كانت أول مرة تقوم فيها بذلك، وقد راودها شعور بأنها في أفضل أحوالها.

كان صوت السيدة ويتلي عبر الهاتف بعيداً وقلقاً.

- كان من المفروض أن تتصلي بي.

- آسفة، قالت بيث. لم أرغب في إيقاظك.

- لم يكن ذلك ليزعجني...

- على أية حال، كل شيء على ما يرام. سأذهب لمشاهدة فيلم في سينسيناتي، ولا أعتقد أنني سأنام في البيت الليلة أيضاً.

خيّم الصمت في الجانب الآخر من الخط.

- سأعود يوم الاثنين بعد الحصة الدراسية.

تحدثت السيدة ويتلي أخيراً.

- هل أنت برفقة شاب؟

- الليلة الماضية، نعم.

- أوه، كان الصوت ضعيفاً جداً. بيث...

ضحكت بيث.

- لا تقلقي، أنا بخير تماماً.

- حسناً... استعاد الصوت الجاد بعض خفّته. أنا واثقة من أن كل شيء على ما يرام، فقط...

ابتسمت بيث.

- اطمئني، لا وجود لخطر الحمل.

بحلول منتصف النهار وضعت البيض المتبقي في إناء وأشعلت الموقد. لم يسبق لها أن استمعت إلى الموسيقى بتركيز، وهو ما فعلته الآن، متقدمة بخطوات راقصة نحو وسط الغرفة، في انتظار سلق البيض. هي وحدها الآن، وهذا يشعرها بسعادة بالغة، هكذا تعلمت كل ما هو مهم ومحوري.

عند حلول الساعة الرابعة ذهبت إلى متجر لاري، غير بعيد عن المنزل، واشترت زجاجة نبيذ صغيرة، وعند وضعها في كيس، طرحت السؤال:

- ألا يوجد عندكم نبيذ مذاقه أقل حلاوة؟

- الخمور الغازية تشبه بعضها، أجابها البائع.

- والبورغوندي؟

كانت السيدة ويتلي تطلبه من حين لآخر عندما تتناولان العشاء في المطاعم.

- لدينا غالو، كولوني سويسرية إيطالية، بول ماسون...

- بول ماسون، قالت. زجاجتان من فضلك.

بحلول الحادية عشرة مساء، تمكنت من تغيير ملابسها بحرص شديد، وارتدت المنامة التي وجدتها، ووضعت الملابس على كرسي قبل الاستلقاء على الفراش والنوم.

لم يعد أحد في صباح اليوم التالي، فأعدت بيضاً مقلياً وشطيرتين قبل احتساء كأس النبيذ الأول. كان يوماً مشمساً آخر. وجدت في غرفة المعيشة أسطوانة **الفصول الأربعة** لفيفالدي[1]، فشغلتها، ثم بدأت الشرب.

ذهبت بيث إلى ثانوية هنري كلاي يوم الاثنين مستقلة سيارة أجرة، حيث وصلت قبل الموعد بعشر دقائق. تركت الشقة خالية ونظيفة. لم يعد مالكوها بعد من سينسيناتي. انكمشت تنورتها وسترتها بشكل شبه كامل، كما قامت بتنظيف جواربها. شربت مساء الأحد زجاجة البورغوندي الثانية، ونامت عشر ساعات متواصلة. في سيارة الأجرة، شعرت ببعض الألم في مؤخرة عنقها، مع رجفة بسيطة في يديها، ولكن كان منظر طبيعة شهر مايو الذي تشاهده عبر

---

(1) أنتونيو فيفالدي (1678-1741) : مؤلف موسيقي كلاسيكي إيطالي. (المترجم)

نافذة السيارة أخضر وبهيجاً. بعد أن دفعت للسائق وخرجت من السيارة شعرت بخفة في روحها، وحماس لإنهاء العام الدراسي والتفرغ للشطرنج.

بعد عودتها، سيطر صمت خجول على البيت. كانت السيدة ويتلي مشغولة بتنظيف المطبخ، مرتدية لباس نوم أزرق. جلست بيث على الأريكة وأخذت تقرأ كتاب روبن فاين عن نهايات اللعب، وهو الكتاب الذي تكرهه. انتبهت لوجود علبة جعة لكنها لم تكن راغبة في الشرب. من الأفضل لها أن تحجم عن ذلك لبعض الوقت، فهي شربت بما فيه الكفاية.

عندما انتهت السيدة ويتلي من التنظيف، وضعت المكنسة بجانب البراد، ثم دخلت إلى غرفة المعيشة.

- أرى أنك قد عدت، قالت بنبرة محايدة.

رفعت بيث عينيها نحوها.

- كنت مستمتعة للغاية.

بدا أن السيدة ويتلي حائرة بشأن طريقة الرد، قبل أن تكتفي بابتسامة خجولة، تشبه ابتسامة طفلة صغيرة.

- حسناً، الشطرنج ليس الشيء الوحيد في الحياة.

اجتازت بيث امتحان البكالوريا في شهر يونيو، وأهدتها السيدة ويتلي ساعة من طراز بولوفا مع عبارة منقوشة على العلبة: «**بكل الحب، أمك**». وقد أسعدها ذلك، وإن كانت سعادة أقل بكثير مما شعرت به عندما وصل تصنيفها عبر البريد: 2243 نقطة. خلال الحفلة المدرسية اقترح عليها بعض الطلبة الشرب خفية، لكنها

رفضت ذلك. شربت عصير فواكه وعادت إلى البيت في وقت مبكر. كان عليها أن تتدرب وتستعد: سوف تلعب بطولتها الدولية الأولى بعد خمسة عشر يوماً، في مكسيكو سيتي، ثم ستخوض غمار بطولة الولايات المتحدة. كذلك تمت دعوتها للمشاركة في بطولة ريمي-فالون في باريس نهاية الصيف. بدأت المواعيد الجديدة تحل تباعاً.

الفصل الثامن

مرت ساعة على اختراق الطائرة للحدود، حيث انشغلت بيث بالقراءة عن تحليل لوضعية البيادق فوق رقعة الشطرنج، فيما كانت السيدة ويتلي تحتسي محتوى الزجاجة الثالثة لجعة كورونا.

- بيث، قالت، أريد أن أعترف لك بشيء.

وضعت بيث الكتاب جانباً بحسرة.

بدت السيدة ويتلي قلقة.

- هل تعرفين ما معنى صديق المراسلة يا عزيزتي؟

- هو شخص نتبادل معه الرسائل.

- بالضبط! عندما كنت في الثانوية، في قسم اللغة الإسبانية، قدموا لنا لائحة بشبان مكسيكيين يتعلمون الإنجليزية. اخترت أحدهم وراسلته، محدّثة إياه عن نفسي. أطلقت السيدة ويتلي ضحكة قصيرة. اسمه مانويل، وقد تابعنا مراسلاتنا - حتى بعد زواجي بألستون، كما تبادلنا صورنا أيضاً.

فتحت حقيبتها، ودست يدها لتخرج صورة مطوية مدّتها نحو بيث. وجه نحيل، شاحب بشكل لافت، مع شارب رفيع كخط القلم. بدت السيدة ويتلي مترددة.

- سيأتي لاستقبالنا في المطار.

لم تجد بيث أي مشكلة في ذلك، بل إن الأمر سيكون جيداً للغاية، أن يرافقهما صديق في المكسيك، لكن نبرة السيدة ويتلي بدت قلقة.

- هل سبق أن التقيت به؟

- أبداً. استندت السيدة ويتلي إلى المقعد ممسكة بذراع بيث. لو تعلمين مدى انفعالي.

بدا لبيث أنها ثملة بعض الشيء.

- ألهذا السبب رغبت في الذهاب إلى المكسيك مبكراً؟

سحبت السيدة ويتلي يدها لتعديل وضع كمَّي سترتها الزرقاء.

- ممكن.

- Si como no؟ قالت السيدة ويتلي. هندامه جميل جداً، كما يفتح لي الأبواب ويتحكم بالأمور بطريقة جذابة.

كانت تتحدث وتجرُّ طرف تنورتها بحركة قوية لرفعها فوق وركيها العريضين.

عادت السيدة ويتلي إلى الفندق حوالي الثالثة فجراً، وفي الثانية والنصف في الليلة السابقة. تظاهرت بيث بالنوم. نزعت السيدة ويتلي ملابسها، مطلقة زفرات بثت في الغرفة رائحة قوية، هي خليط من العطر وخمر الجين.

- اعتقدت بداية أنه العلو، قالت. ألفان وأربعمئة وخمسون متراً. كانت جالسة على المقعد النحاسي الصغير، حيث استندت إلى ظهره ووضعت البودرة على خديها. يجعلك مقبلة على الحياة، لكنني أعتقد أن الأمر يكمن في ثقافتهم. استدارت نحو بيث. لا أثر

لأي أخلاقيات بروتستانتية في المكسيك. كلهم كاثوليكيون رومانيون، يعيشون اللحظة الراهنة. سبق للسيدة ويتلي أن قرأت لألان واتس[1]. أعتقد أنني سأكتفي بمارغاريتا قبل الخروج. هل يمكنك طلبها يا عزيزتي؟

في لكسينغتون كان صوتها يبدو بعيداً في بعض الأحيان، كما لو كان قادماً من مكان معزول، وطفولة بعيدة. في مكسيكو سيتي كان صوتها بعيداً أيضاً، لكن بوجود نبرة فرح مسرحي مصطنع، كما لو أن ألما ويتلي قد استسلمت لفرح يصعب التعبير عنه. شعرت بيث بالانزعاج. كانت على وشك الإشارة إلى حجم المصروفات الفندقية، وإن تعلق الأمر بعملة البيزو، لكنها فضلت الصمت، وضغطت على رقم خدمة الفندق. رد الموظف بالإنجليزية فطلبت مارغاريتا وزجاجة كوكا كولا كبيرة للغرفة رقم 713.

- عليك القدوم إلى فولكلوريكو، قالت السيدة ويتلي. يبدو أن الأزياء وحدها تستحق قيمة تذاكر الدخول.

- ستبدأ البطولة يوم غد، وأنا بحاجة إلى التدرب على نهايات اللعب.

كانت السيدة ويتلي جالسة على طرف الفراش، تنظر إلى قدميها بإعجاب.

- عزيزتي بيث، قالت بنبرة حالمة، ربما أنت بحاجة إلى التدرب على الاعتناء بنفسك. في الحياة أشياء أخرى غير الشطرنج.

---

(1) ألان واتس (1915-1973): فيلسوف بريطاني عاش في الولايات المتحدة الأميركية وعُرف بنشره لمبادئ الثقافة الشرقية عند الجمهور الغربي. (المترجم)

- لا أعرف سواه.

أطلقت السيدة ويتلي زفرة طويلة.

- استناداً إلى تجربتي، ما نعرفه لا يستحق دائماً اهتمامنا.

- وما الذي يستحق اهتمامنا إذاً؟

- أن نعيش، وأن نكبر، قالت السيدة ويتلي بنبرة حاسمة. أن نعيش حياتنا.

مع مندوب مكسيكي بائس؟ أرادت أن تقول، لكنها لزمت الصمت. فقد استاءت من شعور الغيرة الذي اعتراها.

- بيث، تابعت السيدة ويتلي بصوت يميل إلى الإقناع، أنت لم تقومي بزيارة بيلاس أرتيس أو حديقة شابولتيبيك. حديقة الحيوانات رائعة للغاية. تتناولين وجباتك في غرفتك وتغرقين في مطالعتك لكتب الشطرنج. ألا يفترض بك تغيير الأجواء والترويح عن نفسك ليلة انطلاق البطولة؟

شعرت بيث برغبة في ضربها. الذهاب إلى كل هذه الأماكن يعني تحمُّل مانويل وثرثرته اللانهائية، واقترابه المبالغ فيه من السيدة ويتلي، إذ كان يلمس كتفها أو ظهرها، راسماً على وجهه ابتسامة حرص.

- أماه، سأبدأ البطولة يوم غد في العاشرة صباحاً، سألعب بالقطع السوداء ضد أوكتافيو مارينكو، بطل البرازيل، أي أنه سيكون صاحب النقلة الأولى. إنه في الرابعة والثلاثين من عمره، وهو أستاذ دولي كبير. إذا خسرت أمامه فسوف نضطر لصرف مدخراتنا حتى ندفع مصاريف هذه الرحلة أو المغامرة. أما إذا فزت فسوف أواجه في اليوم الموالي لاعباً أقوى من مارينكو. يجب عليّ العمل بجد لتحسين نهايات اللعب في مبارياتي.

- عزيزتي، أنت تلعبين وفق «أسلوب حدسي»، أليس كذلك؟

كانت تلك أول مرة تتحدث فيها السيدة ويتلي عن عالم الشطرنج مع بيث.

- يقولون ذلك. أحياناً تأتي فكرة النقلة من دون أي تخطيط مسبق.

- لاحظتُ أنهم يصفقون بقوة أكبر عندما تلعبين بسرعة. ويتخذ وجهك ملامح مميزة.

فوجئت بيث بكلامها.

- أعتقد أنك على حق.

- لن تعثري على الحدس بين صفحات الكتب. أظنك لا تستلطفين مانويل.

- لا يزعجني مانويل بشيء، لكنه لا يأتي لرؤيتي أنا.

- هذا غير مهم، أنت بحاجة إلى الاسترخاء. لا أعتقد أنه يوجد لاعب في العالم بأسره بمثل عبقريتك. ليست لديّ أدنى فكرة عن المهارات اللازمة لتحسين لعبك للشطرنج، لكنني واثقة من أن الاسترخاء سيساهم في تحسينها.

ظلت بيث صامتة. مضت أيام لم تغادر فيها الغرفة. لم تحب مكسيكو سيتي والفندق الإسمنتي الفسيح، ببلاطه المتصدع وصنابيره المتآكلة بفعل الصدأ وتسرب المياه. لم تعجبها قوائم الطعام في الفندق، لكنها لم ترغب في الوقت نفسه في تناول طعامها وحيدة في المطعم. تذهب السيدة ويتلي كل يوم لتناول وجبتَي الغداء والعشاء مع مانويل، الذي يبدو تحت تصرفها في كل الأوقات.

- وماذا لو أتيتِ لتناول وجبة الغداء معنا؟ قالت. سنرافقك بعد الوجبة، بما يسمح لك بمواصلة تحليلك لمبارياتك.

همَّت بيث بالرد، عندما طرق الباب. وصلت المارغاريتا. وقَّعت بيث الفاتورة فيما انهمكت السيدة ويتلي، ساهمة، في احتساء بضع رشفات وهي تتطلع إلى المدينة المشمسة.

- لا أشعر بأنني على ما يرام مؤخراً، قالت وهي ترمش بعينيها.

حدجتها بيث بنظرة باردة. كانت السيدة ويتلي شاحبة، وازداد وزنها بشكل ملحوظ. تمسك بقاعدة الكأس بيد، فيما تضع الأخرى على خصرها الغليظ. بدت مثيرة للشفقة إلى حد ما، فأحست بيث بقلبها يلين.

- لا رغبة لي في تناول الطعام، قالت، ولكن بإمكانكما تركي في حديقة الحيوانات، وسأعود بسيارة أجرة.

بدا أن السيدة ويتلي بالكاد تسمعها، لكنها استدارت نحوها بعد لحظات، ممسكة بكأسها بالطريقة نفسها، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة.

- جيد جداً يا عزيزتي.

قضت بيث وقتاً طويلاً وهي تراقب سلاحف الغالاباكوس - مخلوقات ضخمة وثقيلة تتحرك ببطء وبلا توقف. أفرغ حارس دلواً مليئة بالخس المبلل والطماطم الناضجة في قفصها، فتحركت السلاحف الخمس بشكل متناغم لتتناول الطعام وهي تدوسه بأقدامها. أقدامها شبيهة بأقدام الفيل، فيما ملامح وجوهها الساذجة، البريئة، مركزة على ما يتجاوز الأفق والطعام ذاته.

مرَّ رجل بالقرب منها، يجرّ عربة ممتلئة بعلب الجعة المثلجة.

- Cerveza Corona, por favor، قالت من دون تفكير تقريباً وهي تمد إليه ورقة من فئة خمسة بيزوس.

فتح البائع العلبة وأفرغ البيرة في كوب ورقي يحمل علامة نسر الآزتك.

- Muchisimas gracias، قالت بيث.

تلك كانت أول جعة تتناولها منذ الثانوية، فبدت -مع الطقس المكسيكي الحار- رائعة. أنهت كوبها، ثم أبصرت بعد دقائق بائعاً آخر واقفاً بالقرب من أرضية ورود حمراء، واشترت كوباً ثانياً. كانت تعلم بأنها مخطئة بتصرفها ذاك، قبل انطلاق البطولة بيوم واحد. هي ليست بحاجة إلى الشرب أو تناول المهدئات. لم تبتلع حبة مهدئ واحدة منذ عدة أشهر. لكنها شربت الجعة رغم ذلك. إنها الثالثة بعد الظهر، وقد تصاعدت درجات الحرارة. امتلأت حديقة الحيوانات بالنساء، معظمهن يضعن إيشارباً بألوان غامقة، ويصطحبن أطفالاً بعيون سوداء. حدج بعض الرجال المتواجدين في المكان بيث بنظرات ذات مغزى، لكنها تجاهلتهم، فأحجموا عن الاقتراب منها. ورغم سمعة المكسيكيين، باعتبارهم شعباً يحب الحركة والصخب، إلا أن الزوار كانوا صامتين، كما لو أن الأمر يتعلق بمتحف لا حديقة. تناثرت الأزهار في كل مكان.

أنهت جعتها، اشترت أخرى وواصلت تقدمها. بدأت تشعر بأولى علامات السكر. تجاوزت بعض الأشجار، والورود والأقفاص التي تنام فيها قرود الشمبانزي، قبل أن تجد نفسها أمام عائلة غوريلا. القرد الذكر الضخم والقرد الصغير نائمان متجاورين، وجسداهما السوداوان ملتصقان بقضبان القفص، وفي وسطه تستند القردة الأنثى إلى إطار مطاطي ضخم لشاحنة، ويبدو عليها العبوس، وهي تقضم أظفارها. في الخارج، على الإسفلت، عائلة بشرية، مكوَّنة من أب وأم وطفل رضيع يتأملون قردة الغوريلا. لم يكونوا مكسيكيين، وقد أثار الرجل انتباه بيث، بعدما تعرفت على ملامحه.

كان قصيراً، ممتلئ الجسم، مع القليل من الشبه بالغوريلا: جبهة منخفضة وبارزة، حاجبان سوداوان كثيفان، ونظرة جامدة. تصلبت بيث في مكانها ممسكة كوبها الورقي. شعرت باحمرار خديها. إنه فاسيلي بورغوف، بطل العالم في لعبة الشطرنج. يستحيل ألا تعرف هذا الروسي، بملامحه الجادة والصارمة. رأت صورته أكثر من مرة على غلاف **مجلة الشطرنج**، مرة بالبدلة السوداء نفسها مع ربطة عنق يمتزج فيها اللونان الأخضر والذهبي.

ظلت بيث، ولدقيقة كاملة، عاجزة عن تحويل بصرها عنه. لم تكن تتوقع قدوم بورغوف إلى هذه البطولة. كانوا قد حددوا مكانها عبر المراسلة: رقم رقعتها هو 9، ولا شك أن رقم رقعة بورغوف هو 1. شعرت بقشعريرة في رقبتها، خفضت عينيها وتأملت الكوب. أفرغت الجعة في جوفها وقررت أنه سيكون الكوب الأخير حتى نهاية البطولة. ألقت نظرة على الروسي من جديد، فاعتراها شعور بالذعر: هل سيتعرف عليها؟ يجب ألّا يراها وهي تشرب الجعة. نظر بورغوف إلى القفص كما لو كان ينتظر من القردة أن تقدم بيدقاً إلى الأمام. بدت القردة الأنثى سابحة في عالمها البعيد، دون أن تلاحظ ما يجري حولها، فشعرت بيث نحوها بما يشبه الحسد.

خلدت بيث إلى النوم باكراً في المساء، دون أن تشرب أي كمية إضافية من الجعة، لكنها استيقظت في وقت متأخر من الليل، بسبب الأصوات التي أحدثتها السيدة ويتلي، التي سعلت كثيراً وهي تغير ملابسها في الغرفة المظلمة.

– يمكنك إنارة المصابيح، قالت بيث. أنا مستيقظة.

– آسفة، قالت السيدة ويتلي بين نوبتَي سعال. ربما أصبت بعدوى فيروسية.

أنارت مصباح الحمام، ودفعت الباب من دون إغلاقه بالكامل. نظرت بيث إلى المنبه الياباني الصغير على المنضدة المحاذية للسرير. الرابعة وعشر دقائق صباحاً. بدت الأصوات التي يحدثها نزعها لملابسها -حفيف الثوب ونوبات السعال- مثيرة للسخط. ستنطلق مباراتها الأولى بعد ست ساعات. توترت أعصاب بيث بغضب، منتظرة صمت السيدة ويتلي.

كان مارينكو رجلاً قصيراً متجهماً، ببشرة داكنة، يرتدي قميصاً أصفر. لم يكن يعرف كلمة واحدة بالإنجليزية، وهي أيضاً لا تعرف كلمة واحدة بالبرتغالية، لذلك بدأت المباراة بينهما من دون مقدمات. على كل حال، لم تكن بيث راغبة في الكلام. عيناها ملتهبتان، وجسدها ليس على ما يرام. الواقع أنها لم تشعر بأنها بخير منذ وصول الطائرة إلى مكسيكو سيتي، كما لو أنها تعاني من أعراض مرض صامت لا يكشف عن نفسه، كما عجزت عن النوم بشكل طبيعي في الليلة الماضية. سعلت السيدة ويتلي أثناء نومها، غمغمت، وصرّت بأسنانها، فيما بذلت بيث كل ما في وسعها للحصول على الاسترخاء المنشود وعدم الانشغال بكل تلك الأصوات. لم تكن تحمل معها شيئاً: تركت كل حبات المهدئ في كنتاكي. ظلت بيث مستلقية على ظهرها، يداها إلى جانبيها، كما كانت تفعل في الثامنة من عمرها في ميثوين، وهي تبذل كل ما في وسعها للخلود إلى النوم بالقرب من الباب المفضي إلى الممر.

الآن، جالسة على المقعد الخشبي الثقيل، أمام رقع الشطرنج المصطفة بانتظام في قاعة الحفلات بفندق مكسيكي، شعرت بالإرهاق وبدوخة خفيفة. قام مارينكو بتقديم بيدق الملك. انطلقت

الساعة. هزت كتفيها وحركت بيدق الفيل المحاذي للملكة، مع تعويلها على الطقوس المعتادة لافتتاحية الدفاع الصقلي حتى تستعيد هدوءها، إلى حين دخولها في المباراة بشكل فعلي. بدا مارينكو مهذباً وملتزماً حين أخرج حصان ملكه. دفعت بيث بيدق ملكتها إلى الصف الرابع فقام بمبادلة بيدق ببيدقها. ومع شعورها بما يشبه تسرب ذهنها من جسدها وانتقاله إلى رقعة القوى المتمركزة أمامها، بدت بيث أكثر قدرة على الاسترخاء.

بحلول الساعة الحادية عشرة والنصف، كانت قد استولت على بيدقَين من بيادقه، وبعد الساعة الثانية عشرة بقليل أعلن استسلامه ولم يكونا قد تجاوزا منتصف المباراة بعد. كانت القطع لا تزال محتشدة وسط الرقعة عندما نهض مارينكو ومد يده نحوها لمصافحتها.

كانت الرقع الثلاث الأولى معزولة في غرفة يفصلها ممر عن القاعة الكبرى. وصلت بيث صباحاً متأخرة بخمس دقائق، فألقت نظرة في اتجاهها، لكنها لم تتوقف، وواصلت طريقها نحو مكانها. تتجه نحو الغرفة الآن، وتخطو فوق السجاد بين صفوف اللاعبين المركزين أمام رقعهم - لاعبون أتوا من الفيليبين وألمانيا الشرقية وإيسلندا والنرويج وتشيلي، معظمهم رجال في مقتبل العمر. هناك امرأتان: قريبة مسؤول مكسيكي عند الرقعة رقم 22 وشابة أرجنتينية متزوجة، مفعمة بالحيوية، عند الرقعة رقم 17. لم تأبه بيث بتفقد وضعيتهما في اللعب.

كان هناك بعض الأشخاص واقفين في الممر. تجاوزتهم لتلمح في الجانب الآخر من القاعة، أمام الرقعة رقم 1، فاسيلي بورغوف، بالبدلة الداكنة نفسها والنظرة الغامضة نفسها. يفصل بينهما جمهور

قليل صامت، يُظهر احتراماً واضحاً للاعبين، فوق منصة خشبية أعلى من البقية ببضعة أقدام، حيث تستطيع بيث أن تراه بشكل جيد. توجد في الخلف، على الجدار، رقعة شطرنج مع قطع من الكرتون، وكان مكسيكي يقوم بتحريك حصان أبيض في اللحظة التي دخلت فيها بيث. درست الوضع لبعض الوقت. كانت مباراة معقدة، لكن يبدو أن بورغوف متقدم على غريمه.

تفرست في ملامحه، ثم أشاحت ببصرها بعيداً. أشعرها تركيزه الشديد بالخوف. دارت على عقبيها ثم غادرت المكان.

كانت السيدة ويتلي مستلقية على الفراش، لكنها مستيقظة. رمشت بعينيها، ثم أزاحت الأغطية عن نصفها العلوي.

- أهلاً يا صغيرتي.

- يمكننا تناول وجبة الغداء معاً، قالت بيث. لا مباريات حتى الغد.

- الغداء؟ جميل جداً! ثم أردفت: كيف جرت الأمور؟

- استسلم بعد النقلة الثلاثين.

- أنت رائعة. بالكاد تمكنت السيدة ويتلي من الجلوس على حافة السرير. لستُ على ما يرام. تناولتُ كابريتو[1] مع مانويل على العشاء، وربما أثّر عليّ بشكل مريع.

بدا الشحوب على محيّاها. نهضت بتثاقل متوجهة صوب الحمام.

- لكن أعتقد أن بإمكاني تناول شطيرة أو تاكو من دون توابل حارة.

---

(1) أكلة شعبية مكسيكية. (المترجم)

واجهت بيث منافسة أكثر حيوية وتناغماً واحترافية، مقارنة ببطولاتها السابقة، ولكن بعد المباراة الأولى التي خاضتها وهي لم تنم طوال الليل تقريباً، لم يعد ذلك يزعجها. كانت المباريات منظمة بشكل جيد، والإعلانات باللغتين الإسبانية والإنجليزية. كان كل شيء صامتاً وهادئاً. في اليوم التالي، واجهت نمساوياً يدعى ديبدريتش، شاب بشحوب ظاهر، يرتدي سترة بلا أكمام. اختارت اللعب بمناورة الملكة وأجبرته على الانسحاب في منتصف المباراة، بعد أن مارست ضغطاً كبيراً على وسط الرقعة. استخدمت كل بيادقها، وتفاجأت هي نفسها بالتعقيدات التي بدت وكأنها تتسرب من بين أصابعها وهي تتمركز في الوسط، كاسرة وضعيته مثلما تكسر بيضة. لعب هو بشكل جيد، من دون ارتكاب ما يمكن اعتباره خطأ، لكن نقلات بيث كانت دقيقة وحاسمة، وتحكّمها بقطعها مدهش إلى درجة أجبرت غريمها على إظهار عجزه في النقلة الثالثة والعشرين.

كانت السيدة ويتلي قد دعتها لتناول العشاء مع مانويل، لكنها رفضت. في المكسيك لا يتناولون العشاء قبل العاشرة ليلاً، لكنها لم تتوقع وجود السيدة ويتلي في الغرفة عند عودتها في السابعة مساء.

كانت مستلقية على الفراش، بكامل ملابسها، ووسادة تحت رأسها. على المنضدة بالقرب من رأسها كأس نصف ممتلئة. لم تبلغ السيدة ويتلي الخمسين من عمرها بعد، لكن بشرتها الشاحبة وجبينها المتغضن بفعل القلق أظهراها بما يفوق عمرها.

- مرحباً يا عزيزتي! قالت بنبرة ضعيفة.

- هل أنت مريضة؟
- متوعكة بعض الشيء.
- يمكنني الاتصال بطبيب.
ظلت كلمة «طبيب» في الهواء لبعض الوقت.
- الوضع ليس خطيراً. أنا فقط بحاجة إلى بعض الراحة.
هزت بيث رأسها وذهبت للاغتسال في الحمام، وقد هزها مظهر وتصرفات والدتها المربّية. ولكن بعودتها إلى الغرفة، كانت السيدة ويتلي قد نهضت، مما يوحي بتحسن حالتها، حيث أعادت ترتيب الأغطية، ورسمت على وجهها ابتسامة.
- مانويل لن يأتي.
رفعت بيث حاجبيها.
- لديه بعض المشاغل في مدينة واكساكا.
بدت بيث مترددة.
- إلى متى سيتغيب؟
تنهدت السيدة ويتلي.
- حتى موعد رحيلنا على الأقل.
- أنا آسفة.
- لم يسبق لي الذهاب إلى واكساكا، ولكنني أعتقد أنها تشبه دنفر.
حدّقت فيها بيث، ثم ضحكت.
- يمكننا تناول وجبة العشاء معاً، قالت. يمكنك اصطحابي إلى أحد الأماكن التي صرت تعرفينها.
- بالتأكيد. ابتسمت السيدة ويتلي بحزن. في كل الأحوال، لا أنكر أنني قد استمتعت. يتمتع حقّاً بروح دعابة جميلة.

- هذا جيد، قالت بيث. لم يكن السيد ويتلي يبدو شخصاً ظريفاً.

- يا إلهي! لم يسبق لألستون أن اعتبر شخصاً ما ظريفاً، ربما باستثناء إليانور روزفلت[1].

في هذه البطولة، يتم الاكتفاء بمباراة واحدة كل يوم، لمدة ستة أيام. بالنسبة إلى بيث، كانت المباراتان الأولى والثانية عاديتين، لكنها تلقت صدمة في المباراة الثالثة.

وصلت قبل الموعد بخمس دقائق، وكانت جالسة على مقعدها عندما اقترب منها غريمها، وقد بدا فوضوياً بعض الشيء. كان في الثانية عشرة من عمره تقريباً. سبق لبيث أن رأته في القاعة، ومرت بالقرب من الرقعة التي لعب عندها مباراته السابقة، ولكنها كانت ساهمة فلم تُلقِ بالاً لطريقة لعبه، ولم تنتبه لصغر سنه. شعره أسود متجعد، ويرتدي قميصاً أبيض من الطراز القديم تم كيّه بعناية، فأظهرت الطيات تصلّب ذراعيه النحيفتين. بدا غريباً جداً، ما أشعر بيث بالانزعاج. المفروض أنها هي الطفلة المعجزة. يا إلهي، يا لجدّيته!

مدّت يدها لمصافحته.

- اسمي بيث هارمون.

نهض، ثم مال قليلاً، وأخذ يدها بحزم وصافحها بقوة.

- اسمي غيورغي بيتروفيتش غيريف. أتشرف باللعب معكِ.

---

(1) إليانور روزفلت (1884-1962): زوجة الرئيس الأميركي السابق فرانكلين روزفلت، اشتهرت بنشاطها المكثف في مجال حقوق الإنسان. (المترجم)

ارتسمت على وجهه ابتسامة خجولة.

- شكراً، ردت هي بعصبية.

جلسا على مقعديهما، ثم ضغط هو على زر الساعة. افتتحت بيث المباراة ببيدق الملكة، سعيدة بامتلاكها القطع البيضاء أمام هذا الطفل المثير للحنق.

بدأت المباراة بشكل روتيني، مناورة الملكة، حيث أخذ البيدق الذي قامت بإهدائه، ثم قاما باستغلال وسط الرقعة لخوض نزالهما. لكن بوصولهما إلى منتصف المباراة، صارت الأمور أكثر تعقيداً من المعتاد، وأدركت أن دفاعه منظم إلى أبعد حد. كان يلعب بسرعة -سرعة مرعبة- وبدا أنه يعرف جيداً ما الذي يتوجب عليه فعله. حاولت تهديده، لكنه تعامل مع تهديداتها بازدراء. مرت ساعة، ثم ساعة أخرى. لعبا أكثر من ثلاثين نقلة، وما زالت الرقعة ممتلئة بالقطع. نظرت إليه وهو يقوم بتحريك قطعة -بذراعه النحيلة التي تظهر عبر قميصه المضحك- فشعرت بالكراهية نحوه. هذا الطفل أقرب ما يكون إلى آلة. وحش صغير قذر. ثم انتبهت فجأة إلى أن الكبار الذين واجهوها قبل سنوات قد راودتهم الفكرة ذاتها.

حلت فترة ما بعد الظهر، وقد انتهت معظم المباريات الأخرى. بلغا النقلة الرابعة والثلاثين. شعرت برغبة في إنهاء كل شيء والعودة للاطمئنان على السيدة ويتلي وحالتها المقلقة. وأمام هذا الطفل الذي لا يشعر بأي تعب، بعينيه السوداوين اللامعتين، وحركاته السريعة الواثقة، أحست بيث بأنها متقدمة في السن ومتعبة. بارتكابها لأي خطأ، مهما كان تافهاً، ستمنحه الفرصة للانقضاض عليها. ألقت نظرة على الساعة. بقيت لديها خمس وعشرون دقيقة. عليها أن تسرع، وأن تلعب نقلاتها الأربعين قبل إنزال العلم الصغير، وأن

تنتبه جيداً للوقت المتبقي، وإلا سيداهمها. اعتادت أن تضع هي منافسيها في موقف كهذا. شعرت بأعصابها تتوتر. لم يسبق لها أن واجهت معضلة ضيق الوقت.

بدأت تفكر، منذ بضع نقلات في الوسط، حصان وفيل ضد حصان وفيل، يتبعها استبدال قلعة فيما بعد. ستكون وضعيتها أكثر بساطة: المشكلة أن ذلك سيظهر بمثابة نهاية اللعبة، وهو ما تحاول تجنبه. ومع انتباهها لتأخرها بخمس وأربعين دقيقة عن المعتاد، ازداد قلقها. يجب أن تزيح هذا الحاجز المكون من عدة قطع. التقطت الحصان وأخذت فيله. رد بسرعة، من دون النظر إليها حتى، وأخذ الفيل بدوره. تتابعت النقلات كما لو كانت مبرمجة من قبل. في النهاية، كانت الرقعة مليئة بالمربعات الفارغة. لم يتبق لكل منهما سوى قلعة وحصان وأربعة بيادق وملك. قدمت ملكها إلى الصف الثاني، ففعل الشيء نفسه. هنا صارت القدرة الهجومية للملك منطقية ولا مجال للتغاضي عنها. السؤال هو مَن يستطيع التقدم ببيدق إلى الصف الأخير لترقيته إلى ملكة. لقد وصلا إلى نهاية المباراة.

التقطت أنفاسها وهزت رأسها في محاولة لتجميع أفكارها والتركيز أكثر. المهم هو أن تتحرك وفق خطة.

- بإمكاننا استئناف المباراة في وقت لاحق، قال غيريف، بما يشبه الهمس.

نظرت إلى وجهه، كان شاحباً وجاداً. ثم نظرت إلى الساعة وقد سقط العلمان فيها، وهو ما لم يحصل معها من قبل. ظلت متشبثة لبعض الوقت بمقعدها مصدومة.

- عليكِ تسجيل هذه النقلة.

بدا غيريف منزعجاً فجأة. رفع يده لمناداة مدير البطولة.

اقترب أحد مدراء البطولة منهما بخطوات هادئة. رجل في منتصف العمر، يضع نظارة بعدستَين سميكتَين.

- على الآنسة هارمون أن تسجل نقلتها، قال غيريف.

نظر المدير إلى الساعة.

- سأجلب ظرفاً.

مالت بيث نحو الرقعة. كان كل شيء واضحاً حسب ما بدا لها. يجب أن تقدم البيدق أمام قلعتها، كما خططت لذلك، لوضعه في الصف الرابع. سلّمها المدير ظرفاً ثم تراجع ببضع خطوات. نهض غيريف وابتعد بأدب. كتبت بيث «P-QR4»، طوت الورقة ثم دستها في الظرف الذي أعادته للمدير.

نهضت وهي تشعر بآلام في جسدها، ثم نظرت حولها. انتهت كل المباريات الأخرى، ولكن بعض اللاعبين ظلوا في المكان، جالسين أو واقفين، يراجعون الوضعيات النهائية للنقلات، وبعضهم يحللون مباريات اليوم.

عاد غيريف للوقوف بالقرب من الطاولة بجدية كبيرة.

- هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟

- نعم.

- قيل لي إن بإمكانكم في الولايات المتحدة الأميركية متابعة الأفلام وأنتم جالسون في سياراتكم. هل هذا صحيح؟

- الدرايف-إن، تقصد أفلام الدرايف-إن؟

- أجل. أفلام إلفيس بريسلي وديبي رينولدز وإليزابيث تايلور. صحيح؟

- طبعاً.

تفرس في ملامحها، ثم أشرق وجهه الجاد معلناً عن ابتسامة كبيرة.

- هذا رائع جداً، قال. أعتقد أن هذا رائع جداً.

نامت السيدة ويتلي نوماً عيمقاً، وواصلت نومها بعد استيقاظ بيث التي شعرت بالنشاط واليقظة. لقد نامت وارتاحت بما فيه الكفاية. أزعجتها المباراة المؤجلة، لكن قلقها زال في الصباح. يمتلك البيدق الذي حرّكته القوة الكافية. مشت حافية بعيداً عن الفراش، ثم اقتربت من سرير السيدة ويتلي ولمست جبينها. لا أثر للحمى. قبّلتها بهدوء على خدها وذهبت لأخذ حمّامها. واصلت السيدة ويتلي نومها حتى بعد نزول بيث لتناول وجبة الإفطار.

في الصباح، كان عليها أن تواجه لاعباً مكسيكياً في العشرينيات من عمره. لديها القطع السوداء، واختارت اللعب بالدفاع الصقلي، حيث حاصرته في النقلة التاسعة عشرة، ثم بدأت تتحرش بقطعه. شعرت بصفاء ذهنها، فضاعفت من حدة تهديداتها، مما مكنها من أخذ فيل مقابل بيدقين، كما كشفت ملكه بحركة كش ملك مستخدمة حصانها. أخرجت ملكتها، فنهض المكسيكي وابتسم ببرود قائلاً:

- كفى، كفى! هز رأسه بحدة. أنا أنسحب.

شعرت بيث لوهلة بالغضب، كانت ترغب في إنهاء اللعبة، وفي دفع ملكه إلى الجانب الآخر من الرقعة، وإخضاعه لوضعية كش مات.

- تلعبين بطريقة رهيبة، قال الرجل. يشعر الخصم أمامك بالعجز.

انحنى قليلاً، دار على عقبيه، ثم غادر.

بعد الظهر، شعرت بأنها قوية وقادرة على التحرك بسرعة أكبر في مواجهتها لغيريف. ارتدى هذه المرة قميصاً أزرق فاتحاً، فظهر مرفقاه كجناحَي طائرة ورقية. جلست بيث على مقعدها بصبر نافد، فيما فتح المدير الظرف وحرك البيدق مطبقاً ما دوّنته في الورقة بالأمس. نهضت بعد ذلك وتجولت في القاعة الفارغة تقريباً إلا من مباراتين مؤجلتين أيضاً وتلعبان في الوقت ذاته، في انتظار أن يقوم غيريف بنقلته. التفتت أكثر من مرة لتجده مائلاً باتجاه الرقعة، وقبضتاه الصغيرتان على وجنتيه الشاحبتين، وقد بدا اللون الأزرق لقميصه أقرب للفوسفوري. كانت تكرهه - هو وجديته وصغر سنه. راودتها رغبة عارمة في تحطيمه.

سمعت دقات الساعة من الجانب الآخر للقاعة، فعادت إلى الطاولة. لم تجلس واكتفت بتحليل الوضع. حرك قلعته ليضعها في مربع فيل ملكته، كما توقعت. حركت بيدقها ليتقدم صفاً واحداً، ثم أدارت ظهرها مبتعدة. كانت هناك طاولة عليها إبريق زجاجي وأكواب ورقية. صبّت لنفسها كأساً من الماء، وقد فاجأها ارتعاش يدها. وبعودتها إلى الطاولة كان غيريف قد لعب. لم تحرك القلعة لحماية البيدق، بل حركت ملكها. التقطت بيث القطعة بأناملها بحركة أنيقة، كما رأت من قبل في سينسيناتي، ثم وضعتها في مربع الملكة الرابع وابتعدت مجدداً.

تابعت تحركاتها من دون العودة إلى مقعدها. حاصرته بعد مرور ثلاثة أرباع الساعة. كان الأمر بسيطاً، أو بالأحرى سهلاً جداً. لا يتعلق ذلك سوى بمبادلة القلعتين في الوقت المناسب. أدى التبادل إلى تراجع الملك بصف واحد، بما سمح لبيدق بيث بالتقدم ليرتقي إلى ملكة. لم ينتظر غيريف بعد ذلك، فقد استسلم مباشرة بعد سقوط

القلعة والحركة التالية. تقدم أكثر كما لو كان راغباً في التحدث معها، تطلع إلى وجهها، ثم توقف. استعادت لوهلة لينها، ورأت فيه الطفلة التي كانتها قبل سنوات قليلة، والرعب الذي كان ينتابها عندما تخسر مباراة معينة.

مدت يدها، وعندما صافحها وجدت نفسها مجبرة على الابتسام.

- ولا أنا سبق لي أن ذهبت إلى سهرة درايف-إن.

هز رأسه.

- ما كان عليّ السماح لك بفعلها. أقصد حركة القلعة.

- نعم، قالت. في أي سن بدأت تلعب الشطرنج؟

- في الرابعة من عمري. كنت بطل المقاطعة في السابعة، وأطمح إلى أن أصبح بطلاً للعالم ذات يوم.

- متى؟

- بعد ثلاث سنوات.

- ستكون في السادسة عشرة من عمرك بعد ثلاث سنوات.

أومأ برأسه وقد بدت الكآبة على محيّاه.

- ماذا ستفعل بعد الفوز؟

بدا حائراً.

- لم أفهم.

- ماذا ستفعل بحياتك بعد الفوز ببطولة العالم في سن السادسة عشرة؟

بدا أن حيرته قد تضاعفت.

- لم أفهم.

نامت السيدة ويتلي مبكراً، وبدا أن حالتها قد تحسنت في اليوم التالي، حيث استيقظت قبل بيث. نزلتا لتناول الفطور في لا كامارا دي توريروس، حيث طلبت السيدة ويتلي عجة إسبانية وفنجانَي قهوة ولم تترك شيئاً في طبقها. شعرت بيث براحة كبيرة.

ظهرت قائمة اللاعبين في اللوحة الإعلانية بالقرب من المكتب. لم تكن بيث تهتم بها في الأيام الماضية، لكنها ألقت عليها نظرة إثر وصولها إلى المكان قبل الموعد بعشر دقائق. تم تسجيل أسماء اللاعبين وفق تصنيفهم الدولي. بورغوف الأول، بـ 2715 نقطة، وهارمون في المرتبة 17 بـ 2370 نقطة، وبعد كل اسم سلسلة مربعات تشير إلى نتائج البطولة. تشير «0» إلى خسارة، «1/ 2» إلى تعادل و«1» إلى فوز. كان هناك الكثير من «1/ 2». وثلاثة أسماء مرفوقة بسلسلة متتالية من «1»: كان بورغوف وهارمون بين هذه الأسماء.

على اليمين، تم تسجيل المباريات المنتظرة، في الأعلى، **بورغوف** ضد **راند** وأسفله **هارمون** ضد **سولومون**. إذا فاز بورغوف وبيث اليوم، فهذا لا يعني بالضرورة أن يتواجها في الغد في النهائيات. لم تكن متأكدة من رغبتها في مواجهته. لقد هزتها المواجهة ضد غيريف، وما زالت قلقة بشأن الحالة الصحية للسيدة ويتلي رغم تحسنها: هي ترى بشرتها الشاحبة ووجنتيها الغائرتين وابتسامتها الباهتة. تصاعدت حدة الصخب: بدأ اللاعبون بالتوافد للجلوس على مقاعدهم والاستعداد لبدء اللعب. حاولت بيث تجاهل قلقها بكل ما تملك من قوة. بحثت عن الرقعة رقم 4، الأولى في القاعة الكبرى، ثم انتظرت سولومون.

لم يستسلم هذا الأخير بسهولة، فاحتاجت إلى أربع ساعات قبل إجباره على الاستسلام. لكن، لم تفقد بيث ولو لحظة ميزة تقدمها - ميزة امتلاك القطع البيضاء، واستغلال النقلة الأولى. لم يتفوه سولومون بكلمة، ولكن طريقته في الابتعاد أوضحت لبيث حنقه من فكرة هزيمته على يد امرأة. كان تصرفاً رأته بيث مراراً قبل ذلك، وبما يكفي لملاحظته بسهولة. كان ذلك يغضبها في السابق، لكنها لم تجد نفسها مهتمة بالأمر هذه المرة. هي الآن مشغولة بشيء آخر.

ذهبت إلى القاعة الصغيرة التي يلعب فيها بورغوف، لكنها لم تجد أحداً هناك. تم الإعلان عن فوز بورغوف بالمباراة، فوز مدمر شبيه بما فعلته هي ضد سولومون.

تفقدت القائمة في القاعة الكبرى. تم تدوين بعض مباريات الغد. فوجئت بما رأته. اقتربت أكثر، فشعرت بما يشبه العقدة في حلقها؛ في صدارة لائحة المباريات النهائية، كُتب بحروف سوداء كبيرة، **بورغوف ضد هارمون**. رمشت بيث بعينيها وقرأت ذلك للمرة الثانية وهي تحبس أنفاسها.

أحضرت بيث ثلاثة كتب ضمن أمتعتها. تناولت العشاء مع السيدة ويتلي في غرفتهما، ثم أخذت كتاب **مباريات الأساتذة الكبار** الذي يضم خمس مباريات لبورغوف. بدأت بالمباراة الأولى ولعبتها من جديد على رقعتها، وهو ما لم تكن تفعله إلا نادراً. كانت معتادة على الاحتكام إلى موهبتها في تخيل أطوار مباراة بمجرد القراءة عنها، لكنها رغبت هذه المرة في تخيّل وجود بورغوف بنفسه أمامها، وبشكل أقرب للملموس. استلقت السيدة ويتلي على فراشها منشغلة بقراءة كتاب، فيما انهمكت بيث في دراسة مباريات بورغوف باحثة عن نقطة ضعف، لكنها لم تجدها. بدأت من جديد، متوقفة

في المرات التي بدا فيها أن الخيارات مفتوحة، متابعة كل خيار، مستغرقة في التفكير إلى درجة نسيان حاضرها بالكامل أمام التوليفات والنقلات التي تتابعت في ذهنها. من وقت إلى آخر، يصدر صوت عن السيدة ويتلي أو حتى صوت وهمي ناجم عن تصاعد توترها، فتقفز من مكانها، وتلقي نظرة خاوية على الغرفة، فتشعر بتصلب وآلام عضلاتها، مع اختراق الخوف لأعماقها.

هو شعور تعرفه جيداً، منذ أكثر من سنة، وفي أوقات معينة، عندما تشعرها النقلات اللانهائية لبيادق الشطرنج بالدوار وبالرعب أحياناً. بحلول منتصف الليل، وضعت السيدة ويتلي كتابها جانباً ثم نامت بهدوء. ظلت بيث جالسة على الأريكة الخضراء لبضع ساعات إضافية. لم تعد تسمع الشخير الخفيف للسيدة ويتلي، لم يعد أنفها يلتقط الرائحة الغريبة لهذا الفندق المكسيكي. تولَّد لديها انطباع بأنها على حافة هوة عميقة، وبأنها بوجودها أمام الرقعة التي اشترتها من بورسيل في كنتاكي، معلقة فوق منحدر، ولا تتمسك بها سوى تلك القدرات الذهنية الغريبة التي تجعلها قادرة على خوض غمار هذه اللعبة الأنيقة والقاتلة، حيث يتمدد الخطر ليشمل الرقعة بأكملها، ولا أحد بإمكانه التقاط أنفاسه داخلها.

لم تخلد إلى النوم إلا في الرابعة صباحاً، وحلمت بأنها تغرق.

تواجد البعض في القاعة الكبرى. عرفت منهم مارينكو مرتدياً بدلة وربطة عنق. أشار لها بيده فأجبرت نفسها على الابتسام له، وقد هزمته، وهو شعور غريب. كانت بيث على أعصابها، وهي واعية بذلك، لكنها غير قادرة على فعل شيء حيال الأمر.

استحمت في السابعة صباحاً، دون أن تفلح في التخلص من

التوتر الذي عاودها بعد استيقاظها. بالكاد تمكنت من شرب فنجان قهوتها في المقهى شبه الخالي. غسلت وجهها عدة مرات في محاولة للتخلص من ضبابية أفكارها، ثم سارت فوق السجاد الأحمر في القاعة الكبرى وصولاً إلى حمام السيدات لغسل وجهها من جديد. مسحت وجهها بعناية، مستخدمة المناديل الورقية، ثم مشطت شعرها وتفحصت أدق تفاصيل مظهرها أمام المرآة الكبيرة. بدا لها أن حركاتها مفتعلة، وأن جسدها ضعيف بشكل لا يصدق. كان خوفها شبيهاً في قوته بآلام الأسنان.

بولوجها إلى الممر، رأته. كان واقفاً بصلابة، ومعه رجلان لم تكن تعرفهما. يرتدي الثلاثة سترات داكنة اللون. يتحدثون بصوت منخفض، قريبون من بعضهم، كما لو أن الأمر يتعلق بأسرار. خفضت عينيها عند مرورها بالقرب منهم، ثم دلفت إلى القاعة الصغيرة. تواجد هناك بعض الأشخاص ينتظرون، حاملين آلات تصوير. هم صحفيون. جلست إلى الطاولة رقم 1، حيث ستلعب بالقطع السوداء. تطلعت إلى الرقعة لوهلة، مستمعة إلى صوت المدير: «ستبدأ المباريات بعد ثلاث دقائق». ثم رفعت عينيها.

دخل بورغوف إلى القاعة متوجهاً نحوها. بدلته أنيقة، وساقا السروال تنتهيان بثنية فوق حذاء أسود براق. استمعت إلى صوت المدير بعيداً: «يمكنكم الضغط على زر ساعة المنافس». مدت ذراعها وضغطت على الزر ورفعت رأسها. كان أمامها، ببشرته الداكنة، وثقله، وقوة بنيته، مركّزاً نظره على الرقعة. رأته يمد يداً بأصابع قصيرة، كما لو كان حلماً، ليلتقط البيدق أمام الملك ويضعه في الصف الرابع. البيدق إلى مربع الملك الرابع.

لوهلة، لم تستطع بيث الإشاحة بوجهها عن الرقعة. كانت دائماً

تردّ بافتتاحية الدفاع الصقلي - أكثر افتتاحية مألوفة لمن يلعب بالقطع البيضاء. لكنها ترددت. أشارت إحدى الصحف إلى أن بورغوف هو «أستاذ الدفاع الصقلي». قدمت البيدق أمام ملكها باندفاع تقريباً، على أمل التواجد في موقع كلاهما لا يعرفانه جيداً، بما يسمح لها بحرمانه من ميزة صنعتها خبرته الطويلة. أخرج حصانه ففعلت مثله لحماية بيدقها. لذلك، وبلا تردد، قدم فيله الأبيض في مواجهة حصان بيث. انقبض قلبها. حركة روي لوبيز. سبق أن استخدمتها في بعض الأحيان، لكنها شعرت بالخوف هذه المرة. هي افتتاحية معقدة، يتم تحليلها بدقة تشابه دقة الدفاع الصقلي، وتضم عدداً من الوضعيات التي تعرفها بالكاد، وربما قرأت عنها في بعض الكتب.

وميض آلة تصوير مرة أخرى، صورة جديدة، كما سمعت همس المدير المطالب بعدم إزعاج اللاعبين. قدمت بيث بيدقاً، مهددة الفيل، فقام بورغوف بإرجاعه مربعاً واحداً إلى الوراء. بذلت جهداً كبيراً للتركيز، فقدمت حصانها الثاني ليرد بورغوف بالتبييت. كلها نقلات معتادة، لكنها لم تكن مطمئنة. يجب عليها أن تختار الآن بين التفريع المفتوح ونظيره المغلق. ألقت نظرة على منافسها، ثم عادت إلى الرقعة وأخذت بيدقاً باستخدام حصانها، مقررة استخدام التفريع المفتوح. قدّم هو البيدق أمام ملكته، كما هو متوقع، وقدمت هي البيدق أمام حصانها، من جهة الملكة، بما يمكنها من حماية نفسها ضد هجمة قلعة الخصم. آلم ضوء الثريا المعلقة بالسقف عينيها، واعتراها القلق، كما لو أن مجريات المباراة كانت حتمية - كما لو أنها مأسورة في سلسلة من المناورات والهجمات المضادة التي ستقودها حتماً إلى الهزيمة، في مباراة شهيرة نتيجتها معروفة سلفاً، ولا تلعب الآن سوى لفهم تفاصيلها.

هزت رأسها. ليس الأمر بهذا الشكل. كلاهما يحاول الاستعانة بنقلات معروفة، ولا امتياز للقطع البيضاء سوى ما امتلكته دوماً - امتياز النقلة الأولى. عندما ستتعلم الحواسيب كيفية لعب الشطرنج، فسوف تتفوق القطع البيضاء دائماً، كما يقال، بفضل هذه الميزة، كما في لعبة العلامات والدوائر. لكن الأمور مختلفة هنا. لا تخوض بيث مباراتها ضد آلة لا تقهر.

أعاد بورغوف فيله إلى الصف الثالث. قدمت بيث بيدق ملكتها، فأخذه، ثم وضع فيله الأبيض أمام الملك. كانت تعرف هذه النقلة وهي بعد في ميثوين، بفضل تحليلات **افتتاحيات الشطرنج الحديثة** التي حفظتها عن ظهر قلب خلال الحصص الدراسية. لكن المباراة انتقلت إلى مرحلة جديدة ومفتوحة، حيث يمكن حدوث تحركات مفاجئة. رفعت عينيها نحو بورغوف، هادئ الأعصاب، الذي التقط الملكة البيضاء ليضعها أمام الملك. رمشت بيث بعينيها. ما الذي يريده بالضبط؟ تهديد حصانها في الصف الخامس؟ لن يجد أدنى صعوبة في محاصرة البيدق الذي يحميه بواسطة القلعة. ولكن ذلك غير بديهي ربما. شعرت بانقباض في معدتها من جديد، مع دوار خفيف.

عقدت بيث ذراعيها، ودرست وضعيتها. رأت بطرف عينها الشاب المكلف بمتابعة النتيجة، يضع الملكة البيضاء في مربع الملك الثاني. نظرت إلى القاعة. دزينة من الأشخاص تقريباً، يتابعون اللعب. عادت بتركيزها إلى المباراة. يجب عليها أن تتخلص من هذا الفيل. إذا وضعت حصانها في مربع القلعة الرابع فقد يفي ذلك بالغرض. الشيء نفسه بالنسبة إلى الحصان في مربع الفيل الرابع أو الفيل في مربع الملك الثاني، ولكن في وضعية أكثر تعقيداً. فكرت

لبعض الوقت ثم استبعدت الفكرة، فأمام بورغوف، تبدو هذه التعقيدات بالغة الخطورة. إنّ وضع حصانها على خط القلعة يُفقده نصف قوته، لكنها وضعته رغم ذلك. يجب عليها التخلص من هذا الفيل الذي يثير التوجس.

في اللحظة ذاتها، مد بورغوف ذراعه من دون تردّد ووضع حصانه في مربع الملكة الرابع. اتسعت عينا بيث. اعتقدت أنه سيقوم بتحريك قلعته. تبدو هذه النقلة، ظاهرياً، بلا خطورة. تملكتها رغبة في تقديم بيدق الملكة. سيكون بورغوف مجبراً على أخذ الفيل بحصانه، كما ستكون هي قادرة وقتئذ على أخذ فيله باستخدام حصانها، وبالتالي تحييد الخطر المحدق بحصانها الثاني - هو بعيد بعض الشيء، في الصف الخامس، من دون مربعات كافية بما يسمح له بالإفلات. سيكون فقدان حصان أمام لاعب مثل بورغوف خسارة قاتلة. التقطت البيدق، ترددت لبعض الوقت قبل وضعه، تراجعت قليلاً في مقعدها والتقطت أنفاسها. بدت لها الوضعية مريحة.

لم ينتظر بورغوف أكثر، فأخذ الفيل مستخدماً حصانه، لتأخذه هي مستخدمة بيدقها. ثم قدم بيدق فيله الأسود بمقدار صف واحد -رد من بين الردود التي توقعتها- محرراً بذلك مربعاً لوضع الفيل الذي أزعجها. استولت بيث على الفيل، مرتاحة لتمكنها من التخلص منه، وسعيدة بتقديم الحصان نحو وسط الرقعة. لم يرمش بورغوف، بل أخذ الحصان مستخدماً بيدقه، وألقى عليها نظرة سريعة، قبل أن يخفض بصره.

رفعت حاجبيها بقلق. لقد أعجبتها العملية بداية، لكن سرورها يتضاءل الآن. المشكلة الآن في هذا الحصان المتمركز في الصف الخامس. يمكنه تقديم ملكته إلى مربع الملك الرابع، والتهديد بأخذ

البيدق الأوسط والقيام بحركة كش ملك، وإذا قامت بتحصين نفسها، فسيكون قادراً على مهاجمة الحصان باستخدام بيدق، ولن يجد هذا أي سبيل للتحرك. لأن الملكة البيضاء ستأخذه. وهناك مشكلة أخرى، من ناحية الملكة: يمكنه أخذ بيدق باستخدام قلعته، سيفقدها لكنه سيستعيد الزمام بوضعية كش ملك بواسطة ملكته. سيتصرف مستعيناً ببيدق إلى الأمام ووضعية أفضل. لا. بيدقان إلى الأمام. يجب أن تضع ملكتها في مربع الحصان الثالث. تحريك الملكة إلى مربع الملكة الثاني ليس جيداً، بسبب هذا البيدق اللعين الذي قد يهاجم حصانها. هي لا تحبذ فكرة التواجد في وضعية الدفاع، ففكرت طويلاً قبل اللعب، مع رجاء بالعثور على سبيل لشن هجوم مضاد. لكن لا سبيل إلى ذلك. كان عليها تحريك ملكتها لحماية حصانها. درست الوضعية من جديد وقد شعرت بتورد وجنتيها. لا شيء. وضعت بيث ملكتها في مربع الحصان الثالث من دون النظر إلى بورغوف.

لم يتردد خصمها، محركاً فيله إلى مربع الملك الثالث، لحماية ملكه. **كيف عجزت عن الانتباه لذلك؟** لقد أخذت وقتها الكافي. إذا قدمت بيدقها الآن، كما خطّطت، فستفقد ملكتها. **لماذا لم تنتبه لذلك؟** لقد أعدّت للكش المكشوف بتحريك الملكة، وقد وجد هو بسرعة حركة دفاعية بديهية، بديهية بشكل مرعب. نظرت بيث إلى بورغوف، بمحيّاه الروسي الحليق، الجامد، وذقنه العريضة، وربطة عنقه المربوطة بعناية، فأحست بأنها شبه مشلولة من شدة الخوف.

ركزت بكل قوتها، وقضت عشرين دقيقة وهي تدقق في الرقعة، متصلبة. انقبضت معدتها أكثر فأكثر مع حيرتها بين اختيار أو استبعاد عدة احتمالات للتحرك. من المستحيل إنقاذ حصانها. انتهى بها

المطاف إلى وضع فيلها أمام الملك، وكما كان متوقعاً، قدم بورغوف ملكته نحو مربع الملك الرابع، مهدداً بأخذ حصانها ببيدقه في النقلة التالية. بإمكانها الآن تحريك ملكها، أو القيام بالتبييت. لقد خسرت حصانها في كل الأحوال. اختارت التبييت.

هاجم بورغوف حصانها فوراً، مستخدماً بيدقه. تملكت بيث الرغبة في الصراخ. كل نقلاته بديهية، بيروقراطية، من دون أي إبداع. شعرت بالاختناق، فقدمت بيدق الملكة إلى الصف الخامس في محاولة لتهديد الفيل الخصم، حيث سيكون الرد الحتمي بتحريك فيله إلى مربع القلعة السادس، مهدداً بوضعية كش مات. يجب عليها استخدام القلعة لحماية نفسها. سيأخذ الحصان مستخدماً ملكته، وإذا أخذت الفيل فإن الملكة ستأخذ القلعة الموجودة في الزاوية مع وضعية كش ملك، وسينهار كل شيء. عليها تحريك قلعتها لحمايته، وهي تفقد حصانها، في مواجهة بطل العالم الذي يرتدي قميصاً أبيض نظيفاً، وربطة عنق أنيقة، بملامح صارمة، وبشرة داكنة، لا تسمح لظهور أي علامة شك أو ضعف.

رأت بيث يدها تمتدّ إلى الملك الأسود وتُسقطه على الرقعة.

استمعت إلى أصوات التصفيقات لبعض الوقت، من دون إصدار أي حركة، ثم غادرت القاعة متحاشية نظرات الجميع.



الفصل التاسع

- أحضِر لي تيكيلا سانرايز[1]، قالت.

أشارت الساعة المعلقة فوق منضدة الحانة إلى الثانية عشرة والنصف، وكانت أربع نساء أميركيات يتناولن الغداء حول طاولة بالطرف الآخر من القاعة. لم تكن بيث قد تناولت الإفطار، لكنها لم تشعر برغبة في الغداء كذلك.

Con mucho gusto[2]، قال ساقي الحانة.

كان حفل تسليم الجوائز في الساعة الثانية والنصف. احتست بيث الشراب طوال الوقت. قد تحتل المركز الرابع، أو ربما الخامس، حيث يتقدمها الثنائي الذي اتفق على التعادل برصيد خمس نقاط ونصف لكل منهما. أحرز بورغوف ست نقاط، وكان رصيدها هي خمس نقاط. شربت ثلاثة كؤوس تيكيلا سانرايز، أكلت بيضتين مسلوقتين ومن ثم انتقلت إلى جعة دوس إيكيس[3]. تطلّب الأمر أربعة كؤوس لتتخلص من المغص، ولكي تدفن حنقها وعارها.

---

(1) كوكتيل مكون من التيكيلا وعصير البرتقال ومشروب الرمان. (المترجم)

(2) بكل فرح. (المترجم)

(3) ماركة جعة مكسيكية. (المترجم)

حتى عندما بدأ الوضع يخف، كانت لا تزال ترى وجه بورغوف الصارم والثقيل، ولا تزال تحس بالإحباط الذي تملّكها أثناء المباراة. لعبت كخرقاء مبتدئة، خرقاء محرَجة لا تشكل أي تهديد.

شربت بيث كثيراً، لكنها لم تشعر بالدوار، ولم تتلعثم أثناء الطلب، كما لو أن عازلاً يفصلها عن كل شيء. جلست إلى طاولة في طرف صالة المشروبات مع كوب الجعة، دون أن تثمل.

في تمام الساعة الثالثة، دخل مشاركان في البطولة إلى الحانة وهما يتكلمان بصوت خفيض. نهضت بيث في الحال متوجهة إلى غرفتها.

كانت السيدة ويتلي مستلقية على فراشها. يدها على رأسها، وأصابعها تتخلل شعرها كما لو أنها تحس بصداع. مشت بيث في اتجاه الفراش. لم تبدُ السيدة ويتلي على ما يرام. تقدمت بيث نحوها وأمسكتها من ذراعها. كانت السيدة ويتلي ميتة.

بدا الأمر كأنها لم تشعر بشيء، لكن خمس دقائق مرت قبل أن تستطيع بيث ترك ذراع السيدة ويتلي الباردة والتقاط الهاتف.

كان المدير يعرف جيداً ما يتوجب عليه فعله. جلست بيث على الأريكة تحتسي قهوة بالحليب جلبتها لها خدمة الغرف بينما أتى رجلان بنقالة بناءً على توجيهات المدير. كانت تسمعه، لكنها لم تلتفت نحوه. أبقت نظرها باتجاه النافذة. التفتت بعد هنيهة لرؤية امرأة متوسطة العمر في بدلة رمادية وهي تتفقد السيدة ويتلي باستعمال سماعة طبية. كانت السيدة ويتلي فوق الفراش، والنقالة تحتها. وقف الرجلان ذوا الزي الأخضر قرب طرف السرير، وبدا أنهما محرجان. نزعت المرأة السماعة وأومأت برأسها للمدير ثم قدِمت باتجاه بيث وعلى محيّاها علامات إنهاك شديد.

- أنا آسفة، قالت.

أشاحت بيث بنظرها بعيداً.

- ما السبب؟

- التهاب كبدي، على الأرجح. سنعرف غداً.

- غداً، قالت بيث. هل بإمكانك إعطائي مهدئاً؟

- بحوزتي مسكّن...

- لا أريد مسكّناً، هل لك أن تصفي لي الليبريوم[1]؟

حدقت فيها الطبيبة لوهلة ثم هزت كتفيها.

- لستِ بحاجة إلى وصفة طبية لشراء الليبريوم في المكسيك. أقترح عليك ميبروباميت[2]. توجد صيدلية في الفندق.

دوَّنت بيث باستعمال خريطة في مقدمة الدليل السياحي الخاص بالسيدة ويتلي أسماء المدن الموجودة ما بين دنفر، كولورادو، وبوتي، مونتانا. أخبرها المدير أن مساعِده سيقدم لها أي عون قد تكون بحاجة إليه فيما يخص الاتصالات الهاتفية وتوقيع الأوراق وكذا التعامل مع السلطات. بعد مرور عشر دقائق على نقل السيدة ويتلي، اتصلت بيث بالمساعد وقرأت عليه قائمة المدن ثم زوّدته بالاسم. أخبرها أنه سيعيد الاتصال بها. قامت بطلب كوكا كولا من الحجم الكبير والمزيد من القهوة من خدمة الغرف، ثم خلعت ثيابها بسرعة وأخذت حماماً. كان هنالك هاتف في الحمام، لكنه لم يرن. ما زالت فاقدة لكل إحساس تماماً.

---

(1) دواء يستخدم في علاج القلق والتوتر العصبي ونوبات الخوف والهلع واضطرابات النوم. (المترجم)

(2) نوع من المهدئات. (المترجم)

ارتدت سروال جينز نظيفاً وقميصاً أبيض. وُضعت على المنضدة الصغيرة قرب الفراش علبة تشسترفيلد الخاصة بالسيدة ويتلي وهي فارغة ومتكوِّمة. كانت المنفضة بجانبها ممتلئة بأعقاب السجائر. اتكأت سيجارة- تلك الأخيرة التي دخنتها السيدة ويتلي- على حافة المنفضة الصغيرة، وعلى طرفها امتد رماد بارد. حدقت فيها بيث لبرهة؛ ثم توجهت إلى الحمام وجففت شعرها.

تصرف الفتى الذي جلب زجاجة الكولا الكبيرة وإبريق القهوة باحترام شديد، كما أحبط محاولتها لتوقيع الفاتورة. رن الهاتف. إنه المدير. «إنه اتصال»، أخبرها. «إنه من دنفر».

تعاقبت سلسلة من النقرات في السماعة أتى بعدها صوت رجالي مرتفع وواضح.

- معك أليستون ويتلي.

- هذه بيث، سيد ويتلي.

صمتٌ قصير.

- بيث؟

- ابنتك. إليزابيث هارمون.

- هل أنت في المكسيك؟ هل تتصلين من المكسيك؟

- يتعلق الأمر بالسيدة ويتلي. كانت تنظر إلى السيجارة التي لم يتم تدخينها حقاً، في المنفضة.

- كيف حال ألما؟ قال الصوت. هل هي معك؟ في المكسيك؟

بدا اهتمامه مفتعلاً. استطاعت بيث أن تصوره في مخيلتها كما رأته أول مرة في ميثيون، متمنياً لو كان في مكان آخر، وكل شيء بشأنه يظهر انعدام رغبته في إنشاء روابط، لطالما أراد أن يكون في مكان آخر.

- لقد توفيت، يا سيد ويتلي. توفيت هذا الصباح.

عمّ الصمت في الجهة الأخرى من الخط. قالت أخيراً:

- سيد ويتلي...

- هل بإمكانك تولّي الأمر بدلاً مني؟ أردف قائلاً. لن أستطيع القدوم إلى المكسيك.

- سيقومون بعملية تشريح غداً، ويجب عليّ شراء تذاكر طائرة جديدة. أعني، شراء تذكرة طائرة جديدة لنفسي... خفت صوتها بشكل مفاجئ وبدا خائباً. أمسكت بكوب القهوة وأخذت منه رشفة. لا أعرف أين سأقوم بدفنها.

عاد صوت السيد ويتلي وبه هشاشة غير متوقعة.

- اتصلي بدورجين براذرز في لكسينغتون. هنالك مقبرة للعائلة باسمها قبل الزواج. بنسون.

- ماذا عن المنزل؟

- حسناً -كان الصوت أعلى هذه المرة- لا أريد أي حصة منه. لدي ما يكفي من المشاكل هنا في دنفر. اذهبي بها إلى كنتاكي وقومي بدفنها والمنزل لك. فقط قومي بتسديد أقساط الرهن. هل أنت بحاجة إلى المال؟

- لا أعرف. لا أعرف كم سيكلف الأمر.

- سمعتُ أنك تبلين حسناً. الطفلة المعجزة وأشياء من هذا القبيل. ألا يمكنك جعلهم يتكفلون بالأمر؟

- أستطيع أن أتحدث مع مدير الفندق.

- جيد. فلتفعلي. ليس لدي الكثير من المال حالياً، لكن بإمكانك الاحتفاظ بالمنزل والأسهم. اتصلي بسيكند ناشيونال بنك

واسألي عن السيد إرليتش. إ-ر-ل-ي-ت-ش. أخبريه برغبتي في أن تحصلي على المنزل. إنه يعرف كيف يتواصل معي.

عمّ الصمت من جديد، ثم قالت بأقصى قوتها:

- ألا تريد أن تعرف سبب وفاتها؟

- وما هو السبب؟

- التهاب كبدي، على ما أظن. سيعرفون ذلك غداً.

- أوه، أجاب السيد ويتلي. كانت مريضة جداً.

تكفّل المدير والطبيب بكل شيء - بما في ذلك التعويض على تذكرة السيدة ويتلي. كان على بيث توقيع بعض الوثائق الرسمية، وإبراء الفندق من المسؤولية ثم ملء بعض الاستمارات الحكومية. حملت الاستمارة عنوان «جمارك الولايات المتحدة - نقل الجثث». تولّى المدير أمر دورجين براذرز في لكسينغتون، بينما قام مساعده بإيصال بيث إلى المطار في اليوم التالي، وعربة الموتى تتعقبهم بحذر عبر شوارع مكسيكو سيتي وطوال الطريق الرئيسي. نظرت بيث إلى التابوت المعدني مرة واحدة فقط عبر النافذة من غرفة TWA[1] للانتظار. سيقت عربة نقل الموتى إلى بوابة الطائرة 707 حيث قام بعض الرجال بتفريغها تحت ضوء الشمس الساطع. قاموا بوضعه على رافعة، واستطاعت بيث سماع صوت أنين المحرك الخافت عبر النافذة بعد أن تم رفعه إلى مستوى عنبر الشحن. ارتعش التابوت قليلاً تحت أشعة الشمس فانتابتها، بشكل مباغت، رؤية مروعة بسقوطه عن الرافعة وتحطمه فوق المدرج، ومن ثم انزلاق الجثة

(1) شركة طيران أميركية تأسست سنة 1925. (المترجم)

المحنطة للسيدة ويتلي المتوسطة العمر منه لترتطم بالإسفلت الرمادي الساخن. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. تم سحب النعش بسلاسة إلى داخل عنبر الشحن.

رفضت بيث، وهي على متن الطائرة، شراباً قدمته المضيفة. بعد مضي هذه الأخيرة إلى نهاية الرواق، فتحت بيث حقيبتها لتخرج واحدة من زجاجات الحبات الخضراء الجديدة. أمضت ثلاث ساعات من اليوم السابق بعد توقيع الوثائق وهي تنتقل من صيدلية إلى أخرى، مشترية العدد الأقصى المسموح به في كل واحدة وهو مئة حبة.

كانت الجنازة بسيطة وموجزة. تناولت بيث أربع حبات خضراء قبيل نصف ساعة من بدئها. جلست وحيدة في الكنيسة وهي في حالة من الذهول الصامت، بينما تحدّث القسيس قائلاً ما يقوله القساوسة عادة. وُضعت أزهار حول المذبح، وكانت بيث متفاجئة قليلاً عند رؤيتها لرجلين حضرا الجنازة قد تقدّما لأخذها فور انتهاء القسيس من الحديث. كان هنالك ستة أشخاص آخرين، لكن بيث لم تتعرف على أي منهم. قامت سيدة عجوز بضمّها بعد ذلك، وقالت: «مسكينة أنت يا عزيزتي».

أنهت بيث تفريغ أمتعتها ذاك المساء، ونزلت من غرفة نومها لإعداد قهوة. بينما أوشك الماء على الغليان، ذهبت إلى الحمام الصغير في الأسفل لتغسل وجهها، وفجأة وهي واقفة هناك، محاطة بالزرقة، ببساط السيدة ويتلي الأزرق وفوطها الزرقاء وصابونها الأزرق ومناشفها الزرقاء، انفجرت حرارة في جوفها وابتل وجهها دمعاً. أخذت فوطة من فوق الرف غطت بها وجهها وقالت:

«يا إلهي»، ثم اتكأت على حوض الغسيل وبكت لوقت طويل.

كانت لا تزال تجفف وجهها حين رن الهاتف.

كان الصوت ذكورياً.

- بيث هارمون؟

- أجل.

- هذا أنا، هاري بلتيك. من بطولة الولاية.

- أذكرك.

- جيد. سمعت أنكِ خسرت أمام بورغوف. أردت أن أعرب عن مواساتي.

لمحت وهي تضع الفوطة على ظهر الأريكة المحشوة أكثر من اللازم علبة سجائر نصف ممتلئة للسيدة ويتلي فوق مسند الأريكة. «شكراً»، أجابت وهي تحمل العلبة ممسكة إياها بإحكام.

- بأي قطع لعبتِ؟ البيضاء؟

- السوداء.

- حسناً. صمتٌ قصير. أهناك خطب ما؟

- كلا.

- ذلك أفضل.

- ما هو أفضل؟

- الأفضل أن تكوني تلعبين بالقطع السوداء إذا كنت ستُهزمين.

- أظن ذلك.

- ما كانت افتتاحيتك؟ الدفاع الصقلي؟

قامت بإعادة علبة السجائر فوق مسند الأريكة بهدوء.

- روي لوبيز. تركته يقوم بفعلها.

- خطأ، قال بلتيك. انظري، أتواجد حالياً في لكسينغتون وسأبقى طوال فصل الصيف. أتودين التدرب قليلاً؟

- التدرب؟

- أعرف. أنت أفضل مني. لكن إذا كنت ستواجهين الروس، فستكونين بحاجة إلى المساعدة.

- أين أنت؟

- في فندق فينكس. سأنتقل يوم الخميس إلى شقة.

نظرت حول الغرفة لوهلة، نظرت إلى حزمة مجلات السيدة ويتلي النسائية فوق الأريكة، وإلى الستائر الزرقاء الباهتة المنسدلة على النوافذ، وكذا المصابيح الضخمة المزخرفة التي لا يزال السيلوفان يلف ألوانها المُصْفرّة. أخذت نفَساً عميقاً أخرجته بصمت، وقالت: «تعال أنت إلى هنا».

قاد سيارته الشيفروليه طراز 1955 لخمس وعشرين دقيقة، حيث رُسِمت ألسنة لهب باللونين الأحمر والأسود على المصدات، وكان مصباحها الأمامي مكسوراً، ليقف عند الرصيف في نهاية ممر القرميد المزخرف. كانت تراقبه عبر النافذة وتواجدت بالشرفة الأمامية بمجرد نزوله من السيارة. لوَّح لها واتجه نحو صندوق السيارة. كان يرتدي قميصاً أحمر فاقعاً وسروالاً قطنياً رمادياً وحذاء يتماهى مع القميص. كان هنالك شيء قاتم ومتسرع بشأنه، وعند تذكر أسنانه القبيحة وطريقته الشرسة في لعب الشطرنج، شعرت بيث ببعض الجمود عند رؤيته.

انحنى على صندوق السيارة وأخرج منه صندوقاً كرتونياً، من الواضح أنه ثقيل، أزاح الشعر عن عينيه وصعد إلى الممشى. كُتب

على الصندوق HEINZ TOMATO KETCHUP[1] باللون الأحمر؛ كان مفتوحاً من الأعلى ومليئاً بالكتب.

وضعه فوق البساط بغرفة المعيشة، ثم أخذ من دون أي اعتبار مجلات السيدة ويتلي من فوق منضدة القهوة ودسها في حزمة المجلات. شرع في إخراج الكتب من الصندوق واحداً تلو الآخر وهو يقرأ عناوينها ثم يكدسها فوق الطاولة. أ. ل. داينكوف، **استراتيجيات وسط اللعبة**؛ ج. ر. كابابلانكا، **مسيرتي مع لعبة الشطرنج**؛ فورنو، **مباريات أليخين (1938-1945)**؛ ماير، **نهايات القلاع والبيادق**.

لقد رأت البعض منها من قبل، بل وكانت تملك بعضها. لكن أغلبها بدا جديداً، ثقيلاً وكئيباً. كانت تعرف أن هنالك العديد من الأمور المفيدة التي وجب عليها أن تلمّ بها. لكن كابابلانكا درس بالكاد، لقد لعب بالاعتماد على حدسه ومواهبه: قدراته الطبيعية؛ بينما حفظ اللاعبون الأقل شأناً كبوغولوبوف وغرونفلد خطط اللعب كمتحذلقين ألمان. لقد رأت بعض اللاعبين في البطولة بعد انتهاء مبارياتهم وهم جالسون من دون حراك على الكراسي غير المريحة، غافلين عن العالم وهم يدرسون مختلف الافتتاحيات، أو استراتيجية وسط اللعبة، أو نظرية نهاية اللعبة. لم توجد نهاية لذلك. انتابها شعور بالإرهاق والارتباك عند رؤية بلتيك يزيل كتاباً ثقيلاً ثم يتبِعه بآخر. ألقت نظرة على التلفاز: رغب جزء منها في تشغيله ونسيان الشطرنج إلى الأبد.

- قراءاتي في الصيف، قال بلتيك.

---

(1) صلصة طماطم هاينز. (المترجم)

هزت رأسها بانزعاج.

- أقوم بدراسة الكتب. لكني لطالما حاولت اللعب بالفطرة، بشكل عفوي.

توقف حاملاً بين يديه ثلاث نسخ من نشرة **كش ملك** التي اهترأت أغلفتها جراء كثرة الاستعمال، وهو عابس في وجهها.

- مثل مورفي، قال، أم كابابلانكا؟

شعرت بالحرج.

- أجل.

أومأ برأسه بصرامة ثم وضع كومة المجلات على الأرض قرب منضدة القهوة.

- كان كابابلانكا ليهزم بورغوف.

- ليس في كل المباريات.

- في كل مباراة مهمة، أردف بلتيك.

قامت بدراسة ملامحه. بدا أصغر سناً مما تذكّرته. لكنها صارت أكبر سناً الآن. كان رجلاً يافعاً وعنيداً، كل جزء منه يتصف بالعناد.

- تظنني البريما دونا[1]، أليس كذلك؟

سمح لنفسه بابتسامة صغيرة. قال:

- جميعنا بريما دونات. هذا هو الشطرنج بالنسبة إليك.

دست طبقَي العشاء في الفرن، كانا قد وضعا رقعتين مع وضعيتين لنهاية اللعب: تتكون مجموعته من مربعات باللونين الأخضر والبيج وقطع بلاستيكية ثقيلة، وخاصتها من رقعة خشبية

(1) المغنية الرئيسية في الأوبرا. (المترجم)

بقطع مصنوعة من خشب الورد والقيقب. كانت كلتا المجموعتين من تصميم ستونتن[1] الذي يستعمله كل اللاعبين المحترفين، وكان لدى كليهما ملك طوله عشرة سنتيمترات. لم تكن قد دعته للبقاء من أجل الغداء والعشاء، وفهم ذلك. ذهب إلى متجر البقالة الذي يبعد قليلاً عن المنزل لإحضار الطعام، بينما جلستْ تتأمل مجموعة من نقلات القلعة الممكنة، في محاولة منها لتجنب التعادل في مباراة نظرية. أثناء تحضيرها لوجبة الغداء، ظل ينصحها حول أهمية الحفاظ على رشاقة الجسد ونيل قسط كافٍ من النوم. كما أنه جلب وجبتَين مجمدتين للعشاء.

- من الضروري أن تبقي منفتحة، قال بلتيك. إذا ما بقيتِ منغلقة على فكرة واحدة -كبيدق حصان الملك هذا- فإنها النهاية. انظري هنا... استدارت نحو رقعته فوق طاولة المطبخ. كان واقفاً وهو يحمل كوب قهوة بيده وينظر بعبوس إلى الرقعة، ممسكاً بذقنه باليد الأخرى.

- إلامَ أنظر؟ قالت مغتاظة.

انحنى وأمسك بالقلعة البيضاء ثم نقلها إلى مربع قلعة الملك في الزاوية السفلى إلى اليمين.

- والآن بيدق قلعته مسمَّر.

- وإن يكن؟

- سيتوجب عليه تحريك الملك الآن أو سيحاصر لاحقاً.

- أرى ذلك، قالت بصوت أرقّ شيئاً ما. لكنني لا أرى...

---

(1) Staunton: تصميم خاص لقطع الشطرنج يُستخدم في المباريات الرسمية. (المترجم)

- انظري إلى البيادق بجانب الملكة هاهنا. أشار إلى سلسلة البيادق البيضاء بالجانب الآخر من الرقعة. دارت حول الطاولة لرؤية الوضعية بشكل أفضل. بإمكانه أن يفعل ذلك، قالت، ثم حركت القلعة السوداء مربعين.

نظر بلتيك إليها.

- فلتجرّبي.

- حسناً.

جلست خلف القطع.

بعد ست نقلات، وضع بلتيك بيدق فيل ملكته في الصف السابع، لا شيء سيوقفه. سيكلف الأمر بالنسبة إلى القطع السوداء القلعة والمباراة كلها. كان محقّاً؛ كان من الضروري تحريك الملك بعد عبور القلعة إلى النصف الآخر من الرقعة.

- كنتَ محقاً، قالت. هل خمنت ذلك؟

- لقد استخدمها أليخين... قال. قرأتها في كتاب.

عاد بلتيك إلى فندقه بعد منتصف الليل، وبقيت بيث مستيقظة لبضع ساعات، تقرأ كتاب **استراتيجيات منتصف اللعبة**، من دون إعداد أية وضعيات على الرقعة، مكتفية بمراجعتها في مخيّلتها. أزعجها أمر ما، لكنها لم تسمح لنفسها بالانشغال به. لم تستطع تصور القطع بالسهولة التي كان عليها الأمر عندما كانت في الثامنة والتاسعة من عمرها. لا تزال قادرة على القيام بذلك، لكن الأمر يتطلب مجهوداً ولم تكن متأكدة لأي طرف ينتمي بيدق أو فيل ما، فاضطرت أن تستعيد النقلات في عقلها لتتأكد. لعبت بعناد طوال الليل مستعملة عقلها والكتاب فقط، جالسة على أريكة التلفاز

الخاصة بالسيدة ويتلي، مرتدية قميصاً وسروال جينز أزرق. كانت ترمش وتنظر حولها بين الفينة والأخرى، متوقعة إلى حد ما رؤية السيدة ويتلي مستلقية بالجوار، وجورباها ملفوفان إلى الأسفل وحذاؤها ذو الكعب العالي على الأرضية بجانب كرسيها.

عاد بلتيك في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي، ومعه ستة كتب أخرى. شربا قهوة ولعبا بضع مباريات من خمس دقائق فوق طاولة المطبخ. فازت بيث في جميعها بشكل حاسم، وبعد إنهاء المباراة الخامسة نظر بلتيك إليها وهز برأسه.

- هارمون، قال، لقد فعلتها حقاً. لكنه ارتجال.

حدّقت فيه.

- ماذا دهاك؟ قالت، لقد سحقتك خمس مرات.

نظر إليها عبر الطاولة ببرود ثم أخذ رشفة من كوب قهوته.

- إنني أستاذ، قال، ولم ألعب بشكل أفضل من هذا في حياتي. لكنني لست من ستواجهين إذا ما ذهبت إلى باريس.

- بإمكاني هزيمة بورغوف بالقليل من العمل الإضافي.

- بإمكانك هزيمة بورغوف بالكثير من العمل الإضافي. سنوات من العمل الإضافي. من تظنينه يكون؟ بطلاً آخر سابقاً لكنتاكي مثلي؟

- إنه بطل العالم. لكن...

- أوه، اصمتي! قال بلتيك. كان بورغوف ليهزم كلينا، في سن العاشرة. هل تعرفين شيئاً عن مسيرته؟

نظرت إليه بيث.

- كلا، لا أعرف.

نهض بلتيك ومشى بحزم إلى غرفة المعيشة. سحب كتاباً ذا

غلاف أخضر من الكومة قرب رقعة الشطرنج الخاصة ببيث وأحضره إلى المطبخ ملقياً إياه على الطاولة أمامها. **فاسيلي بورغوف - حياتي مع الشطرنج.**

- اقرئيه الليلة، قال. اطلعي على مباريات لينينغراد 1962، وانظري إلى طريقة لعبه لنهايات البيادق والقلاع. اطلعي على مبارياته مع لوتشينكو ومع سباسكي. أمسك بكوب قهوته الذي يكاد يكون فارغاً. قد تتعلمين شيئاً ما.

كان الأسبوع الأول من شهر يونيو وقد توهجت شجرة الجابونكيا المزهرة مثل المرجان الزاهي، خارج نافذة المطبخ، وبدأت أزهار الأزاليا تتفتح، كما بدا أن العشب بحاجة إلى الجز. كانت هنالك بعض العصافير المغردة. لن تجد كنتاكي أسبوعاً ربيعياً جميلاً مثل هذا. حرصت بيث على الخروج أحياناً، ليلاً، إلى الفناء الخلفي، بعد مغادرة بلتيك لتشعر بالدفء في وجنتيها ولتأخذ أنفاساً عميقة من الهواء النقي والدافئ، لكنها غالباً ما كانت تتجاهل العالم الخارجي. لقد اختطفها الشطرنج من جديد، لكن بأسلوب مختلف. ظلت قوارير مهدئاتها المكسيكية في المنضدة غير مستعملة، وبقيت علب الجعة التي كانت في الثلاجة داخلها. كانت بعد الوقوف في الفناء لخمس دقائق، تعود إلى الداخل وتقرأ كتب بلتيك عن الشطرنج لساعات، ثم تعود إلى الأعلى لتتهاوى منهكة على السرير.

قال بلتيك عشية يوم الخميس:

- من المفترض أن أنتقل إلى شقة غداً. فاتورة الفندق ستقضي عليّ.

كانا في خضم دفاع بينوني. لعبت لتوها P-K5 في النقلة

الثامنة، كما علمها إياها - قال بلتيك إنها نقلة مستوحاة من لاعب اسمه ميكيناس. نظرت إلى الأعلى.

- أين توجد؟ الشقة.

- نيو سيركل رود. لن أتمكن من المجيء كثيراً.

- ليست بهذا البعد.

- ربما. لكنني سأدرس. عليّ الحصول على عمل بدوام جزئي.

- يمكنك أن تنتقل إلى هنا، قالت. مجاناً.

نظر إليها لوهلة وابتسم. لم تكن أسنانه بذلك القبح.

- ظننت أنك لن تطلبي مني ذلك أبداً، قال.

لم تكن بهذا الانغماس في الشطرنج منذ طفولتها. تابع بلتيك دروسه ثلاثة أيام في الأسبوع بعد الظهر ويومين صباحاً، وأمضت بيث ذلك الوقت في دراسة كتبه. استمرت في اللعب ذهنياً مباراة تلو الأخرى، وهي تتعلم تفريعات جديدة، تبصر الاختلافات الأسلوبية في الهجوم والدفاع، تعض على شفتها أحياناً من الإثارة جراء نقلة مبهرة أو من دقة موضع ما، وتشعر بالإرهاق أحياناً أخرى من تفاصيل الشطرنج البائسة، اللامتناهية، نقلة تلو الأخرى، تهديداً تلو الآخر وتعقيداً تلو الآخر. لقد سمعت عن الشفرة الجينية التي قد تشكل العين أو اليد عن طريق تمرير البروتينات. الحمض النووي الريبوزي منقوص الأوكسجين. يضم مجموعة التعليمات لبناء جهاز تنفسي وآخر هضمي، وكذلك قبضة يد رضيع. كان الشطرنج مماثلاً. يمكن قراءة هندسة موضع ما وإعادة قراءتها من دون استنفاد

الإمكانيات. قد ترى بعمق من خلال تلك الطبقة، لكن توجد طبقة أخرى أسفل تلك، وهلم جراً.

كانا معاً في الفراش خلال ليلته الثانية في المنزل. ذهب بعد ذلك إلى فراشه في غرفتها القديمة واستسلمت هي للنوم بسهولة، على صور قطع من الخشب فوق رقعة خشبية، لا على مشاهد رومانسية.

لعبت ضده صباح اليوم التالي خلال الإفطار، وانبثقت من أناملها تشكيلات وانتشرت فوق الرقعة على نحو جميل كما لو كانت أزهاراً. هزمته في أربع مباريات سريعة، وقد سمحت له باللعب بالقطع البيضاء، في كل مرة، وهي بالكاد تنظر إلى الرقعة.

تحدّث بلتيك وهو يغسل الأواني عن فيليدور، أحد أبطاله. كان فيليدور موسيقياً فرنسياً لعب معصوب العينين في باريس ولندن.

- أقرأ عن أولئك اللاعبين القدامى بين الفينة والأخرى، ويبدو الأمر برمّته غريباً، قالت. أكاد لا أصدق أن ذلك كان شطرنجاً بالفعل.

- لا تستخفي بالأمر، قال بلتيك. بنت لارسن يلعب بدفاع فيليدور.

- إنه محدود جداً. يظل فيل الملك محاصراً.

- لكنه فعّال، قال. ما أريد قوله بخصوص فيليدور هو أن ديدرو أرسل له رسالة. أتعرفين ديدرو؟

- من الثورة الفرنسية؟

- أجل. قام فيليدور بعروض معصوب العينين مستنزفاً قدراته العقلية، أو هذا ما كانوا يظنونه في القرن الثامن عشر. كتب له ديدرو: «من الغباء أن تخاطر بفقدان صوابك من أجل التفاخر».

أفكر في هذا أحياناً وأنا أسخّر كامل قدرات عقلي لحل الوضعيات الشطرنجية. حدّق فيها لوهلة في صمت. كانت الليلة الماضية لطيفة، انتهى بالقول أخيراً.

شعرت بأن الحديث عن الأمر كان تنازلاً من طرفه، فاختلطت أحاسيسها.

- ألا يلعب كولتانوفسكي معصوب العينين دائماً؟ قالت. إنه ليس بمجنون.

- أعلم. مورفي هو مَن فقد صوابه. كذلك شتاينيتز. ظن مورفي أن الناس يحاولون سرقة حذائه.

- ربما كان يظن حذاءيه فيلَين.

- أجل، قال. فلنلعب بعض الشطرنج.

كانت قد اطلعت على نسخ **نشرة كش ملك** الخاصة به وأغلب كتب اللعب الأخرى بحلول نهاية الأسبوع الثالث. في يوم ما بعد أن أمضى صباحه كاملاً في فصل للهندسة، قاما معاً بدراسة وضعية. كانت تحاول أن تريه لماذا كانت نقلة حصان محددة أقوى مما بدت عليه.

- انظر إلى هذا، قالت ثم بدأت بتحريك القطع بسرعة. يأخذ الحصانُ، ثم يتقدم هذا البيدق. سيُحتجز الفيل إذا لم يُخرجه. إذا ما فعل، فسيسقط البيدق الآخر. أرأيت؟ أخذت البيدق.

- ماذا عن الفيل الآخر؟ ها هنا؟

- أوه بحق المسيح، قالت. سيقوم بكشّ ملك بمجرد تحريك البيدق ومبادلة الحصان. ألا تستطيع رؤية ذلك؟

تصلب فجأة وحدّق فيها.

- لا. لا أستطيع، قال. لا أستطيع اكتشاف الأمر بتلك السرعة.

نظرت إليه من جديد.

- أتمنى لو أنك تستطيع، قالت ببرود.

- إنك ذكية جداً مقارنة بي.

استطاعت تلمّس الألم خلف غضبه، فصارت ألطف.

- أنا أيضاً أغفل عنها، أحياناً، قالت.

هز رأسه.

- كلا، أنت لا، قال. ليس بعد الآن.

في يوم السبت بدأت اللعب معه من دون حصانها لتمنحه الأفضلية. حاول أن يخفي حنقه لكنها استطاعت الإحساس بذلك. لم تكن هناك طريقة أخرى لكي يلعبا مباراة متكافئة. حتى مع الأفضلية ولعبه بالقطع البيضاء، هزمته بالمباراتين الأولى والثانية، وتعادلا بالثالثة.

لم يشاركها الفراش تلك الليلة، ولا الليلة التي تلتها. في الليلة الثانية واجهت صعوبة في النوم، فقامت من فراشها في الساعة الثانية صباحاً. ذهبت إلى الثلاجة وأخرجت إحدى علب الجعة الخاصة بالسيدة ويتلي، ثم جلست بجانب رقعة الشطرنج وبدأت في تحريك القطع بذهن شارد وهي ترتشف من العلبة. أعادت لعب بعض مباريات مناورة الملكة: أليخين ضد ياتيس؛ تاراش ضد فون شيف؛ لاسكر ضد تاراش. كانت أولاها مباراة حفظتها قبل سنوات في مكتبة موريس؛ فيما حللت المباراتين مع بلتيك خلال أسبوعهما الأول معاً. في المباراة الأخيرة كانت هناك حركة في منتهى الروعة

والخبث، تمثلت في نقل بيدق إلى مربع قلعة الملكة الرابع في النقلة الخامسة عشرة. تركتها على الرقعة لما يقارب وقت شربها لعلبتَي جعة، فقط تنظر إليها. كانت ليلة دافئة ونافذة المطبخ مفتوحة؛ تجمّع العث عند الستار الحاجز وكسر صوت نباح كلب الصمت في الأفق. جلست إلى الطاولة مرتدية رداء السيدة ويتلي الوردي، تحتسي جعة السيدة ويتلي، وإحساس بالاسترخاء والطمأنينة يغمرانها. شعرت بالسعادة لكونها وحدها. تبقت ثلاث علب جعة في الثلاجة، شربتها كلها. ثم عادت إلى سريرها ونامت نوماً هنيئاً حتى الساعة التاسعة صباحاً.

في يوم الاثنين، وخلال تناولهما الفطور قال:

- اسمعي، لقد علمتك كل ما أعرف.

أرادت أن تقول شيئاً لكنها أحجمت عن ذلك.

- عليّ أن أشرع في الدراسة. من المفروض أن أصبح مهندساً كهربائياً، لا لاعب شطرنج أخرق.

- حسناً، قالت. لقد علمتني الكثير.

ظلا صامتين لبضع لحظات. أنهت طبق البيض وأخذته إلى المغسلة.

- سأنتقل إلى تلك الشقة، قال بلتيك. إنها أقرب إلى الجامعة.

- حسناً، ردّت بيث، من دون النظر صوبه.

رحل بحلول منتصف النهار. أخرجت وجبة من الثلاجة لكنها لم تُشعل الفرن. كانت وحدها في المنزل، أحست ببعض التوتر، ولم تعرف إلى أين تولي وجهها. لم ترغب في مشاهدة أي فيلم ولا

الاتصال بأي شخص ولا قراءة أي شيء. صعدت الدرج ومرت عبر الغرفتين. كانت فساتين السيدة ويتلي لا تزال معلقة في الخزانة وزجاجة نصف مملوءة من مهدئاتها لا تزال على المنضدة بجانب السرير غير المرتب. لم يزُل التوتر الذي أصابها بعد. رحلت السيدة ويتلي، دفنت جثتها بمقبرة في آخر البلدة، وغادر هاري بلتيك ومعه رقعته وكتبه، دون أن يلوّح لها بالوداع في طريقه حتى. أرادت للحظة أن تصرخ في وجهه وتطلب منه البقاء معها، لكنها لم تنبس ببنت شفة وهو يتجه صوب الباب، ومن ثم إلى سيارته. أخذت الزجاجة عن المنضدة وأفرغت ثلاث حبات خضراوات اللون في يدها، ثم أضافت الرابعة. لم تطق أن تكون وحدها. ابتلعت الحبات الأربعة من دون ماء، بالطريقة نفسها التي كانت تفعلها كطفلة.

في وقت ما بعد الظهيرة اشترت قطعة لحم وبطاطا من متجر كروغر. وقبل أن تذهب إلى صندوق الدفع، قصدت جناح الكحوليات وأخذت زجاجة نبيذ بورغوندي. في تلك الليلة شاهدت التلفاز وشربت حتى الثمالة. غفت على الأريكة، وبالكاد استطاعت أن تحمل نفسها إلى التلفاز وتطفئه.

في وقت ما خلال الليل استيقظت معتقدة أن الغرفة تترنح. تقيأت. وبعدها، عندما صعدت إلى الغرفة لتنام على فراشها، وجدت نفسها صاحية تماماً وصافية الذهن. غلبها شعور بالحرقة في معدتها، فيما كانت عيناها مفتوحتين تماماً وسط ظلام الغرفة كأنما كانت تبحث عن الضوء. غزا ألم شديد مؤخرة رقبتها. مدت يدها، تحسست الزجاجة وتناولت المزيد من المهدئات. في نهاية المطاف خلدت إلى النوم مجدداً.

استيقظت في الصباح بصداع شديد مصحوب بعزم للمضي قُدماً في مسيرتها. السيدة ويتلي توفيت. بلتيك غادر. بطولة الولايات المتحدة بعد ثلاثة أسابيع؛ لقد تم استدعاؤها لهذه البطولة قبل ذهابها إلى المكسيك، وإن أرادت الفوز عليها التغلب على بيني واتس. وبينما كانت تجهز قهوتها بالمصفاة في المطبخ، أفرغت ما تبقى من النبيذ الأحمر من الليلة السابقة، تخلصت من الزجاجة في حاوية القمامة ووجدت كتابين وصلا عبر البريد، كانت قد طلبتهما من مكتبة موريس يوم وصلتها الدعوة. كان أحدهما سجل مباريات من بطولة الولايات المتحدة الأخيرة، فيما الآخر كان معنوناً **بيني واتس: أفضل خمسين مباراة لي**. على الغلاف الورقي كانت صورة مكبرة لوجه بيني الشبيه بهكلبيري فين. عند رؤية وجهه، انقبضت ملامحها عند تذكر خسارتها، ومحاولتها الخرقاء لجعل بيدقيه يزدوجان. أخذت كوب القهوة وشرعت في قراءة الكتاب، ناسية آثار الثمالة.

عند حلول منتصف النهار، انتهت من تحليل ست مباريات وبدأت تشعر بالجوع. يوجد مطعم صغير على بعد مربعين سكنيين، ذلك النوع من المطاعم الذي يضع الكبد والبصل في لائحة الأطعمة ويعرض ولاعات السجائر عند صندوق الدفع. أخذت الكتاب معها ودرست مباراتين إضافيتين بينما تناولت الهامبرغر والبطاطا المقلية. وعندما قدموا لها كريما الليمون، وشرعت في تذوّقها وجدتها سميكة وشديدة الحلاوة، غمرها إحساس مفاجئ بالشوق إلى السيدة ويتلي والتحليات الفرنسية التي تشاركتاها من قبل في سينسيناتي وهيوستن. أزالت الفكرة من ذهنها، طلبت كوب قهوة وأنهت المباراة التي كانت تراجعها: الدفاع الهندي، مع الفيل الأسود في وضعية

فيانشيتو[1] بزاوية الرقعة جهة اليمين، منتظراً فرصته لينقضّ على طول الخط القطري الطويل. حاصرت القطع السوداء جهة الملك فيما حاصرت القطع البيضاء جهة الملكة بعد نقل الفيل إلى الزاوية. فاز بيني، صاحب القطع السوداء، بالمباراة بلا عناء. وبمنتهى الرقي والأناقة.

دفعت حسابها وغادرت. طوال النهار والليل إلى حدود الساعة الواحدة صباحاً، أعادت لعب جميع المباريات في الكتاب. عند انتهائها، اتسعت معرفتها ببيني واتس وبدقته في الشطرنج بشكل واضح. تناولت حبتين من المهدئات المكسيكية وذهبت إلى الفراش، لتنام على الفور. استيقظت في الساعة التاسعة والنصف بمزاج جيد. بينما كان البيض يغلي، اختارت كتاباً للدراسة الصباحية: **بول مورفي والعصر الذهبي للشطرنج**. لقد كان كتاباً قديماً، عفا عليه الزمن نوعاً ما. كانت الرسوم البيانية رمادية ومزدحمة، وكانت تصعب معرفة القطع السوداء من البيضاء. إلا أن شيئاً بداخلها كان لا يزال يتحمس عند رؤية اسم بول مورفي والفكرة الكامنة وراء ذاك الطفل المعجزة الغريب من نيو أورلينز، الخلوق، المحامي، نجل قاضٍ بالمحكمة العليا، الذي سحر العالم بمهاراته في الشطرنج، من ثم اعتزال اللعب بصفة نهائية ودخل في بارانويا أدت به إلى موت مبكر. عندما لعب مورفي مناورة الملك، ضحّى بالحصانين والفيلين بلا مبالاة وعندها تقدم وهاجم الملك الأسود

(1) فيانشيتو: نشر قطع يوضع فيه الفيل في مربع الحصان الثاني بعد تحريك بيدق الحصان بمربع أو مربعين. أصل الكلمة إيطالي بمعنى الزاوية الصغيرة. (المترجم)

بسرعة مذهلة. لم يظهر لاعب مثله من قبل ولا منذ ذلك الحين. أصيبت بالقشعريرة فقط عند فتحها للكتاب ورؤية قائمة المباريات: مورفي ضد لوينثال، مورفي ضد هارويتز، مورفي ضد أندرسن، متبوعة بتواريخ من منتصف القرن التاسع عشر. كان مورفي يسهر الليل بطوله في باريس قبل مبارياته، قاعداً في المقاهي يتحدث إلى الغرباء، وثم يلعب في اليوم التالي مثل القرش - حسن الأخلاق، حسن اللباس، مبتسم، يحرك القطع الكبيرة بيدين صغيرتين، أنثويتين، نحيفتين، ليسحق أستاذاً أوروبياً تلو الآخر. أطلق عليه أحدهم لقب «فخر وحسرة الشطرنج». يا ليته عاش خلال الحقبة نفسها مع كابابلانكا وتواجها. شرعت في مراجعة مباراة بين مورفي وشخص يدعى بولسن، جرت سنة 1857. ستبدأ بطولة الولايات المتحدة بعد ثلاثة أسابيع؛ لقد حان الوقت لتتوَّج امرأة باللقب. لقد حان الوقت لتتوَّج هي باللقب.

الفصل العاشر

عندما دخلت القاعة، رأت شاباً نحيفاً يرتدي سروال جينز بلون أزرق باهت وقميصاً مناسباً للسروال، رأته جالساً إلى إحدى الطاولات، شعره الأشقر يلامس كتفيه تقريباً. ولم تتعرف عليه إلا عندما قام عن كرسيه وألقى عليها التحية، «أهلاً، بيث»، ولم يكن سوى بيني واتس. كان شعره طويلاً في صورة غلاف **مجلة الشطرنج** الصادرة قبل بضعة أشهر، ولكن ليس بهذا الطول. بدا شاحباً ونحيفاً وشديد الهدوء، بيد أنه كان يتّسم دوماً بالهدوء.

- مرحباً، قالت.

- قرأت عن مباراتك مع بورغوف، ابتسم بيني. لا بد أن ما جرى كان رهيباً.

رمقته بنظرة مريبة، غير أن وجهه كان منفرجاً ومتعاطفاً. ولم تعد تكرهه لفوزه عليها؛ كان هنالك لاعب واحد تكرهه، ويوجد هناك في روسيا.

- شعرت أنني خرقاء، قالت.

- أعرف، هز رأسه. يغلبك شعور بالبؤس. تنسين كل شيء، وتواصلين تحريك القطع الخشبية لا أكثر.

حدّقت فيه. لم يكن الحديث عن الإهانات بين لاعبي الشطرنج بتلك السهولة، كما أنهم لا يعترفون بالضعف. كادت ترد على كلامه لولا إعلان الحكم بصوتٍ عالٍ: «ستبدأ المباريات بعد خمس دقائق». أومأت لبيني، حاولت أن تبتسم، وذهبت إلى طاولتها.

لم يكن هناك وجه لم يسبق لها أن تعرفت عليه في صالات الفنادق حيث تُقام المباريات، أو من خلال الصور المرفقة في **مجلة الشطرنج**. هي نفسها ظهرت على الغلاف ستة أشهر بعد التقاط تاونز لصورتها في لاس فيغاس. كما كان نصف اللاعبين الآخرين الحاضرين بهذا الحرم الجامعي المتواجد بالبلدة الصغيرة التابعة لأوهايو على الغلاف في وقت من الأوقات. أما اللاعب الذي ستواجهه في مباراتها الأولى فهو أستاذ في منتصف العمر يدعى فيليب رينيه، ظهر على غلاف العدد الحالي. كان هنالك أربعة عشر لاعباً، عدد منهم أساتذة كبار. وكانت هي المرأة الوحيدة.

لعبوا داخل قاعة محاضرات مزودة بسبورات خضراء داكنة في أحد أطرافها ومصابيح فلورية مثبتة بالسقف. تراصت نوافذ كبيرة ذات طابع إداري على طول حائط أزرق، تعطي إطلالة على أجمات وأشجار ونطاق واسع من الحرم الجامعي. وفي أحد أطراف القاعة كانت هناك خمسة صفوف من الكراسي القابلة للطي، وعلقت لافتة في الرواق تفيد أن ثمن التذكرة للجمهور يعادل أربعة دولارات لكل حصة. وخلال مباراتها الأولى، كان هنالك حوالي خمسة وعشرين متفرجاً. فوق كل من طاولات اللعب السبع عُلقت لوحة عرض، وكان مديران يتحركان بصمت من طاولة إلى أخرى، يغيران مكان القطع في هذه اللوحات بعد لعب الحركات على رقعة الشطرنج. جلس الحاضرون فوق منصة خشبية ليتمكنوا من رؤية اللعب من أعلى.

بدا أن كل شيء من الدرجة الثانية، حتى الجامعة حيث كانوا يلعبون. إنهم أفضل اللاعبين تصنيفاً على الصعيد الدولي، مجتمعون هنا في قاعة واحدة، إلا أن الجو بدا كبطولة للمدارس الثانوية. لو كانت هذه مباراة غولف أو كرة مضرب، لكانت هي وبيني محاطين بالصحفيين، ولكانا يلعبان بشيء أعلى قيمة من هذه الرقع والقطع البلاستيكية أو تحت تلك المصابيح الفلورية، ولكانا يحظيان باهتمام جمهور آخر، غير هذا الجمهور العابث وربما غير المهتم.

بدا أن فيليب رينيه يأخذ الأمور على محمل الجد، فيما أرادت هي المغادرة في أقرب وقت. لكنها ظلت هناك. عندما دفع البيدق أمام الملك، حركت بيدق فيل ملكتها لتشرع في افتتاحية الدفاع الصقلي. دخلت في خضم هجوم روسوليمو-نيمزوفيتش، وحصلت على التكافؤ في النقلة الحادية عشرة بتقديم بيدق ملكتها إلى الصف الثالث. كانت قد تدربت على هذه النقلة مع بلتيك، وقد نجحت بالفعل.

عند حلول النقلة الرابعة عشرة أجبرته على التحول إلى الدفاع، لكن الفوز حسم بحلول النقلة العشرين، واستسلم عند النقلة السادسة والعشرين. ألقت نظرة حولها فوجدت أن المباريات الأخرى ما زالت في طور اللعب، مما رفع معنوياتها. سيكون من الرائع أن تصبح بطلة الولايات المتحدة، هذا إن استطاعت التغلب على بيني واتس.

حظيت بغرفة خاصة صغيرة في مهجع مع حمام في آخر الرواق. اتسمت الغرفة بالتقشف في الأثاث، ولم يبد أن شخصاً آخر عاش هناك قبلاً، وقد راقتها الفكرة. خلال الأيام الأولى، تناولت

وجباتها وحدها في الكافتيريا وقضت أمسياتها سواء على المكتب في غرفتها أو على السرير، تدرس. فقد جلبت معها حقيبة مليئة بكتب الشطرنج، رتّبتها بعناية في زاوية المكتب. كما جلبت حبوب المهدئات، من باب الاحتياط، غير أنها لم تفتح الزجاجة قط في الأسبوع الأول. مرت المباريات اليومية بسلاسة، ورغم أن بعضها استغرقت من ثلاث إلى أربع ساعات إلا أنها لم تجد نفسها مهددة بالخسارة أبداً. ومع مرور الأيام، ازداد احترام اللاعبين لها شيئاً فشيئاً، فغمرها شعور بالجدية والاحترافية والاكتفاء.

كان بيني واتس يبلي بلاء حسناً هو الآخر. كانت تفاصيل المباريات تُطبع كل ليلة باستعمال طابعات زيروكس المتواجدة في مكتبة الكلية، وتُعطى نسخ للاعبين والمتفرجين. كانت تراجعها كل مساء وكل صباح، تلعب بعضها على الرقعة الخاصة بها ولكن تكتفي في الغالب بلعبها ذهنياً. وكلما رأت مباراة لبيني، كلفت نفسها عناء إعداد المباراة على الرقعة وتحريك القطع، لتدرس بتمعن الطريقة التي لعب بها. في هذه المسابقة الدائرية، يلتقي كل لاعب مع الآخر مرة واحدة؛ وسوف تلاقي بيني في مباراتها الحادية عشرة.

بما أن مجموع المباريات كان ثلاث عشرة مباراة، والبطولة تمتدّ لأسبوعين، كان هناك يوم راحة واحد - يوم الأحد الأول. نامت حتى ساعة متأخرة ذلك الصباح، وأخذت وقتها في الحمام، ثم قامت بجولة طويلة حول الحرم الجامعي. ساد جو من الهدوء خلال جولتها، مع العشب المقصوص بعناية وشجر الدردار والزهور المتفرقة - صباح أحد رائق بحق، إلا أنها اشتاقت للجو التنافسي للبطولة. فكرت للحظة في أن تذهب إلى البلدة حيث سمعت مسبقاً عن وجود مجموعة من الأماكن لشراء الجعة، غير أنها عادت إلى

رشدها. لم ترغب في أن تقتل أي خلايا دماغية أخرى. نظرت إلى ساعتها، كانت الحادية عشرة. اتجهت صوب مبنى اتحاد الطلبة حيث توجد الكافتيريا. أرادت الحصول على كوب من القهوة.

وجدت صالوناً لطيف المنظر مغطى بألواح خشبية في الطابق الرئيسي. عند دخولها، كان بيني واتس جالساً على أريكة قطنية في آخر الصالون، واضعاً رقعة شطرنج وساعة على الطاولة أمامه. وقف لاعبان على مقربة منه، بينما كان يبتسم لهما ويشرح شيئاً ما عن المباراة أمامه.

كانت قد شرعت في النزول إلى الكافتيريا عندما بلغها صوت بيني. «تعالي إلى هنا». ترددت، استدارت واتجهت نحوه. استطاعت التعرف على اللاعبَين الآخرين من النظرة الأولى؛ لقد هزمت أحدهما قبل يومين باستخدام مناورة الملكة.

- أَلقي نظرة على هذا يا بيث، قال بيني مشيراً إلى الرقعة. دور القطع البيضاء، ماذا كنت ستفعلين؟

أمعنت النظر لهُنيهة.

- استراتيجية روي لوبيز؟

- أصبتِ.

كانت منزعجة بعض الشيء. كانت تريد كوب قهوة. كانت الوضعية معقدة وتتطلّب التركيز. ظل اللاعبان الآخران صامتين. أدركت أخيراً ما كان يجب عليها فعله، فانحنت دون أن تنبس بنبت شفة لتحرك الحصان من مربع الملك الثالث إلى مربع الملكة الخامس.

- أترون! قال بيني للآخرين، ضاحكاً.

- ربما تكون على حق، قال أحدهما.

- أعرف أنني على حق. وبيث هنا تشاطرني الرأي. إن حركة البيدق ضعيفة جداً.

- ينجح البيدق فقط إذا حرّك الفيل، قالت بيث، شاعرة ببعض التحسن.

- بالضبط! قال بيني. كان يرتدي سروال جينز وما بدا كقميص أبيض فضفاض. أترغبين في مباراة شطرنج خاطف، بيث؟

- كنت في طريقي لإحضار كوب قهوة، ردت.

- بارنز سيحضر لك القهوة، أليس كذلك يا بارنز؟

شاب ضخم البنية لطيف المظهر، أستاذ كبير، هز رأسه.

- سكر وقشدة؟

- أجل.

أخرج بيني دولاراً من جيب سرواله وناوله لبارنز. «أحضر لي عصير تفاح. ولكن ليس في تلك الأكواب البلاستيكية، أريده في كوب حليب زجاجي».

ضبط بيني الساعة جنب الرقعة. مد يديه اللتين خبأتا بيدقين، واليد التي نقرتها بيث حملت البيدق الأبيض. بعد ترتيب القطع قال بيني:

- هل ترغبين في الرهان؟

- رهان؟

- يمكننا أن نراهن على خمسة دولارات عن كل مباراة.

- لم أحتسِ قهوتي بعد.

- ها هي ذي. لمحت بيث بارنز مسرعاً عبر القاعة حاملاً كأس العصير وكوباً بلاستيكياً أبيض اللون.

- حسناً، قالت. خمسة دولارات.

- احتسي بعضاً من القهوة، قال بيني، وسأضغط على زر ساعتك.

تناولت القهوة من بارنز، وأخذت رشفة طويلة، ثم وضعت الكوب نصف الفارغ على مائدة القهوة. «هيا»، قالت لبيني. شعرت بحالة جيدة جداً. الجو الربيعي في الخارج ممتاز، لكن الجو التنافسي هنا هو ما تحبه.

هزمها مع تبقّي ثلاث دقائق في ساعته. لعبت بشكل جيد لكنه لعب ببراعة، متحركاً بشكل فوري تقريباً في كل مرة، منتبهاً لكل ما حاولت القيام به. ناولته ورقة خمسة دولارات أخرجتها من محفظة الجيب ورتبت القطع من جديد، لتلعب بالقطع السوداء هذه المرة. اجتمع أربعة لاعبين حولهما لمتابعة أطوار المباراة.

حاولت لعب الدفاع الصقلي ضد بيدق ملكه في الصف الرابع، ولكنه دمر دفاعها باستعمال مناورة البيدق وأسقطها في افتتاحية غير اعتيادية. كان سريعاً بشكل مذهل. جعلته يواجه مشكلة خلال منتصف المباراة مع قلعتين مصطفتين معاً على العمود المفتوح، لكنه تجاهلهما وهاجم المركز، سامحاً لها بأن تكشّه مرتين بواسطة قلعتيها، رافعاً الدفاع عن ملكه. ولكن عندما حاولت أن تُدخل الحصان في الهجوم من أجل حركة كش مات، اندفع بحرية واستهدف ملكتها ثم انقض على ملكها، محاصراً إياها أخيراً في شبكة محكمة لا خروج منها. استسلمت قبل أن يلعب النقلة القاضية. ناولته ورقة عشرة دولارات هذه المرة وردّ لها الخمسة دولارات. كان لديها ستون دولاراً في جيبها والمزيد في غرفتها.

مع مرور الوقت اجتمع أربعون متفرجاً أو ما يزيد، أغلب لاعبي البطولة علاوة على بعض المتفرجين الذين حضروا المباريات بصفة دورية، بالإضافة إلى طلاب جامعيين ومجموعة من الرجال بدا أنهم أساتذة جامعيون. واصلت هي وبيني اللعب، من دون أدنى كلمة بين الجولات. فازت بيث في المباراة الثالثة بإنقاذ جميل حال دون سقوط علمها، غير أنها خسرت في المباراة الرابعة وتعادلت في الخامسة. اتسمت بعض الوضعيات بالتعقيد الشديد، بيد أن ضيق الوقت لم يترك لها مجالاً للتحليل. ساد جو من التشويق والإحباط، فهي لم تتعرض في حياتها لهزائم متواصلة بهذا الشكل، ورغم أن الأمر اقتصر فقط على مباريات خمس دقائق غير جدية، إلا أنها شعرت بالإهانة. شعور لم تختبره من قبل. لقد لعبت بصورة رائعة، وتابعت اللعبة بدقة، وردت على كل تهديد على النحو الصحيح، وشنت تهديدات قوية هي الأخرى، ولكن من دون جدوى. بدا أن لدى بيني موارد تفوق فهمها، وسلبها الفوز بعد الآخر. استولى عليها إحساس بالعجز، وتولد شعور بالسخط داخلها.

أعطته آخر خمسة دولارات لديها. أشارت الساعة إلى الخامسة والنصف بعد الزوال، وصفّ من الأكواب الفارغة متراصٌّ بجانب الرقعة. عندما نهضت لتغادر، كان هناك تصفيق وصافحها بيني. أرادت أن تضربه ولكنها أعرضت عن الكلام. وتعالت تصفيقات هنا وهناك في القاعة.

في طريقها إلى الخارج، أوقفها الرجل الذي واجهته أول الأسبوع، فيليب رينيه.

- ما كنت لأقلق حيال هذا، قال. إن مهارة بيني في الشطرنج السريع تعادل مهارة أي لاعب آخر. لا يعني هذا شيئاً.

أومأت برأسها باقتضاب وشكرته. عندما لامست بشرتها أشعة شمس الزوال، شعرت بأنها خرقاء بلا قيمة.

مكثت تلك الليلة في غرفتها وتناولت بعض المهدئات. أربع حبات.

شعرت بالراحة في الصباح، لكن بالغباء أيضاً. لقد وصفت السيدة ويتلي الأمور ذات مرة بأنها تبدو منحرفة؛ هكذا رأتها بيث عندما استيقظت من نومها العميق المدعوم بالمهدئات. ولكنها تخلصت من شعور الإهانة الذي غمرها بعد خسارتها أمام بيني. أخذت زجاجة الحبوب من درج منضدة السرير وأعادت إغلاقها بإحكام. لن يكون تصرفاً حكيماً أن تأخذ مزيداً من المهدئات - ليس قبل نهاية البطولة. فكرت فجأة في يوم الخميس، اليوم الذي ستواجه فيه بيني، وقد جعل ذلك أعصابها تتوتر. لكنها أعادت الحبوب إلى الدرج وغيّرت ملابسها. تناولت الفطور باكراً مصحوباً بثلاثة أكواب من القهوة المركزة، وقامت بعدها بجولة سريعة حول الجزء الرئيسي من الحرم، وهي تراجع في ذهنها إحدى مباريات كتاب بيني واتس. إنه مذهل، قالت في نفسها، لكنه ليس منيعاً. على أي حال، لن تواجهه إلا بعد ثلاثة أيام.

استُهلت المباريات عند الساعة الواحدة واستمرت إلى حدود الرابعة أو الخامسة بعد الظهر. وجرت المباريات المؤجلة إما في المساء أو في صباح اليوم التالي. وبحلول منتصف النهار، كان ذهنها صافياً، فعندما بدأت مباراتها ضد خصمها الكاليفورني الطويل الهادئ الذي ارتدى قميص بلاك باور، كانت مستعدة له. كان يصفف شعره على طريقة الأفرو، بيد أنه كان أبيض البشرة - كما كانوا جميعهم. ردت على افتتاحيته الإنجليزية بحصانيها، جاعلة

إياها مباراة أربعة أحصنة، وقررت استدراجه إلى نهاية اللعب، على عكس عادتها. نجح الأمر وكانت راضية عن طريقة تعاملها مع البيادق؛ كانت قد أوصلت بيدقاً إلى الصف السادس وآخر إلى السابع عند استسلامه. كان الأمر أسهل مما تصورت؛ آتت دراستها لنهاية اللعبة مع بلتيك ثمارها.

جلس بيني واتس بجوارها في الكافتيريا ذلك المساء، ساعة تقديم التحلية.

- يا بيث، قال. الفائز سيكون إما أنا أو أنت.

رفعت رأسها من أمام طبق حلوى الأرز الخاص بها.

- هل هذه محاولة لتتلاعب بعزيمتي؟

- أستطيع التغلب عليك من دون ذلك، قال ضاحكاً.

تابعت وجبتها من دون النطق بكلمة.

- اسمعي، قال. أنا آسف بشأن البارحة، لم أكن أحاول مضايقتك.

احتست رشفة من القهوة.

- أحقاً؟

- أردت فقط الحصول على بعض الإثارة.

- والمال، قالت بيث رغم أن ذلك لم يكن المغزى.

- إنك الأفضل هنا، قال. لقد درست مبارياتك. أنت تهاجمين مثل أليخين.

- لقد صددتَ هجماتي جيداً البارحة.

- ذلك لا يُعتدّ به. إنني أفضل منك إلماماً بالشطرنج السريع، ألعبه بكثرة في نيويورك.

- لقد هزمتَني في لاس فيغاس.

- كان ذلك منذ فترة طويلة. أبقيتك منشغلة للغاية بجعل بيادقي تزدوج في عمود واحد. لن أستطيع النجاة بفعلتي تلك مجدداً.

أنهت قهوتها في صمت بينما تناول هو عشاءه وشرب حليبه. بعد أن انتهى، قالت له:

- هل تراجع المباريات في ذهنك عندما تكون وحدك؟ أقصد، هل تعيد لعبها نقلة نقلة؟

ابتسم.

- أوليس ذلك ما يفعله الجميع؟

سمحت لنفسها بمشاهدة التلفاز الموجود في صالون مبنى اتحاد الطلبة ذلك المساء. لم يكن بيني هناك، رغم تواجد بعض اللاعبين الآخرين. ذهبت إلى غرفتها بعد ذلك، يغمرها شعور بالوحدة. كانت هذه أول بطولة لها منذ وفاة السيدة ويتلي، وقد اشتاقت إليها الآن. أخذت كتاباً عن نهايات اللعب من مجموعة الكتب على المكتب وشرعت في مراجعة النقلات والمباريات. إن بيني شخص لا بأس به. لقد كان لطفاً منه أن يكلمها بتلك الطريقة، كما أنها اعتادت على شعره الطويل، بل أحبّته طويلاً، على ما كان عليه. كان له شعر جميل بحق.

فازت بمباراتَي يومي الثلاثاء والأربعاء. كان بيني لا يزال يلعب عندما انتهت يوم الأربعاء ومرت بطاولته ورأت فوراً أن كل ما تبقى له هو الفوز. نظر إليها وابتسم. ثم حرك شفتَيه بالكلمة: «غداً».

كانت هناك ساحة لعب أطفال في آخر الحرم. ذهبت إلى هناك

تحت ضوء القمر وجلست على إحدى الأراجيح. ما كانت تريده حقاً هو كأس شراب، بيد أن ذلك لم يكن ممكناً. زجاجة نبيذ أحمر، مع قطعة جبن صغيرة. بعض الحبات المهدئة ثم مباشرة إلى السرير بعد ذلك. لكن لم يكن ذلك ممكناً. يجب أن تكون يقظة في الصباح، مستعدة لمباراتها ضد بيني واتس عند الساعة الواحدة. لعلها تأخذ حبة واحدة وتذهب إلى الفراش. أو اثنتين. ستأخذ حبتين. تأرجحت ذهاباً وإياباً بضع مرات، مستمعة إلى صرير السلسلة التي كانت تحمل الأرجوحة، قبل أن تعود قاصدة المهجع. أخذت حبتين، ورغم ذلك لم تستطع النوم إلا بعد مضيّ أكثر من ساعة.

شيء ما في طريقة تصرف مدراء البطولة والطريقة التي نظر بها اللاعبون الآخرون إليها أثبتا لها أن كل الاهتمام في البطولة قد تركز على هذه المباراة. كانت هي وبيني اللاعبَين الوحيدَين اللذين وصلا إلى هذه المرحلة من دون أي تعادل. في بطولة من هذا النوع، لم تكن هناك طاولات رئيسية؛ كانا سيلعبان عند الطاولة الثالثة في الصف المحاذي لباب القاعة. ولكن الاهتمام كان مركّزاً على تلك الطاولة، وقد دخل المشاهدون، الذين ملأوا المقاعد بالإضافة إلى عدد من الواقفين في حالة صمت، عندما جلست على مقعدها. جاء بيني بعدها بدقيقة؛ بدأ البعض بالتهامس عند وصوله إلى الطاولة وجلوسه. ألقت نظرة على الحشد، وإذا بفكرة طالما كانت حاضرة بذهنها تترسخ فجأة: لقد كانا أفضل لاعبَين في أميركا.

كان بيني يرتدي قميص جينز بلون باهت، مع ميدالية فضية معلقة بسلسلة، وكُمّا قميصه مطويان ككمَّي عامل. لم ترتسم على

وجهه ابتسامته المعهودة، وهذا ما جعله يبدو أكبر سناً بكثير من أربعة وعشرين عاماً. ألقى نظرة خاطفة على الحشد، هز رأسه لبيث بخفة لا تكاد تُرى، ثم ركز ناظريه على رقعة الشطرنج عند إعطاء مدير البطولة إشارة الانطلاق. لعب بيني بالقطع البيضاء. ضغطت بيث على زر ساعته.

دفع البيدق أمام الملك إلى الصف الرابع، ولم تتردد بيث في الرد ببيدق فيل الملكة إلى الصف الرابع: الدفاع الصقلي. أخرج حصان الملك، وحركت بيدق الملك إلى الصف الثالث. كانت معرفته بالافتتاحيات أفضل منها. إن فرصتها في الانقضاض عليه لن تأتي حتى منتصف اللعبة، في حال استطاعت شن هجمة قبل أن يفعل هو. لكن أولاً، عليها أن توازن الكفة.

غمرها شعور لم تعرفه سوى مرة واحدة من قبل، وكان ذلك في مكسيكو سيتي عندما لعبت ضد بورغوف: شعرت أنها طفلة تحاول أن تتذاكى على شخص راشد. عند نقلتها الثانية، رمت ببصرها نحو بيني ورأت الجدية في تعابير وجهه، ما جعلها تشكك في قدراتها ضده. لكن جزءاً منها أخبرها بأنها تستطيع فعلها، وبأنها في مكسيكو سيتي هزمت كوكبة من الخبراء قبل أن تخور قواها أمام بورغوف، كما تغلبت على أساتذة كبار تباعاً في هذه البطولة، وحتى عندما لعبت ضد حارس المبنى في مأوى ميثوين كطفلة في الثامنة من عمرها، لعبت بقوة مثيرة للإعجاب، وبتمام الاحتراف. إلا أنها أحست في تلك اللحظة، على نحو غير منطقي، بأنها مجرد هاوية.

فكر بيني لبضع دقائق ثم قام بنقلة غير اعتيادية. بدل أن يلعب ببيدق الملكة، حرك بيدق فيل الملكة إلى الصف الرابع. استقرت القطعة هناك، أمام بيدق فيلها من ناحية الملكة، غير المحمي.

أمعنت النظر فيه لدقيقة، متسائلة عن نواياه. قد يريد تفعيل استراتيجية ماروتشي، متبعاً تسلسلاً غير اعتيادي. إن هذا جديد - لعلها استراتيجية ابتكرها خصيصاً لهذه المباراة. غلبها شعور بالخجل فجأة، مدركة أنها وبالرغم من مراجعتها لكتاب بيني، لم تحضِّر شيئاً مميزاً للمباراة وأنها لم تهيئ سوى اعتمادها على الحدس والهجوم، كالعادة.

ثم بدأت تدرك أنه لا يوجد شيء خبيث خلف نقلة بيني، ليست بنقلة لا يمكنها التعامل معها. اتضح لها أنه ليس عليها أن تقلق بشأن تلك النقلة. يمكنها أن تُعرض عن أخذ تلك القطعة. إذا حركت حصانها إلى الصف الثالث حيث يتواجد فيل الملكة، فستذهب نقلته تلك هدراً. لعله ألقى صنارته ساعياً إلى كسب امتياز سريع - كما لو كان يلعب الشطرنج السريع. أخرجت حصانها. ما هذا بحق الجحيم؟ كما كانت السيدة ويتلي تقول.

قدّم بيني بيدق ملكته إلى الصف الرابع؛ أخذت البيدق، ثم عادل الكفة بحصانه. أخرجت حصانها الآخر وانتظرته أن يُخرج حصانه بالمقابل. ستُسمِّره عندما يفعل ذلك ثم تأخذه، جاعلة بذلك البيدقين في العمود نفسه. كانت نقلة بيدق الملكة مكلفة له، ورغم أن الامتياز لم يكن كبيراً، إلا أنه كان حتمياً.

ولكنه لم يُخرج حصانه. وعوض ذلك، أخذ حصانها. من الواضح أنه لم يكن يريد جعل بيدقيه يزدوجان. تأنت قليلاً قبل أن تعاود التقاط قطعته. لقد كان ذلك مذهلاً: كان في موقف دفاعي بالفعل. قبل لحظات، شعرت كأنها هاوية، وها هو ذا بيني واتس يحاول أن يربكها في النقلة الثالثة ويوقع نفسه في ورطة.

البديهي كان أن تأخذ حصانه ببيدق حصانها، متوجهة بذلك

نحو وسط الرقعة. إن أخذته من الناحية الأخرى، ببيدق ملكتها، فسيبادل الملكتين، وسيحول ذلك دون أن تتمكن من التبييت كما سيحرمها ذلك من الملكة التي تفضلها لشن الهجمات السريعة. مدت يدها لتلتقط حصانه ببيدق حصانها ثم تراجعت. بشكل ما، بدت فكرة فتح عمود الملكة، رغم حماقتها، مغرية. شرعت في دراسة النقلة. وشيئاً فشيئاً صارت منطقية. فعند مبادلة مبكرة للملكتين، لن يمسي التبييت مهماً. يمكنها أن تُدخل الملك في اللعبة كما لو أنها نهاية اللعبة. نظرت إلى بيني من جديد ورأت في ملامحه الاستغراب حول سبب تأخرها في نقلة روتينية كهذه. لسبب ما بدا لها أصغر سناً. ما هذا بحق الجحيم؟ رددت مرة أخرى وأخذت بيدق الملكة، كاشفة عن ملكتها.

لم يتردد بيني؛ أخذ ملكتها بملكته وضغط على زر الساعة من دون تأخير. لم يكلف نفسه عناء حتى قول «كش ملك». حركت ملكها كما توجب عليها، ودفع بيدق الفيل ليحمي بيدق ملكه. كانت حركة دفاعية بسيطة، ولكنها شعرت بشيء من البهجة عندما قام بذلك. شعرت بأنها مكشوفة من دون ملكتها، لكنها شعرت بأنها أقوى من دونها. لقد كانت متحكمة بزمام الأمور، وكانت مدركة لذلك. دفعت بيدق الملك إلى الصف الرابع. نقلة غير متوقعة في هذه المرحلة، وهذا أعطاها إحساساً بالأمان. استطاعت فتح الخط القطري لفيل ملكتها وحبس بيدق ملكه في الصف الرابع. رفعت ناظريها عن الرقعة لترى محيطها. كانت جميع المباريات الأخرى جارية؛ والجمهور لا يحرك ساكناً، متابعاً بتمعّن. أغلبهم واقفون، بما يمكنهم من متابعة مباراتها مع بيني. مر المدير وحرك القطعة على لوحة العرض أمامهم، بتقديم بيدق الملك إلى الصف الرابع.

بدأ الحضور يتمعنون في النقلة. ألقت بناظريها إلى الجهة الأخرى للقاعة حيث النوافذ. كان يوماً جميلاً، أشجار بأغصانها المورقة محملة على أجنحة الهواء ومتوجة بسماء شديدة الزرقة. شعرت بصدرها يتسع، يسترخي، ينفتح. ستهزمه. ستهزمه ببراعة.

في النقلة التاسعة عشرة تمكنت من تبين سلسلة نقلات ممتازة. تخللت ذهنها بصورة جلية، مع بضع نقلات واضحة وضوح الشمس، قلعتها وفيلها وحصانها في رقصة معاً لمحاصرة ملكه. ولكن لم تكن هذه النقلات ستؤدي إلى كش مات ولا حتى إلى تفوُّق من حيث القطع. بعد أن حركت حصانها إلى الصف الخامس أمام مربع الملكة في الحركة الخامسة والعشرين، وأُرغم بيني على دفع بيدق لعدم وجود أي حركة دفاعية، بادلت قلعة وحصاناً مقابل قلعة وحصان، وقدمت ملكها إلى مربع الملكة الثالث. على الرغم من التساوي بالقطع والبيادق، إلا أن المسألة كانت مسألة حسابات لا غير. لن يتمكن من نقل بيدقه إلى الصف الثامن وتحويله إلى ملكة إلا بعد اثنتي عشرة نقلة، فيما تحتاج هي إلى عشر نقلات.

قام بيني ببعض النقلات، قدّم ملكه في محاولة بائسة لأخذ بيادقها قبل أن تنجح هي في أخذ بيادقه، ولكن حتى يده التي نقلت الملك تحركت بكسل. وعند أخذها لبيدق فيل ملكته، مدّ يده وأسقط ملكه. ساد صمت تبعه تصفيق خافت. لقد فازت بعد ثلاثين نقلة.

عند مغادرتهما للقاعة قال لها بيني:

– لم أتصور للحظة أنك ستدعينني أبادل الملكتين.

– ولا أنا، ردّت.

الفصل الحادي عشر

مساء السبت بعد الحفل، رافقها بيني إلى حانة في البلدة. جلسا بمكان قصيّ. شربت بيث جعتها الأولى وطلبت الثانية.

- على مهلك، قال بيني. رويدك. لم يكن قد أنهى جعته الأولى بعد.

- معك حق، قالت وأخذت تخفف من سرعة شربها. أحست بأنها منتشية بما يكفي تلك الليلة. لا خسارات. لا تعادلات. خصماها الأخيران عرضا عليها التعادل وسط المباراة، لكنها رفضت.

- نتيجة مثالية، قال بيني.

- إنه شعور رائع، قالت. تعني الفوز، لكن مذاق الجعة صار بدوره شعوراً طيباً، أيضاً. دققت النظر فيه. أقدّر أنك تتقبل الأمر بهذه الطريقة.

- إنه مجرد قناع، رد قائلاً. أنا أغلي من الداخل.

- لا يبدو عليك ذلك.

- لم يكن عليّ تحريك بيدق الفيل اللعين ذاك.

جلسا في صمت تام لبعض الوقت. أخذ رشفة من جعته بروّية، ثم سأل:

- ما الذي ستفعلينه بخصوص بورغوف؟

- حين سأذهب إلى باريس؟ أنا لا أملك جواز سفر حتى.

- حين تذهبين إلى موسكو.

- لا أعلم عن ماذا تتحدث.

- ألا يسلّمون البريد بكنتاكي؟

- بالطبع يفعلون.

- بطولة موسكو المغلقة. تتم دعوة بطل الولايات المتحدة.

- أريد جعة أخرى، قالت.

- لا تعلمين ذلك؟ بدا بيني مصدوماً.

- سأجلب الجعة بنفسي.

- تفضلي.

مشت نحو طاولة المشرب وطلبت قنينة أخرى. لقد سمعت عن بطولة موسكو المغلقة، لكنها لا تعلم عنها شيئاً. جلب لها الساقي الجعة، فطلبت منه إحضار أخرى. حين رجعت إلى الطاولة، قال بيني:

- أنت تكثرين من الشرب.

- ربما. انتظرت استقرار الرغوة ثم أفرغت نصف محتوى الكأس في جوفها. كيف أصل إلى موسكو إذا فكرت في الذهاب؟

- حين ذهبت، قام الاتحاد بشراء التذكرة، ثم تكفلت مجموعة كنسية بالباقي.

- أكان لك مساعد؟

- بارنز.

- بارنز؟ قالت وهي تحدّق فيه.

- يصعب أن يكون المرء وحده في روسيا. عبس. لا يجب أن تشربي الجعة بهذه الطريقة. ستهلَكين بسن الحادية والعشرين.

وضعت الكأس على الطاولة.

- من سيكون أيضاً ضمن لائحة اللاعبين في موسكو؟

- أربع دول أخرى والأربعة الأفضل في روسيا.

ذلك يعني لوتشينكو وبورغوف. وشابكين، ربما. لم ترغب في التفكير في ذلك. نظرت إليه بصمت لبعض الوقت.

- بيني، أحب الطريقة التي تصفف بها شعرك.

حدّق فيها.

- ماذا عن روسيا؟

أخذت رشفة أخرى من الجعة. أحبت شعر بيني **فعلاً**، كما أحبت عينيه الزرقاوين. لم يسبق لها أن نظرت إليه كما تنظر امرأة إلى رجل تشعر بانجذاب نحوه، لكنها صارت تفكر بتلك الطريقة الآن.

- أربع لاعبي شطرنج روس، قالت، هو عدد كبير من لاعبي الشطرنج الروس.

- قتلة. رفع كأسه ثم أفرغه في جوفه. كان قد أنهى جعته الأولى فقط. بيث، أنت اللاعب الأميركي الوحيد الذي أعرف أن بمقدوره فعل ذلك.

- لقد انهرت أمام بورغوف في مكسيكو سيتي...

- متى تسافرين إلى باريس؟ سأل بيني.

- بعد خمسة أسابيع.

- إذاً أعيدي ترتيب حياتك بناء على ذلك وابدئي تحضيراتك. ابحثي عن مدرب.

- ماذا عنك؟

فكر لوهلة.

- أتستطيعين القدوم إلى نيويورك؟

- لا أدري.

- يمكنك النوم في غرفة المعيشة، والسفر إلى باريس من هناك.

فاجأتها الفكرة.

- لدي منزل عليّ الاعتناء به، في كنتاكي.

- فليذهب المنزل إلى الجحيم.

- أنا لست مستعدة...

- ومتى ستكونين؟ السنة المقبلة؟ بعد عشر سنوات؟

- لا أعرف.

انحنى نحوها، ثم قال ببطء:

- إذا لم تفعلي ذلك، فستشربين طوال حياتك، تاركة موهبتك تمضي أسفل المجاري.

- جعلني بورغوف أبدو مثل الحمقاء.

- لم تكوني مستعدة.

- لا أعرف إلى أي حد أنا جيدة.

- أنا أعرف، رد بثقة. أنت الأفضل.

أخذت نفَساً عميقاً.

- حسناً. سأذهب إلى نيويورك.

- يمكنك الذهاب معي من هنا، قال. سأقود.

- متى؟

كان الأمر يحدث بسرعة كبيرة. أحست بالخوف يتسلل إلى دواخلها.

- غداً بعد الزوال، حين يكون كل شيء هنا قد انتهى. يمكننا الانطلاق في أول لحظة سانحة. قام من مكانه. وبخصوص الشَّعر...

رفعت نظرها باتجاهه.

- انسي الأمر، قال.

- طقس ممتاز، قال بيني، طقس ممتاز بحق.

- أنّى لك أن تعلم ذلك؟ سألت بيث. كان يقود عبر جزء إسفلتي رمادي على طريق بنسلفانيا تورنبايك، التي تخترق قلب بيئة شبه صحراوية، وعلى جنباتها توقفت سيارات مسافرين مغبرة متفرقة، متباعدة.

- بعيداً هناك، خلف التلال، وفي الجبال، بل وأيضاً في نيويورك.

- حتى في أوهايو كان الطقس جميلاً، قالت بيث. لكنها لم تحب المحادثة. لم تكن المحادثات بشأن الطقس تحظى باهتمامها. لم تقم بأي إجراءات بخصوص البيت في لكسينغتون، لم تستطع الوصول إلى المحامي عبر الهاتف، ولم تكن تعلم ما ينتظرها في نيويورك. لم ترقها لامبالاة بيني في وجه عدم يقينها - تلك الإشراقة الخالية من المشاعر التي ترتسم على وجهه من حين إلى آخر. بدا كذلك خلال حفل تسليم الجوائز، وخلال المرة التي أجرت فيها حوارات صحفية ووقّعت للمعجبين وشكرت مسؤولي الاتحاد الذين قدِموا من نيويورك للحديث عن أهمية الشطرنج. كان وجهه خالياً من التعابير الآن. حوّلت نظرها باتجاه الطريق.

بعد لحظة صمت امتدت لبعض الوقت، تحدث.

- عندما ستذهبين إلى روسيا، أرغب في مرافقتك.

كانت تلك مفاجأة. لم يتحدثا عن روسيا، أو عن الشطرنج، مذ ركبا في السيارة.

- كمساعدي؟

- كأي شيء. لا أستطيع تحمّل تكاليف السفر.

- تريدني أن أدفعها؟

- قد يظهر شيء جديد. خلال حوارك مع المجلة، تحدثت إلى جوهانسن. قال إنه لن تكون هناك أية أموال من الاتحاد للمساعدين.

- أنا أفكر في باريس فقط، قالت. لم أقرر بعد ما إذا كنت سأذهب إلى موسكو.

- ستذهبين.

- لا أعلم حتى ما إذا كان بإمكاني البقاء معك لأكثر من بضعة أيام. يجب أن أستصدر جواز سفر.

- نستطيع القيام بذلك في نيويورك.

همَّت بقول شيء ما، لكنها توقفت. حدجت بيني بنظراتها. لم يعد ذلك الفراغ مهيمناً على ملامح بيني الآن، وأحست بالدفء تجاهه. طوال حياتها، عاشرت رجلين من قبله ولم يكن ذلك على مستوى توقعاتها؛ إذا ما ذهبت هي وبيني إلى الفراش معاً، فسيكون الأمر أفضل بالتأكيد. سترى أنه سيعني أكثر من مجرد ذلك. سيصلان إلى شقته في منتصف الليل تقريباً. قد يحدث شيء ما هناك. ربما سيغمره شعور مختلف عند وصوله إلى البيت.

- فلنلعب بعض الشطرنج، قال بيني. سألعب بالأبيض. البيدق إلى مربع الملك الرابع.

هزت كتفيها.

- البيدق إلى مربع فيل الملكة الرابع.

- الحصان إلى مربع الفيل الثالث.

- البيدق إلى مربع الملكة الثالث. لم تكن متأكدة أن الفكرة تروقها. لم يسبق لها أن شاركت رقعتها الذهنية مع أحد من قبل، وقد انتابها إحساس بأن فتحها أمام نقلات بيني أشبه بالاختراق.

- البيدق إلى مربع الملكة الرابع، قال بيني.

- البيدق يأخذ البيدق.

- الحصان يأخذ البيدق.

- الحصان. مربع فيل الملك الثالث. في الحقيقة، كان الأمر سهلاً. تستطيع النظر إلى الطريق الممتدة أمامها ورؤية الرقعة والقطع فوقها من دون أدنى صعوبة.

- الحصان إلى مربع فيل الملكة الثالث، قال بيني.

- البيدق إلى مربع حصان الملك الثالث.

- البيدق إلى مربع الفيل الرابع.

- البيدق إلى مربع الفيل الرابع.

- تفريع ليفينفيش، قال بيني بنبرة جافة. لم يرقني قط.

- حرّك حصانك.

فجأة صار صوته أشبه بالجليد.

- لا تخبريني بما يتوجب عليّ تحريكه، قال.

تراجعت إلى الخلف كما لو أنها تعرضت للسعة.

قاد السيارة لبضعة أميال في صمت تام. ظلت بيث تشاهد الفولاذ الرمادي الذي يفصلهما عن المسارات القادمة في الاتجاه

المعاكس. ثم، وحينما أوشكا على الدخول بنفق، قال بيني:

- كنت محقة بخصوص الحصان على مربع الفيل الثالث. سأضعه هناك.

ترددت لوهلة قبل أن تتحدث.

- حسناً. سآخذ الحصان.

- البيدق يأخذ، قال بيني.

- البيدق إلى مربع الملك الخامس.

- البيدق يأخذ مجدداً، قال بيني. أتعلمين ما يقوله شارتز بخصوص هذا؟ في الهامش؟

- لا أقرأ الهوامش.

- يجب أن تبدئي قراءتها.

- شارتز لا يروقني.

- ولا أنا، قال بيني. لكنني أقرأ ما يكتب. نقلتك المقبلة؟

- الملكة تأخذ الملكة. كش ملك. أمكنها سماع الكآبة في صوتها.

- الملك يأخذ، قال بيني، وقد استرخى الآن خلف عجلة القيادة. تخطيا بنسلفانيا. أجبرته بيث على الاستسلام في النقلة السابعة والعشرين وجعلها ذلك تشعر بأنها أفضل من ذي قبل شيئاً ما. لطالما أحبت أن تلعب الدفاع الصقلي.

كانت هناك عدة أكياس بلاستيكية مملوءة بالنفايات في الممر المؤدي إلى شقة بيني، ولم تكن الإضاءة فوق رأسيهما تتعدى مصباحاً عارياً ومتسخاً. كان ممراً مدهوناً بأبيض فقد نصاعته منذ زمن طويل، فكان يبث الاكتئاب في مثل هذا الوقت من الليل مثلما

يفعل مرحاض بمحطة حافلات. على الباب قفل ثلاثي، مصبوغ بالأحمر، وكلمة Bezbo مكتوبة بدهان أسود.

في الداخل، غرفة معيشة ضيقة تكدست فيها الكتب في صفوف بكل مكان. لكن الإضاءة كانت لطيفة جداً عندما قام بإشعال المصابيح. في نهاية الغرفة كان المطبخ، وبجواره باب يقود إلى غرفة النوم. كانت هناك سجادة خضراء، لا أريكة ولا كراسي - فقط وسائد سوداء للجلوس عليها، ومصابيح بجوارها.

الحمام عتيق الطراز، بمربعات بيضاء وسوداء بالأرضية، وبكرة ماء ساخن مكسورة بالصنبور، مع حوض استحمام ودش بستار بلاستيكي أسود. غسلت يديها ووجهها ثم عادت إلى غرفة المعيشة. ذهب بيني إلى غرفة النوم لفتح حقائبه. ظلت حقيبتها على أرضية غرفة المعيشة بجوار خزانة كتب. مشت نحوها ونظرت بعينين متعبتين إلى الكتب. كلها تتعلق بالشطرنج - الرفوف الخمسة كلها. بعضها بالروسية والألمانية، لكنها كلها عن الشطرنج. تقدمت فوق السجادة الصغيرة الخشنة نحو الجهة المقابلة من الغرفة حيث وجدت خزانة كتب أخرى - مصنوعة من ألواح موضوعة على قرميد. المزيد من الشطرنج. ورف بكامله من نشرة كش ملك تعود إلى فترة الخمسينيات.

- هناك مكان شاغر في الخزانة، صرخ بيني من غرفة النوم. يمكنك تعليق ثيابك إذا رغبت في ذلك.

- حسناً، قالت. لكن في الحقيقة، كل ما كانت تريده هو النوم. وأين يفترض بها أن تنام؟

- كنت أظن أنني سأحصل على أريكة، قالت.

تقدم نحو باب الغرفة.

- قلت «غرفة المعيشة».

ذهب إلى غرفة النوم ثم عاد بشيء يبدو متكدساً مع ما يشبه المضخة. وضعه وسط غرفة المعيشة، وشرع يضغط على المضخة بقدمه، وبعد مدة قصيرة، تمدد ذاك الشيء ليصير فراشاً هوائياً.

- سأجلب بعض الملاءات، قال بيني. ذهب وجلبها بالفعل من غرفة النوم.

- سأقوم بذلك، قالت، وأخذتها منه. لم يعجبها منظر الفراش، لكنها كانت تعلم أين كانت حبوبها. بإمكانها تناولها حين يغط في النوم، إذا احتاجت إلى ذلك. لن يكون هناك أي مشروب في هذه الشقة. لم يخبرها بيني بذلك، لكنها تعلم.

لا بدّ أنها غطّت في النوم قبل أن يفعل بيني، لأنها نسيت أمر الحبوب في أمتعتها. استيقظت على صوت صافرة سيارة بالخارج - سيارة إسعاف أو شاحنة إطفاء. حين حاولت الجلوس، لم تستطع ذلك. لم تكن هناك حافة للسرير لتدلّي رجليها. دفعت نفسها نحو الأعلى وانتصبت واقفة، مرتدية بيجامتها، وبدأت تنظر حولها. كان بيني واقفاً أمام المغسلة بالجهة المقابلة مولياً إياها ظهره. كانت تعلم مكانها، لكن المكان بدا مختلفاً تحت ضوء النهار. تبدد صوت الصافرة وعوضه صوت الزحمة الاعتيادية في شوارع نيويورك. فتحت إحدى ستائر النافذة، فلمحت الجزء العلوي من شاحنة بنفس القرب الذي يقف به بيني، وخلفها سيارات أجرة تمر. كان صوت نباح كلب يتردد بانتظام.

التفت بيني وتقدم نحوها. كان يحمل كوباً ورقياً كبيراً.

«شوكولاتة مشبَعة بالبندق» كان مكتوباً على الكوب. شيء ما يبدو غريباً جداً بخصوص ذلك. لم يسبق لأحد أن قدم لها أي شيء

في الصباح، ولا حتى السيدة ويتلي، التي لم تكن قط مستيقظة قبل تناول بيث لفطورها. نزعت الغطاء البلاستيكي وتذوقت القهوة.

- شكراً، قالت.

- غيّري ملابسك في غرفة النوم، قال بيني.

- أنا بحاجة إلى الاستحمام.

- الحمام كله تحت تصرفك.

قام بيني بتحضير طاولة قابلة للطي ووضع فوقها رقعة شطرنج باللونين الأخضر والبيج. كان يرتب القطع حين دخلت بيث إلى غرفة المعيشة.

- حسناً، قال بيني، سنبدأ بهذه.

أعطاها مجموعة كتيبات ومجلات ملفوفة بشريط مطاطي. في أعلاها يوجد كتيب ذو غلاف ورقي رخيص، كُتب عليه «مؤتمر شطرنج آل هاستينغز الخاص بعيد الميلاد - قاعة فاليز، حدائق وايت روك»، وتحته «سجل مباريات». كانت الصفحات في داخله مكتظة بالكتابة ومطبوعة بشكل ملطخ. كانت كل صفحة تتضمن مباراتين مصحوبتين بتعاليق بخط سميك: لوتشينكو ضد أولمان؛ بورغوف ضد بينروز. مد بيني إليها كتيباً آخر عنوانه **شطرنج الأساتذة الكبار**. كان يشبه كتيب هاستينغز إلى حد كبير. مع ثلاث مجلات من ألمانيا وواحدة من روسيا.

- سنلعب مباريات هاستينغز، قال بيني.

ذهب إلى غرفة النوم وعاد حاملاً كرسيين خشبيين عاديين، ووضع كرسياً في كل طرف من الطاولة أمام النافذة. ما تزال الشاحنة مركونة في الخارج والشارع يضج بسيارات بطيئة الحركة.

- العبي أنت بالقطع البيضاء وسألعب أنا بالسوداء.
- لم أتناول الفطور بعد...
- البيض في الثلاجة، قال بيني. سنبدأ أولاً بمباريات بورغوف.
- كلها؟
- سيكون في باريس عندما تذهبين إلى هناك.

نظرت بيث إلى المجلة التي تحملها ثم إلى الطاولة قرب النافذة، ثم إلى ساعتها. كانت تشير إلى الثامنة وعشر دقائق.

- سأتناول البيض أولاً، قالت.

اشتريا شطائر للغداء وتناولاها فوق رقعة الشطرنج. أما العشاء فقد كان من مطعم صيني للوجبات الجاهزة في فيرست أفينيو. لم يدع بيني بيث تلعب الافتتاحيات بسرعة، بل استوقفها عند كل نقلة مبهمة ليسألها عن سبب اختيارها لها. جعلها تحلل كل شيء بدقة. أحياناً كان يمسك يدها ليمنعها من تحريك قطعة حتى يتسنى له طرح أسئلته: «لم لا تتقدمين بالحصان؟» أو «لماذا لم تحمي القلعة؟» أو «ماذا سيحل بالبيدق الخلفي؟» كان اللعب جدياً ومحتدماً، وبيني لم يتهاون.

كانت بيث مدركة لهذه الأسئلة منذ سنوات لكنها لم تسمح لنفسها بالتفكير فيها بهذه الصرامة. غالباً ما كان عقلها منغمساً في الاحتمالات الهجومية التي يخولها لها تطور التحركات على الرقعة، راغبة في دفع لوتشينكو أو ميكينغ أو تشيرنياك إلى هجوم صاعق على بورغوف. لكن بيني يقاطعها بسؤال عن دفاعها أو عن فتح المربعات الفاتحة أو الغامقة أو عن السيطرة على عمود مفتوح عن طريق القلعة. كان ذلك يثير غضبها أحياناً، لكن بدا جلياً أن أسئلته في الصميم. لقد كانت تلعب مباريات الأساتذة الكبار في ذهنها منذ أن

اكتشفت **مجلة الشطرنج** لأول مرة، لكنها لم تكن منضبطة حيال الأمر. كانت تلعبها لتتذوق لذة الفوز، لتشعر بنشوة الإثارة عند التضحية بقطعة أو عند الرد، خصوصاً إذا كانت المباريات مطبوعة في كتب، حيث تضاف بعض الدراما من ذاك النوع - مثل كتب مباريات فريد رينفلد المليئة بتضحيات الملكة والميلودراما. علمت بيث من تجاربها في البطولات أنه لا يجب أن تتوقع من الخصم أن يضحي بالملكة أو يقوم بكش مات مفاجئ باستعمال الحصان والقلعة. بالرغم من ذلك كانت تحب الإثارة في مثل تلك المباريات. ذلك ما تحبه في مورفي، وليس مبارياته الروتينية، وبالتأكيد ليس تلك التي يخسرها، ومورفي حاله حال جميع اللاعبين، إذ خسر بعض المباريات. كانت بيث سريعة الملل دائماً عندما يتعلق الأمر بمباريات الشطرنج العادية، حتى إذا كانت بين أستاذين كبيرين، ملل مثل الذي يعتريها من تحليل روبن فاين لنهايات اللعب وتحليل **مجلة الشطرنج** المضاد الذي يشير إلى أخطاء روبن فاين. لم تقم بيث من قبل بشيء يشبه ما يجعلها بيني تفعله الآن.

المباريات التي تلعبها جدية، لا يلعبها سوى أفضل وأبرع اللاعبين في العالم، ومقدار الطاقة الذهنية المستهلكة في كل نقلة لا يصدق. لكن غالباً ما تكون النتائج مضجرة للغاية وغير حاسمة. قد تكون حركة بيدق واحد مبنية على قوة تفكير هائلة، على سبيل المثل، فتح نطاق تهديد لن يكون ظاهراً إلا بعد ست حركات أخرى؛ لكن الأسود يتنبأ بهذا التهديد ويجد النقلة التي ستلغيه، وبذلك لن تظهر عبقرية الفكرة. كان هذا محبطاً ومخيباً للآمال، لكن لأن بيني أجبرها على التوقف والتمعن في ما يجري، فقد كان مبهراً. واصلا على هذا المنوال لمدة ستة أيام، وكانا يغادران الشقة

للضرورة فقط، ومرة واحدة يوم الأربعاء لمشاهدة فيلم. لم يكن بيني يملك تلفازاً أو جهاز راديو؛ كانت شقته صالحة فقط للأكل والنوم والشطرنج. لعب بيني وبيث جميع مباريات كتيب هاستينغز والكتيب الروسي دون أن يفوّتا أياً منها، باستثناء تعادلات الأساتذة الكبار.

في يوم الثلاثاء، اتصلت بيث بمحاميها في كنتاكي وطلبت منه تفقّد الأمور في البيت. ذهبت إلى فرع بنك كيميكل وفتحت حساباً بالشيك الذي فازت به في أوهايو. سيتطلب صرفه خمسة أيام. كان لديها ما يكفي من شيكات سياحية لتلبّي حاجياتها حتى ذلك الحين.

لم يتبادلا الحديث إلا نادراً خلال الأسبوع الأول. لم يحدث أي شيء ذي طبيعة رومانسية بينهما. لم تنس بيث الأمر لكنها كانت منشغلة جداً بمباريات الشطرنج. عند انتهائهما من اللعب، أحياناً في منتصف الليل، كانت تجلس لفترة فوق وسادة على الأرض أو تذهب في نزهة نحو سكند أو ثيرد أفنيو وتشتري مثلجات أو شوكولاتة هيرشي من متجر. لم تدخل إلى أي من الحانات ونادراً ما تأخرت في العودة. لم يكن ذلك بسبب خطورة التجول في نيويورك ليلاً، بل لكونها مرهقة إلى درجة أنها لا تستطيع فعل شيء غير العودة إلى الشقة ونفخ فراشها والخلود إلى النوم.

أحياناً كان التواجد مع بيني كالتواجد مع لا أحد، فهو يتصرف بطريقة لاشخصية لساعات متوالية. كانت بيث تتجاوب معه، لتصبح بدورها باردة ومحايدة، وتتواصل فقط من خلال الشطرنج.

لكن الوضع كان مختلفاً أحياناً. في إحدى المرات كانت بيث تدرس وضعية غاية في التعقيد بين لاعبين روسيين، انتهت بالتعادل، لاحظت شيئاً ما، ثم صرخت: «انظر إلى هذا يا بيني!»، ثم شرعت في تحريك القطع. «لقد فاتته نقلة. الأسود ينقل هذا الحصان...».

وشرحت طريقة يستطيع بها الأسود الفوز. رسم ذلك ابتسامة عريضة على وجه بيني وجاء إلى حيث كانت تجلس قرب الرقعة وعانق كتفيها.

في معظم الأوقات، كان الشطرنج هو وسيلة التواصل الوحيدة بينهما. في عشية أحد الأيام بعد قضاء ثلاث أو أربع ساعات في تحليل نهاية اللعب، قالت بيث متعبة: «ألا تملّ أحياناً؟». نظر إليها بوجه خال من التعابير. «وما عساي أفعل غير ذلك؟»، قال بيني.

كانا يدرسان نهايات البيادق والقلاع، حينما سُمع طرق على الباب. قام بيني وفتح الباب، فظهر ثلاثة أشخاص أمامه. بينهم كانت امرأة. تعرفت بيث على رجل واحد من أحد مقالات **مجلة الشطرنج** الذي تحدث عنه قبل بضعة أشهر وبدا الآخر مألوفاً، رغم أنها لم تستطع تحديد أين سبق لها أن رأته بالضبط. كانت المرأة جذابة جداً، في الخامسة والعشرين من عمرها تقريباً، بشعر أسود وملامح شاحبة، وكانت ترتدي تنورة رمادية قصيرة جداً وقميصاً عسكري الطراز.

- أقدم لكم بيث هارمون، قال بيني. هيلتون ويكسلر، الأستاذ الكبير آرثر ليفيرتوف، وجيني بينز.

- بطلتنا الجديدة، قال ليفيرتوف، وهو ينحني قليلاً. كان في عقده الثالث وقد بدأ الصلع يحتل مقدمة رأسه.

- مرحباً، قالت بيث. نهضت عن الطاولة.

- تهانينا! قال ويكسلر. كان بيني في حاجة إلى درس في التواضع.

- أنا قمة في التواضع سلفاً، ردّ بيني.

مدت المرأة يدها وقالت:

- يسعدني لقاؤك.

بدا غريباً لبيث أن يجتمع كل هؤلاء بغرفة معيشة بيني الضيقة. أحست كما لو أنها عاشت نصف عمرها بهذه الشقة مع بيني، تدرس مباريات الشطرنج، وكان من المزعج جداً أن يتواجد أي شخص عداهما هناك. لقد أمضت تسعة أيام في نيويورك. دون أن تدري ما يجب أن تفعله بالضبط، قررت الجلوس أمام الرقعة مجدداً. تقدم ويكسلر ووقف على الجهة المقابلة.

- أتعملين على حل المسائل الشطرنجية المعقدة؟

- لا. جربت بعضها خلال طفولتها، لكن حل تلك الوضعيات لم يستأثر بانتباهها، وذلك لأنها لم تكن وضعيات طبيعية. **دور الأبيض، وكش ملك في نقلتين**. كانت، كما كانت السيدة ويتلي لتقول، بعيدة عن صلب الموضوع.

- دعيني أريك واحدة، قال ويكسلر. كان صوته لطيفاً وعذباً.

- هل يمكنني بعثرة القطع؟

- طبعاً. تفضل.

- هيلتون، قالت جيني، وهي تتقدم نحوه، إنها ليست أحد مسوخ حل المسائل خاصتك. إنها بطلة الولايات المتحدة.

- لا بأس بذلك، قالت بيث. لكنها كانت سعيدة بما قالته جيني.

شرع ويكسلر بوضع القطع على الرقعة حتى صارت هناك وضعية غريبة: الملكتان في الزاويتين، والقلاع الأربع على العمود

نفسه. كان الملكان في الوسط تقريباً، وهو الأمر الذي لم يكن مرجحاً في مباراة حقيقية. عندما انتهى، عقد ذراعيه أمام صدره.

- هذه هي المفضلة لدي، قال. الأبيض يفوز في ثلاث نقلات.

نظرت بيث إلى الرقعة بانزعاج. بدا لها أمراً سخيفاً أن تتعامل مع وضع مماثل. لم يكن شيء كهذا ليحصل في مباراة حقيقية. ادفع البيدق، قم بكشّة بالحصان، وسيتحرك الملك نحو الركن. لكن بعدها يترقى البيدق إلى ملكة، وتنتهي المباراة في مأزق. ربما وجبت ترقية البيدق إلى حصان، ليصبح الملك في وضعية كش ملك جديدة. لكن إذا لم يتحرك الملك إلى هناك بعد الكش الأول. . . عادت إلى تتبع ما سيقع في تلك الحالة، ورأت ما يجب فعله. كان ذلك مثل مسألة في الجبر، وقد كانت دوماً جيدة في حل المسائل الرياضية. نظرت إلى ويكسلر.

- البيدق إلى مربع الملكة السابع.

بدا مذهولاً.

- يا إلهي، قال. كان ذلك سريعاً للغاية.

كانت جيني تبتسم.

- ها أنت، يا هيلتون، قالت.

كان بيني يراقب كل ذلك في صمت.

- فلنلعب مباريات متزامنة، قال لبيث فجأة. لاعبينا كلنا.

- أنا، لا، قالت جيني. أنا لا أعرف حتى القواعد.

- ألدينا رقع وقطع كافية؟ سألت بيث.

- على الرف في الخزانة. ذهب بيني إلى غرفة النوم وعاد وبيده علبة كرتونية. سنُرتّبها على الأرضية.

- التوقيت؟ قال ليفيرتوف.

تبادر إلى ذهن بيث شيء ما فجأة.

- فلنلعب الشطرنج السريع.

- ستكون لنا الأفضلية عليك، قال بيني. نستطيع التفكير خلال وقتك.

- أريد أن أجربه.

- لا مجال. كانت نبرة بيني حازمة. أنت لست بارعة في الشطرنج السريع، أتذكرين؟

شيء ما بداخلها رد بقوة على ما لم ينطق به.

- أراهنك بعشرة دولارات أنني سأهزمك.

- ماذا لو تجاهلت باقي المباريات لتستغلي كامل وقتك ضدي؟

شعرت برغبة في ركله.

- أراهنك بعشرة دولارات على كل واحدة منها، أيضاً.

تفاجأت من الثقة البادية في صوتها. بدت مثل السيدة ديردورف.

هز بيني كتفيه.

- حسناً. المال مالك.

- فلنضع رقع اللعب ثلاثتها على الأرضية. سأجلس في الوسط.

فعلوا ذلك، مستخدمين الرقع الثلاث. كان ذهن بيث متوقداً في الأيام الأخيرة، ولعبت بدقة لامتناهية، مهاجمة في كل الرقع في الآن ذاته. فازت على ثلاثتهم، مبقية بعض الوقت الذي لم تستخدمه.

حينما انتهى الأمر، لم ينبس بيني ببنت شفة. توجه إلى غرفة

النوم، جلب حافظة نقوده، أخرج ثلاث ورقات من فئة العشرة وقدمها إلى بيث.

«فلنقم بذلك مجدداً»، قالت بيث. كانت هناك بعض الغصة في صوتها. إذا كان ذلك ما أراده بيني، فذلك ما كان سيحصل عليه. شرعت في ترتيب القطع.

أخذا وضعيتهما على الأرضية، ولعبت بيث بالقطع البيضاء خلال المباريات الثلاث جميعها مجدداً. وضعت الرقع حولها، وكانت في المركز حتى يسهل عليها اللعب على ثلاثتها من دون الحاجة إلى التحرك من مكانها، لكنها وجدت نفسها بالكاد تنظر إليها، إلا في حال أرادت القيام بنقلة. كانت تلعب في رقع ذهنية. حتى تلك النقلات الميكانيكية التي كان يجب عليها القيام بها كانت تقوم بها من دون أدنى مجهود. بدت وضعية بيني ميؤوساً منها عندما نفد الوقت في ساعته؛ أما الوقت في ساعتها فكان وفيراً. أعطاها ثلاثين دولاراً أخرى، وحينما اقترحت اللعب مجدداً أجاب بـ«لا».

كان هناك توتر يشوب الغرفة، ولم يعرف أحد كيفية التعامل معه. حاولت جيني الضحك على الأمر قائلة: «إنها مجرد شوفينية ذكورية»، لكن ذلك لم يخفف من حدة الجو. كانت بيث حانقة على بيني - غاضبة لقدرتها على هزمه بسهولة، وحانقة على الطريقة التي يتعامل بها مع الأمر، محاولاً إخفاء كل مشاعره، كما لو أن لا شيء يؤثر عليه.

أقدم بيني بعد ذلك على تصرف مفاجئ. كان يجلس مستقيم الظهر. فجأة، استند على الحائط، ودفع رجليه أمامه، مسترخياً. «حسناً يا صغيرة»، قال، «أظن أنك قد تعلمت الدرس». ثم ضحك

الجميع. نظرت بيث إلى جيني، التي كانت جالسة على الأرض بجوار ويكسلر. جيني، الجميلة والذكية، كانت تنظر إليها بإعجاب.

أمضت بيث وبيني الأيام التالية يدرسان **نشرة كش ملك**، التي أعادتهما إلى الخمسينيات، يلعبان مباريات طوال الوقت، ودائماً ما تكون بيث هي الفائزة. أحست أنها صارت قادرة على التفوق على بيني بشكل شبه ملموس، وتعجّب كلاهما من ذلك. في إحدى الجولات، تمكنت من مهاجمة ملكته عند النقلة الثالثة عشرة، وجعلته يسقط ملكه عند النقلة السادسة عشرة. قال بيني بهدوء:

- حسناً، منذ خمس عشرة سنة، لم يفعل بي أحد ما فعلته أنت.

- ولا حتى بورغوف؟

- ولا حتى بورغوف.

أحياناً، يبقيها الشطرنج مستيقظة لساعات طويلة من الليل. كان ذلك كما في ميثوين، إلا أنها كانت تشعر براحة أكثر ولم تقلق بشأن الأرَق. كانت تستلقي على فراشها في غرفة المعيشة بعد منتصف الليل، مع ضوضاء شوارع نيويورك المتسللة من فتحة نافذتها وهي تدرس الوضعيات في ذهنها. لم يسبق لها أن رأتها بهذا الوضوح أبداً. لم تتناول المهدئات، وساعدها ذلك على إبقاء ذهنها في حالة صفاء. لم يتعلق الأمر بمباريات كاملة الآن، بل بوضعيات خاصة فقط - وضعيات تدعى بـ«المُهمة نظرياً» و«المتطلبة لدراسة دقيقة». استلقت هناك وهي تسمع صياح السُّكارى في الشارع وتتقن في الوقت نفسه وضعيات الشطرنج المعقدة والكلاسيكية من حيث الصعوبة. وذات مرة، خلال شجار بين عاشقين حيث ظلّت المرأة

تصرخ: «أنا على وشك أن أفقد عقلي اللعين. أوشكت على فقدان عقلي اللعين!». وظل الرجل يقول: «مثل أختك الساقطة». وقفت بيث على سريرها لتشهد ترقية بيدق إلى ملكة بطريقة لم ترها من قبل. نقلة جميلة، بإمكانها استخدامه. صرخت المرأة: «اخرس يا حقير»، ثم عادت بيث إلى سريرها وهي فرحة لتنام في هناء.

أمضيا أسبوعهما الثالث يعيدان مباريات بورغوف وأنهيا آخر مباراة يوم الخميس بعد منتصف الليل. قامت بيث بتحليل الانسحاب، مشيرة إلى الكيفية التي مكنت بورغوف من تجنب التعادل، ونظرت إلى بيني فإذا به يتثاءب. كانت ليلة حارة والنوافذ مفتوحة.

- أخطأ شابكين في منتصف المباراة، قالت بيث، كان عليه أن يحمي جانب الملكة.

نظر إليها بيني بنعاس.

- حتى أنا أتعب من الشطرنج في بعض الأحيان.

نهضت عن الرقعة وقالت:

- حان وقت الذهاب إلى الفراش.

- ليس بهذه السرعة، قال بيني. نظر إليها للحظة وابتسم.

- أما زال شعري يروقك؟

- كنت أحاول تعلم كيفية التغلب على فاسيلي بورغوف، قالت بيث، ولا دخل لشعرك في ذلك.

- أرغب في أن ترافقيني إلى الفراش.

ظلا سوياً لمدة ثلاثة أسابيع وكادت تنسى أنهما رجل وامرأة.

- أنا مرهقة، ردت عليه باستياء.

- وأنا كذلك. لكنني أرغب في مشاركتك الفراش.

بدا مرتاحاً جداً وفرحاً. وفجأة أحست بالدفء تجاهه. قالت:

- حسناً.

وعندما استيقظت في الصباح، اندهشت من وجود شخص آخر في سريرها. استدار بيني إلى الناحية الأخرى، ولم تتمكن سوى من رؤية ظهره العاري والشاحب وبعضاً من شعره. أحست بادئاً أنها واعية بنفسها وخشيت أن توقظه، ثم قامت وجلست متوخية الحذر واتكأت على الحائط. لم يتحدث بيني كثيراً. كان ظريفاً ولطيفاً معها، لكن كان هناك فاصل بينهما. تذكرت جملة قالها أول رجل عاشرته: «عقلانية أكثر من اللازم». استدارت نحو بيني حيث بدت بشرته حسنة المظهر تحت الضوء، وضاءة تقريباً. ولوهلة، أحست برغبة في معانقته وضمّه، لكنها تمالكت نفسها.

أخيراً، استيقظ بيني، استدار نحوها ونظر إليها وهو يرمش. وبعد لحظة، قالت: «صباح الخير».

رمش بيني ثانية ورد عليها: «عليك أن تتجنبي افتتاحية الدفاع الصقلي ضد بورغوف، إنه بارع جداً فيها».

أمضيا الصباح يدرسان مباراتين للوتشينكو، وأكد بيني على اتباع استراتيجية بدلاً من التكتيكات. بدا في مزاج جيد، على عكس بيث التي أحست بالاستياء نوعاً ما. كانت ترغب في بعض الحميمية، لكن بيني كان يلقي عليها محاضراته. قال: «إنك تكتيكية بالفطرة، لكن تخطيطك ضعيف». لم تقل شيئاً وحاولت أن تخفي استياءها قدر المستطاع. كل ما ذكره صحيح، لكن أزعجتها طريقة تعبيره عنه.

عندما حلّ الظهر قال لها:

- عليّ أن ألعب جولة بوكر.

أشاحت بعينيها عن الوضعية التي كانت تحللها ونظرت إليه:

- جولة بوكر؟

- عليّ أن أسدد بدل الإيجار.

كان ذلك مفاجئاً، فلم تتوقع منه أن يكون مقامراً. استجوبته بخصوص هذا الأمر فأجابها بأنه يحصل من البوكر ولعبة الطاولة على مال أكثر بالمقارنة مع الشطرنج.

- عليكِ أن تتعلّميه، قال وهو يبتسم. أنت بارعة في الألعاب.

- فلتأخذني معك إذاً.

- لا، لا يلعب البوكر سوى الرجال.

ردّت وحاجباها منعقدان:

- سمعت هذا عن الشطرنج أيضاً.

- لا شك لديّ في ذلك. بإمكانك مرافقتي، لكن شريطة أن تلزمي الصمت.

- كم سيستغرق ذلك من الوقت؟

- ربما الليل كلّه.

كانت لتسأله منذ متى عرف بشأن هذه الجولة، لكنها لم تفعل. لا بد أنه كان يعرف قبل الليلة الماضية. استقلا حافلة فيفث أفينيو سوياً باتجاه الشارع الرابع والأربعين ثم سارا إلى فندق ألغونكوين. ظهر بيني وكأن شيئاً ما شغل باله ولم يرد التحدث عنه، فواصلا السير في صمت. بدأت بيث تنفعل مجدداً. لم يكن هذا سبب مجيئها إلى نيويورك، وكانت مستاءة من بيني، فهو لا يقدم تفسيراً ولا إخطاراً مسبقاً. كان تصرفه شبيهاً بطريقة لعبه الشطرنج، تبدو

سلسة وسهلة ولكنها، باطنياً، مليئة بالخدع ومثيرة للغضب. لم ترقها مرافقته لكنها لم ترغب في العودة إلى الشقة والدراسة وحدها.

كانت اللعبة في جناح صغير من الطابق السادس ولا أحد هناك سوى الذكور كما سبق أن أشار بيني. أربعة رجال يجلسون حول طاولة عليها قهوة وفيشات وأوراق اللعب. وهناك مكيف هوائي يُصدر صوتاً مزعجاً، وبدا رجلان آخران وكأنهما يتجولان فقط. عند وصول بيني، نظر إليه اللاعبون وسلموا عليه وهم يمزحون، وبدا بدوره لطيفاً ومرحاً. قال: «أقدم لكم بيث هارمون». هزوا رؤوسهم دون أن يعرفوا من هي. أخرج حزمة المال من جيبه ووضع شيئاً منها على الجانب الفارغ من الطاولة ثم جلس متجاهلاً بيث. لم تكن تعلم ما كان دورها في كل ذلك. ذهبت إلى غرفة النوم حيث رأت إبريقاً وأكواب قهوة. أخذت فنجان قهوة، ثم عادت إلى الغرفة الأخرى. كانت لدى بيني كومة من فيشات المقامرة أمامه ويحمل الأوراق بيده. قال الرجل الجالس على يساره: «سألعب هذه، وألقى بفيشة زرقاء في وسط الطاولة، فحذا الآخرون حذوه وكان بيني آخرهم.

وقفت بيث تشاهدهم من بعيد، وتذكرت حينما كانت تقف في القبو وهي تشاهد السيد شايبل واهتمامها الشديد بما كان يفعله، إلا أنها لم تحس بذلك الآن. لم تكترث لكيفية لعب البوكر رغم علمها أنها ستكون جيدة في ذلك المضمار أيضاً. كانت غاضبة جداً من بيني، واستمر هو في اللعب من دون أن ينظر إليها. يتلاعب بالأوراق في يده بحذاقة ويرمي بالفيشات إلى وسط الطاولة بكل هدوء وثقة في النفس، متفوهاً بأشياء مثل «سأبقى» أو «دورك». وأخيراً، بينما كان دور أحدهم في اللعب، ربتت بيث على كتف بيني ثم همست قائلة: «سأغادر». هز برأسه وأجابها: «حسناً»، ثم

استدار ليركز مجدداً على أوراقه. وبينما هي تنزل بالمصعد، أحست أنه كان بإمكانها أن تضربه بعصا على رأسه. النذل! يمضي ليلة معها ثم يذهب إلى رفاقه. لقد خطط لذلك منذ أسبوع على الأرجح. تكتيكات واستراتيجيات. شعرت بنفسها قادرة على قتله.

لكن المشي في الشارع أشفى غليلها بعض الشيء، واسترجعت هدوءها عندما ركبت حافلة ثيرد أفينيو لتعود إلى الشقة في الشارع الثامن والسبعين. بل استمتعت بوحدتها لوهلة. أمضت وقتها في قراءة **مخبر الشطرنج** الخاصة ببيني - سلسلة كتب جديدة من يوغوسلافيا - وهي تلعب بعض المباريات في ذهنها.

دخل بيني في وقت متأخر من الليل، فاستيقظت عند قدومه إلى الفراش. سرّتها عودته، وسألته كيف كانت الحصيلة، فقال، معجباً بنفسه: «ربحت ستمئة دولار تقريباً». فأولته ظهرها وعادت إلى النوم.

جلس بيني على سريرها في الصباح. لم يرقها ذلك كثيراً. كانت تعلم أنها ما تزال غاضبة منه بخصوص لعبة البوكر - ليس من أجل اللعبة ذاتها، ولكن لطريقة استعماله لها بعد تطور علاقتهما. نظر إليها لدقيقة:

- أنتِ غاضبة مني، أليس كذلك؟

- أجل.

- بسبب البوكر؟

- بل لأنك لم تخبرني عن ذلك من قبل.

هز برأسه وقال:

- أنا آسف. إنني أحافظ على مسافتي.

أراحها اعترافه، وقالت:

- أظنني أفعل ذلك أيضاً.

- لاحظتُ الأمر.

بعد أن تناولا فطورهما، اقترحت عليه أن يلعبا جولة، فتردد، ثم قبِل. أعدت الساعة على نصف ساعة لكل واحد منهما حتى تكون الجولة قصيرة ثم باشرت بهزمه مستخدمة افتتاحية ليفنفيش الصقلية، موقفة تهديداته ومطاردة ملكه بلا رحمة. وعندما انتهت الجولة، هزَّ رأسه ساخراً من نفسه ثم قال:

- لقد كنت بحاجة إلى الستمئة دولار تلك.

- ربما، لكن توقيتك لم يكن مناسباً.

- ما كان يجب أن أتجاوزك، أليس كذلك؟

- أتلعب جولة أخرى؟

هز بيني كتفيه واستدار قائلاً:

- حافظي على طاقتك لمواجهة بورغوف.

لكنها تدرك أنه كان سيلعب لو رأى فرصة للتغلب عليها. شعرت بتحسن كبير.

استمرا في علاقة حبهما ولم يلعبا الشطرنج إلا عند قراءتهما الكتب. وبعد بضعة أيام، خرج ليلعب البوكر مرة أخرى وعاد بربح قيمته مئتا دولار، وضعه بجانبها على الطاولة الليلية. حظي كلاهما بأسعد أوقاتهما على الفراش معاً، والمال بجانبهما على الطاولة الليلية. كانت معجبة به، لكن الأمر توقف عند ذلك. وخلال الأسبوع الأخير قبل مغادرتها إلى باريس، بدأت تشعر أنه لم يعد لديه ما يعلمها إياه.

الفصل الثاني عشر

لطالما حملت السيدة ويتلي وثائق تبنّي بيث وشهادة ميلادها معها عند السفر، واستمرت هذه العادة مع بيث أيضاً، رغم أنه لم يحدث أن كانت في حاجة إلى تلك الأوراق من قبل قط. في أول أسبوع لها في نيويورك، أخذها بيني إلى مركز روكفيلر واستعملت الوثائق لطلب جواز السفر. لم تكن في حاجة إلا إلى بطاقة سائح للدخول إلى المكسيك، فتكلفت السيدة ويتلي بذلك. وبعد أسبوعين، وصل الكتيب الصغير ذو الغلاف الأخضر، الذي يحمل بداخله صورة لها بشفتين مزمومتين. ومع ذلك، لم تكن متأكدة من ذهابها، فقد أخطرت القائمين على مسابقة باريس بقبولها المشاركة بضعة أيام قبل مغادرتها كنتاكي باتجاه أوهايو.

حينما حل الوقت، أقلّها بيني إلى مطار كينيدي وأوصلها إلى محطة إير فرانس.

- الأمر ليس مستحيلاً، قال بيني، تستطيعين هزيمته.

ردّت قائلة:

- سنرى بخصوص ذلك. شكراً على المساعدة.

أخذت حقيبتها من السيارة ووقفت عند نافذة السائق، فقد كانوا في مكان لا يُسمح بالتوقف فيه، ولم يكن بإمكانه النزول ليودعها.

- أراك الأسبوع المقبل، قال بيني.

لوهلة أرادت أن تنحني نحو النافذة المفتوحة وتقبّله، لكنها تمالكت نفسها.

- أراكَ لاحقاً، قالت، ثم حملت حقيبتها واتجهت نحو المحطة.

هذه المرة كانت تتوقع أن ينتابها الإحساس بذلك العداء القاتم الذي قد يتهيج بمجرد رؤيته في الغرفة نفسها، إلا أن استعدادها للأمر لم يمنعها من أخذ نفَس عميق. كان يقف مولياً إياها ظهره، يتحدث إلى المراسلين. أشاحت بنظرها بعيداً عنه، والقلق ينتابها، كما فعلت من قبل في حديقة الحيوانات في مكسيكو سيتي. إنه مجرد رجل آخر ببدلة سوداء، مجرد روسي آخر يلعب الشطرنج، قالت في سرّها. كان أحدهم يلتقط صورة له، بينما كان الآخر يتحدث إليه. شاهدت ثلاثتهم لبعض الوقت، وهو ما هدأ من روعها. بإمكانها التغلب عليه. استدارت واتجهت نحو المكتب للتسجيل. ستبدأ اللعبة خلال عشرين دقيقة.

كانت تلك أصغر بطولة شطرنج رأتها بحياتها، وقد جرت بمبنى قديم راقٍ بالقرب من المدرسة العسكرية. كان هناك ستة لاعبين وخمس جولات - جولة كل يوم، لمدة خمسة أيام. إن خسرت هي أو بورغوف إحدى الجولات الأولى، فلن يتمكنا من أن يواجه احدهما الآخر، والمنافسة كانت قوية. وبالرغم من ذلك، لم تشعر أن أحدهما سيُهزم أمام لاعب آخر غيرهما. دخلت من باب القاعة

حيث تقام البطولة، دون أن تشعر بأي قلق حيال المباراة التي كانت مقبلة عليها ذلك الصباح ولا تلك المرتقبة في الأيام التي تليها. لن تواجه بورغوف إلا في إحدى الجولات النهائية. كانت ستواجه أستاذاً هولندياً كبيراً خلال عشر دقائق وستلعب ضده بالقطع السوداء، بيد أنها لم تكترث لذلك.

لم تكن فرنسا معروفة في عالم الشطرنج، لكن القاعة التي يخوضون فيها مبارياتهم كانت جميلة. كانت هناك ثُريتا كريستال معلقتَين بسقف أزرق عالٍ، وكانت الزرابي الزرقاء على الأرضية كثيفة وبهية. كانت هناك ثلاث طاولات من خشب الجوز المُلمع، على كل منها زهرة قرنفل وردية في مزهرية صغيرة بجانب رقعة الشطرنج. وكانت الكراسي القديمة منجدة بمخمل أزرق يتماشى مع الأرضية والسقف. كان ذلك أشبه بمطعم فاخر، وبدا مديرو البطولة في بدلاتهم كأنذال مدربين جيداً. مرت كل الأمور بهدوء وسلاسة. لم تحُطّ طائرة بيث القادمة من نيويورك إلا في الليلة السابقة، فلم يتسنَّ لها بعد أن ترى أي شيء تقريباً في باريس، لكنها كانت مرتاحة هنا. نامت جيداً وهي على متن الطائرة، ثم نامت في الفندق مرة أخرى، فقد ظلت تتمرن لمدة خمسة أسابيع متواصلة قبل مجيئها. لم يسبق لها أن كانت في مثل هذا الاستعداد قط.

لعب الهولندي افتتاحية ريتي، فردّت عليه بالطريقة نفسها التي ردّت بها على بيني عندما لعب بالافتتاحية نفسها، لتتساوى وضعيتهما عند النقلة التاسعة. شرعت في الهجوم قبل أن يتسنى له أن يقوم بالتبييت، مضحية بالفيل في بادئ الأمر، ثم أرغمت خصمها على التخلي عن حصان وبيدقين من أجل الدفاع عن ملكه. وعند النقلة السادسة عشرة، كانت تهدِّد عدّة قطع، ومع أنها لم تستطع الإطاحة

بإحداها، إلا أن التهديد كان يفي بالغرض. وفي لحظة معينة، لم تكن بيده حيلة سوى الخضوع قليلاً للعبتها، إلى أن حاصرته في الخلف من جميع السبل، فاستسلم. كانت الفرحة تغمرها وهي تتمشى بشارع ريفولي في منتصف النهار، مستمتعة بضياء الشمس. ألقت نظرة على البلوزات والأحذية عبر زجاج أحد المتاجر، وأسعدها ذلك رغم أنها لم تشترِ شيئاً. كانت باريس مثل نيويورك نوعاً ما، لكن تفوقها من حيث التحضر. كانت الشوارع نظيفة ونوافذ المتاجر لامعة، كانت هناك مقاهٍ حقيقية على الرصيف حيث يجلس الناس ليستمتعوا بوقتهم ويتحدثوا بالفرنسية. شغلت بطولة الشطرنج بالها إلى درجة أنها لم تدرك أنها فعلاً في باريس إلا الآن! كان الشارع الذي تمشي فيه هو باريس، كانت تلك النساء اللاتي يسِرن نحوها في ألبسة جميلة نساء فرنسيات، **باريسيات**، وكانت هي نفسها ذات الثمانية عشر ربيعاً وبطلة الولايات المتحدة في لعبة الشطرنج. ولوهلة أحست بنشوة الفرح تملأ صدرها وأبطأت مِشيتها. سبقها رجلان، منهمكان في محادثة، فسمعت أحدهما يقول: «avec... deux parties seulement». كانا فرنسيَّين، وفهمت الكلمات! توقفت عن المشي ووقفت في مكانها للحظة، تتأمل العمران الرمادي الرفيع على طول الشارع والأشجار المزينة بالأضواء، وتشم الروائح الغريبة التي تفوح من هذه المدينة الآدمية. ربما، يوماً ما، ستمتلك شقة هنا في شارع راسباي أو شارع دي كابوسين. عندما تبلغ العشرينيات من عمرها، قد تكون بطلة العالم آنذاك وستعيش أينما شاءت. ربما ستمتلك منزلاً للعطلة في باريس وتذهب إلى الحفلات الموسيقية وتحضُر المسرحيات وتتناول الغداء كل يوم في مقهى جديد وتلبس كالنساء اللاتي مررن أمامها، بكل ثقة في النفس،

ذكيات في أزيائهن المُخاطة بدقة، شامخات الرؤوس، بقصات شعر تُبدينهن في غاية الجمال والرقة. فقد حظيت بيث بما لم تحظ به أية واحدة منهن، وسيمنحها ذلك حياة يحسدها عليها الجميع. كان بيني على صواب حينما شجعها على المشاركة هنا، ثم في موسكو خلال الصيف المقبل. لم يكن هناك ما يبقيها في كنتاكي بمنزلها، كان لديها ما لا يحصى من الخيارات.

ظلت تتسكع في الشوارع لساعات طوال دون أن تتوقف لشراء أي شيء. اكتفت بالنظر إلى الناس والمباني والمتاجر والمطاعم والأشجار والأزهار. وهي تعبُر شارع لا بيه، اصطدمت بسيدة عجوز فقالت «Excusez-moi, madame» بسهولة، من دون أن تعي ذلك، كما لو أنها تحدثت الفرنسية منذ نعومة أظافرها.

كان من المبرمج أن يتم استقبالها في المبنى الذي أقيمت فيه البطولة عند الساعة الرابعة والنصف، لكنها ضلّت الطريق ووجدت صعوبة في الرجوع، فوصلت وهي تلتقط أنفاسها، متأخرة بعشر دقائق. أزيحت طاولات اللعب إلى جانب من جوانب القاعة ووُضعت الكراسي بالقرب من الجدران بشكل دائري. تمت مرافقتها إلى مقعد قرب الباب وقدموا لها فنجاناً صغيراً من القهوة. مر عامل آخر بعربة تحمل أجمل حلويات رأتها بيث في حياتها. شعرت بالحزن للحظة وتمنت لو بقيت ألما ويتلي على قيد الحياة لترى تلك الحلويات أيضاً. وبينما كانت تأخذ كعكة نابليون من العربة، سمعت ضحكة عالية صادرة من الجهة الأخرى للغرفة فأرادت أن ترى من كان صاحبها. كان هناك فاسيلي بورغوف، حاملاً فنجان قهوة. كان كل من حوله يولونه اهتماماً كالعادة، يستمتعون برفقته. وكان وجهه وضّاءً بالفرحة. عندئذ، أحست بيث بمغص في بطنها.

عادت مشياً إلى الفندق حيث تقيم، ولعبت مباريات بورغوف لعشرات المرات بتركيز -وكانت تحيط بها علماً تاماً لأنها درستها مع بيني- ثم ذهبت لتنام على الساعة الحادية عشرة. لم تأخذ أية حبة ونامت نوماً هنيئاً. صار بورغوف أستاذاً دولياً كبيراً منذ إحدى عشرة سنة وبطل العالم منذ خمس سنوات، لكنها لن تلعب ضده بالدفاع فقط هذه المرة، ومهما كان الأمر فلن تُذل أمامه. وستكون لها ميزة فريدة: لن يكون مستعداً لمواجهتها كما كانت هي.

توالت انتصاراتها، فقد هزمت لاعباً فرنسياً في اليوم التالي وآخر إنجليزياً في اليوم الذي تلاه. ربح بورغوف مبارياته أيضاً. في اليوم التالي، ما قبل الأخير، لعبت ضد هولندي آخر -أكبر سناً وأكثر حنكة من الأول- ووجدت نفسها تجلس إلى الطاولة المجاورة لطاولة بورغوف. خلال بعض اللحظات، تشتت انتباهها لرؤيته عن كثب، لكنها استطاعت أن تتجاهله. كان اللاعب الهولندي خصماً شرساً، فركزت على مباراتها. بعد مرور أربع ساعات تقريباً، أنهت اللعبة مرغمة خصمها على الانسحاب، حينها فقط رفعت عينيها لترى أن قطع الشطرنج التي كانت على الطاولة المحاذية قد اختفت وأن بورغوف قد غادر.

أثناء خروجها، وقفت عند المكتب لتسأل عن الفائز بمباراة هذا الصباح. تصفح المدير أوراقه وارتسمت بسمة خفيفة على وجهه.

- إنه الأستاذ الكبير بورغوف يا آنسة.

ذاك هو ما توقعَته، ولكن أنفاسها انقطعت عندما سمعت النتيجة.

في تلك الليلة، أخذت بيث ثلاث حبات من مهدئات الأعصاب وذهبت باكراً إلى فراشها غير متأكدة أنها ستحظى بالارتخاء الكافي لتنام. إلا أنها نامت نوماً هنيئاً واستيقظت منتعشة في الثامنة صباحاً، واثقة من نفسها، متنبّهة ومستعدة.

حينما دخلت ورأته جالساً إلى الطاولة، لم يبدُ مرعباً. كان يرتدي بدلته الداكنة المعتادة، وكان شعره الخشن مصففاً بأناقة من جبهته إلى الوراء. وكالعادة، بدا وجهه وكأنه بلا ملامح، لكن لم يبدُ أنه يشكل خطراً. وقف احتراماً لها، فمدت يدها وصافحها لكن من دون أن يبتسم. ستلعب بالقطع البيضاء، وعندما جلسا على مقعديهما، ضغط على زر ساعتها.

لقد قررت سابقاً ما ستفعله. لن تكترث لنصيحة بيني وستلعب بيدق الملك إلى الصف الرابع، راجية أن يردّ بالدفاع الصقلي. فقد درست كل مباراة منشورة لعب فيها بورغوف على الطريقة الصقلية. فعلاً، أخذت البيدق ووضعته على الصف الرابع. نقل بيدق ملكه هو الآخر إلى الصف الرابع، فأثارها ذلك. كانت متأهبة له، حركت حصانها إلى مربع فيل الملك الثالث ومن ثم حرك حصانه إلى مربع فيل الملكة الثالث. وعند النقلة السادسة، كانا في وضعية بوليسلافسكي. كانت قد حفظت ثماني مباريات لبورغوف نهج فيها الخطة نفسها عن ظهر قلب، ودرست كل واحدة منها مع بيني محللة إياها بلا هوادة. بدأ خطته بنقل بيدق إلى مربع الملك الرابع في النقلة السادسة، بينما لعبت هي الحصان إلى مربع الحصان الثالث واثقة أنها على صواب، ثم نظرت إليه من خلف الرقعة. كان يضع خده على قبضته، محدقاً في الرقعة كما يفعل أي لاعب شطرنج آخر. كان

بورغوف قوياً، ماكراً، لا يُهز. لكن لعبه ليس بسحرٍ. وضع فيله على مربع الملك الثاني من دون أن ينظر إليها، فقامت بالتبييت وفعل الأمر ذاته. نظرت من حولها إلى القاعة المضيئة والمزينة بالأثاث الرفيع حيث تجرى مباراتها ومباراتان أخريان في هدوء.

عند النقلة الخامسة عشرة، بدأت ترى وجود احتمالات على الجهتين، وعند النقلة العشرين، كانت مندهشة من صفاء ذهنها. كان عقلها يعمل بسلاسة ويسر، يحسن اختيار النقلات من بين الاحتمالات المتعددة. شرعت في الضغط على نظيرها على قطر فيل ملكته، مهدِّدة بهجوم مزدوج. تجنّب ذلك فقامت هي بتعزيز بيادقها في المركز. بدأ يتضح موقفها أكثر فأكثر وتزايدت فرصها للهجوم، بيد أن بورغوف كان يتجنّب هجومها في الوقت المناسب. كانت تعلم أنه كان من الممكن أن يحدث ذلك لكنه لم يثبط عزيمتها. وجدت قدرة هائلة في الحصول على نقلات مهددة وقوية. لم يسبق لها أن لعبت أفضل من ذلك قط. كانت لتجبره على تسوية وضعيته بسلسلة من التهديدات ثم تباغته بتهديدات أكبر، مزدوجة وثلاثية، لا مفر له منها. لقد أعاقت فيل ملكته بنقلات أجبرته على القيام بها، وعلِقت ملكته في الأسفل مدافعة عن القلعة. كانت قطعها تتحرر أكثر مع كل حركة وبدا وكأن لها قدرة لامحدودة على الإفلات من التهديدات.

نظرت من حولها من جديد، وتفاجأت حينما اكتشفت أن المباريات الأخرى قد انتهت. نظرت إلى ساعتها. تعدت الساعة الواحدة آنذاك، فقد لعبا لأكثر من ثلاث ساعات. ركزت بيث على الرقعة مجدداً ودرستها لبضع دقائق ثم نقلت الملكة إلى المركز، فحان الوقت لوضع المزيد من الضغط. ونظرت إلى بورغوف من الجهة الأخرى للطاولة.

كان هادئاً كالعادة. لم تلتق أعينهما، فكان يدرس حركات ملكتها، ثم هزّ كتفيه قليلاً وذهب يهاجم الملكة بالقلعة. كانت تعرف أنه سيقوم بذلك فأعدت له الرد سلفاً. حركت حصاناً لتهدد قلعته. سيتوجب عليه الآن نقل الملك لتنقل هي الملكة إلى عمود القلعة. كان باستطاعتها أن ترى ست سبل تهديد من ذلك الموضع، وهي تهديدات أكثر خطورة من التي قامت بها قبل ذلك.

تحرك بورغوف على الفور ولم يغير موضع الملك، بل اكتفى بنقل بيدق القلعة. استغرقت بيث خمس دقائق وهي تدرس هذه النقلة لتستشف ما الذي كان يضمره. فإن حاولت محاصرة الملك، فسيسمح لها بأخذ قلعته ومن ثم يضع فيله أمام البيدق الذي حركه آنفاً، وهكذا ستكون مضطرة إلى نقل ملكتها. حبست بيث أنفاسها بعدما أحست بالخطر. ستسقط قلعتها في العمود الخلفي ومعها بيدقان. ستكون هذه كارثة. لم يكن أمامها خيار سوى إرجاع ملكتها إلى موضع يخول لها الهروب. صرَّت على أسنانها ثم نقلتها.

ومع ذلك، أخرج بورغوف فيله من دائرة الخطر إلى حيث يحظى بحماية البيدق. حدّقت في الفيل لوهلة إلى أن تبادر إلى ذهنها معنى ذلك فجأة. مهما كانت النقلة التي ستقوم بها من أجل إزاحة فيله، ستكلفها قطعة ما بالمقابل. وإذا ما تركته في موضعه، فسيعزز ذلك موقفه من جميع النواحي. تبادلا نظرة فلمحت على وجهه ملامح ابتسامة، ثم أعادت بصرها مجدداً إلى الرقعة بسرعة.

حاولت أن ترد الهجوم مستعينة بأحد فيلَيها، بيد أن بورغوف شل حركته بذاك البيدق الذي نقله على القطر. لعبت وما زالت تلعب جيداً إلى حد الآن، إلا أنه كان يتفوق عليها. سيتحتم عليها أن تضغط عليه بقوة أكبر.

وبالفعل، ضغطت عليه أكثر ووجدت نقلات ممتازة، لكن ذلك لم يفِ بالغرض. جفّ حلقها مع النقلة الخامسة والثلاثين، وما رأته أمامها على الرقعة كان اضطراب موقفها ونمو قوة بورغوف. هذا مستحيل، لقد قدمت أفضل ما عندها في هذه الجولة، ومع ذلك، كان بورغوف يوشك على هزيمتها. وفي النقلة الثامنة والثلاثين، نقل قلعته إلى الأمام على صفها الثاني مهدداً ملكها لأول مرة. كانت تستطيع أن ترى بوضوح كيفية التخلص من ذلك، إلا أنه يشكل عليها خطراً من الخلف أكثر فأكثر، باحتمالات تجعله يحاصر الملك أو يطيح بالملكة أو يقوم بترقية بيدق ويحصل على ملكة ثانية. أحست بالتعب، ولوهلة تملّكها الدوار لمجرد النظر إلى الرقعة، إلى قلة حيلتها الجلية بتلك الوضعية.

لم تحرك بيث ملكها. وقفت وهي تنظر إلى وجهه الخالي من المشاعر وقالت: «أنا أنسحب»، فهز بورغوف رأسه رداً عليها. استدارت وسارت خارج الغرفة وهي تحس بالمرض جسدياً.

كانت الطائرة إلى نيويورك بمثابة مصيدة. كانت تجلس في مقعدها المطل على السحاب. لم تستطع نسيان ما جرى بالمباراة، ولم تستطع أن توقف اللعب في ذهنها. قدمت لها المضيفة شراباً عدة مرات، لكنها أجبرت نفسها على الرفض بالرغم أنها كانت ترغب شراباً بشكل مُريب. أخذت بعض الحبات المهدئة، لكن المغص لم يفارق بطنها. لم تقم بأي خطأ، بل لعبت بطريقة في غاية الروعة. وفي آخر المطاف، كان موقفها فوضوياً، وكان الأمر بالنسبة إلى بورغوف هيناً.

لم تود رؤية بيني. كان من المفترض أن تتصل به لكي يأخذها

من المطار، لكنها لم ترغب في العودة إلى شقته. مضت ثمانية أسابيع على مغادرتها منزلها في لكسينغتون؛ ستذهب إلى هناك وتعض على جراحها لبعض الوقت. لم تتوقع أن تحصل على مبلغ كبير كهذا لرتبتها الثالثة في بطولة باريس، سيمكنها بالقيام برحلة سريعة إلى لكسينغتون. وما زالت هناك وثائق عليها أن توقّعها بمعية المحامي. ستبقى هناك لمدة أسبوع ومن ثم تعود لتكمل دراستها مع بيني. ولكن ما الإضافة التي ستتعلمها منه؟ ولوهلة تذكرت كل ذلك الجهد الذي بذلته في استعدادها لبطولة باريس، فشعرت بالاشمئزاز مجدداً. تخلصت من أفكارها هذه بعناء. الأهم الآن هو أن تستعد لبطولة موسكو، فما زال هناك متسع من الوقت.

اتصلت ببيني من مطار كينيدي وأخبرته أنها خسرت مباراتها النهائية، وأن بورغوف لعب أفضل منها. أظهر بيني تعاطفه ولكن ببرودة، وانزعج حينما علم أنها ستذهب إلى كنتاكي.

- لا تنسحبي، قال بيني، فخسارة مباراة لا تعني أي شيء.

ردت قائلة:

- لن أنسحب.

وجدت كومة من الرسائل في انتظارها بالمنزل، ومن بينها رسائل مايكل شينو، المحامي المكلف بشأن المنزل. كان من الظاهر أن هناك خطباً ما. لم تحُز شهادة ملكية أو شيئاً من هذا القبيل حيازة تامة. كان ألستون ويتلي يعقد الأمور. ومن دون أن تفتح باقي الرسائل، أخذت الهاتف واتصلت بمكتب شينو.

أول ما قاله عندما كان على الخط:

- حاولت الاتصال بكِ ثلاث مرات البارحة. أين كنتِ؟

ردّت:

- في باريس، ألعب الشطرنج.

- لا بدّ أنها كانت تجربة رائعة. توقف للحظة ثم أضاف: إنه ويتلي. لا يريد أن يوقّع.

- على ماذا؟

- على شهادة الملكية، قال شينو. أتستطيعين القدوم إلى هنا؟ علينا أن نحل هذه المسألة.

- لا أرى في ماذا ستحتاج إليّ، أجابت بيث. أنت المحامي، وقد أخبرني ويتلي أنه سيوقّع على كل ما هو مطلوب.

- غيّر رأيه، لربما تستطيعين التحدث إليه.

- أهو هناك؟

- ليس في المكتب، لكنه هنا في المدينة. ربما إن نظرت في عينيه وذكّرته أنك ابنته القانونية...

- ولمَ لا يريد التوقيع؟

قال المحامي:

- من أجل المال. يود بيع المنزل.

- أتستطيعان المجيء إلى هنا غداً؟

رد المحامي:

- سأرى حيال ذلك.

أنهت المكالمة وتأملت غرفة المعيشة. ما زال البيت في ملك ويتلي. كانت هذه صدمة. قلّما رأته في البيت ومع ذلك، يظل مِلكه في الحقيقة، وأبَت أن يكون كذلك.

وبالرغم من حرارة شهر يوليو، كان ألسون ويتلي يرتدي بدلة رمادية داكنة - بدلة بمزيج من الأبيض والأسود. جلس على الأريكة

ورفع سرواله إلى أن ظهرت بشرة ساقيه فوق جواربه الكستنائية. عاش في هذا البيت لمدة ستة عشر عاماً، لكنه لم يكترث لأي شيء فيه. دخل منزله كغريب. ولم تعرف بيث ما إذا كان ما يبدو على وجهه غضباً أم أسفاً. جلس على أحد مساند الأريكة ثم سحب سرواله قليلاً إلى الأعلى وظل صامتاً.

شيء ما بخصوصه أثار اشمئزاز بيث. بدا كأول مرة رأته فيها حينما أتى برفقة السيدة ويتلي إلى مكتب ديردورف لتبنّيها.

- بيث، يود السيد ويتلي أن يقدم لك اقتراحاً، قال المحامي.

نظرت إلى وجه ويتلي الذي أبعد نظره عنهما قليلاً. «بإمكانك العيش هنا حتى تجدي مكاناً لتستقري به». وتساءلت لم لا يقول ويتلي هذا بنفسه؟

ارتبكت من خجل هذا الأخير، وكأنها هي مَن يشعر بالخجل. قالت:

- ظننت أنني أستطيع الاحتفاظ بالبيت إذا استمررتُ في دفع الأقساط.

- يقول السيد ويتلي إنك أسأت فهمه.

لماذا يتكلم محاميها هي نيابة عنه؟ ألا يستطيع أن يُحضر محاميه الخاص؟ حدقت فيه وهو يشعل سيجارة، وما زال رأسه مطأطأً لتفادي رؤيتها، وكانت تبدو على وجهه ملامح الأسى.

- يدعي أنه سمح لك بالبقاء في منزله فقط إلى أن تستقري في مكان آخر.

- هذا ليس صحيحاً، قالت بيث. قال إنني أستطيع الاحتفاظ به... وفجأة، شيء ما حركها بقوة فاستدارت نحو ويتلي وقالت: أنا **ابنتك**. أنت مَن تبنّيتني. لم لا تتحدث إليّ؟

بدا كأرنب مندهش وقال:
- ألما... ألما مَن أرادت طفلاً...
- أنت وقّعت على الأوراق، قالت بيث. أخذت مسؤوليتي على عاتقك. ألا تستطيع النظر إليّ حتى؟
وقف ألستون وسار في الغرفة نحو النافذة. استدار واستجمع قواه بطريقة أو أخرى ثم بدا غاضباً.
- كانت ألما من رغبت في تبنّيك، وليس أنا، فلن تحصلي على كل شيء من ممتلكاتي فقط لأنني وقّعت على بعض الأوراق اللعينة حتى أرتاح من إزعاج ألما. واستدار ثانية لجهة النافذة ثم قال: لا تسير الأمور على هذا النحو.
قالت بيث:
- بل أنت مَن تبنّيتني، ولم أطلب منك فعل ذلك. أحست باختناق في حنجرتها ثم أضافت: قانونياً، أنت أبي.
تفاجأت لما استدار ورأت ملامح وجهه قد تغيرت.
- كل ما يوجد في هذا المنزل هو لي، ولن تأخذه مني يتيمة حذقة لعينة.
ردت قائلة:
- أنا لست يتيمة، أنا ابنتك.
- لست كذلك على دفتر العائلة الخاص بي. لا أكترث لما يقوله محاميك اللعين ولا أكترث لما قالته ألما. لم تكن تلك المرأة قادرة على إبقاء فمها مغلقاً.
عمّ الصمت لوهلة ثم سأل شينو أخيراً بهدوء:
- سيد ويتلي، ما الذي تريد من بيث أن تفعله؟
- أريدها أن تخرج من هنا. سأبيع المنزل.

نظرت بيث إليه للحظة ثم تكلمت:

- فلتبعه لي إذاً.

- ما الذي تتحدثين عنه؟ قال ويتلي.

- سأشتريه. سأدفع لك ثمنه.

- أصبحت قيمته أكبر الآن.

- بِكَم؟

- سيتطلب ذلك سبعة ألف دولار.

كانت تعلم أن قيمة المنزل لا تتعدى خمسة ألف دولار، لكنها أردفت:

- حسناً.

- ألديك هذا القدر؟

- أجل، لكني سأطرح تكاليف دفن أمي. سأريك الإيصالات.

تنهد ألسون ويتلي وكأنه استشهد ثم قال:

- بإمكانكما تحضير الوثائق، سأعود أنا إلى الفندق. توجه نحو الباب وقال: الجو حار هنا.

فردّت عليه بيث:

- ولِمَ لَم تنزع معطفك إذاً؟

بقي لها في البنك ألفا دولار فقط. أزعجها أن يكون بحوزتها القليل، لكن الأمر كان على ما يرام. وجدت في البريد دعوتين للعب ببطولتين قويتين، مع جائزة مالية جيدة. ألف وخمسمئة في إحداهما وألفان في الأخرى. ثم كان هنالك الظرف الثقيل من روسيا، الذي دعاها إلى موسكو في يوليو.

بعد عودتها مرفقة بنسخة من الأوراق الموقعة طافت حول غرفة

المعيشة عدة مرات، ممررة يدها بلطف فوق قطع الأثاث. لم يقل ويتلي شيئاً بخصوص الأثاث، لكنه أصبح ملكها. لقد سألت المحامي. لم يكلف ويتلي نفسه عناء القدوم، فذهب إليه شينو بالأوراق إلى فندق فينكس لكي يوقّعها، بينما قرأت بيث مجلة **ناشيونال جيوغرافيك** وهي تنتظر في المكتب. أصبح للمنزل طعم آخر وقد أصبح ملكها. أرادت اقتناء قطع جديدة - كنبة منخفضة جيدة وأريكتان عصريتان من الحجم الصغير. استطاعت أن تصورها في مخيلتها، بفرش في اللون الأزرق الباهت وأشرطة زرقاء أيضاً لكن داكنة. ليس اللون الأزرق الخاص بالسيدة ويتلي، بل أزرق خاص بها. «أزرق بيث». رغبت في إضافة أشياء أكثر إشراقاً وبهجة في غرفة المعيشة. أرادت أن تمحو حضور السيدة ويتلي الشبه حقيقي في المكان. أرادت شراء سجادة زاهية للأرضية ورؤية النوافذ مغسولة. رغبت في اقتناء جهاز ستيريو وبعض الأسطوانات، غطاء جديد للسرير وكذلك مخدات من أجل السرير في الأعلى من متجر بورسيل. كانت السيدة ويتلي أماً صالحة؛ لم تكن تنوي الرحيل وتركها.

نامت بيث جيداً لكنها استيقظت غاضبة. لبست رداءها واتجهت نحو الأسفل منتعلة خفَّين -خفَّي السيدة ويتلي- لتجد نفسها تفكر باستياء في السبعة آلاف دولار التي دفعتها لألستون ويتلي. لقد أحبت أموالها؛ كانت تجد والسيدة ويتلي متعة بالغة في جمعها من بطولة إلى أخرى، ورؤية الفوائد المصرفية تتراكم. لطالما فتحتا كشوف حساب بيث المصرفي معاً، لتريا نسبة الفائدة الجديدة التي تمت إضافتها إلى الحساب. كان ما واسى بيث بعد وفاة السيدة

ويتلي هو كونها تستطيع العيش في المنزل، وشراء أغراضها من السوبرماركت والذهاب إلى السينما وقتما أرادت دون أن تشعر بنقص في المال أو بحاجتها إلى التفكير في الحصول على عمل أو ارتياد الجامعة أو العثور على بطولات لتفوز بها.

أحضرت معها ثلاثة من كتيبات بيني عن الشطرنج من نيويورك؛ وبينما كان البيض يغلي، قامت بإعداد رقعتها على طاولة المطبخ وأخرجت كتيباً يحتوي على مباريات من بطولة موسكو المغلقة الأخيرة. طُبعت الكتيبات الروسية على ورق فاخر، وبكتابة جيدة وواضحة. لم تبرع بيث في اللغة الروسية من الحصص المسائية بالجامعة، لكنها استطاعت قراءة الأسماء والملاحظات بسهولة. رغم ذلك كانت الأحرف السيريلية مزعجة. أغضبها كون الحكومة السوفياتية تستثمر أموالاً طائلة في الشطرنج، بل إنها تعتمد أحرفاً غير تلك التي تعرف. بعد أن جهز البيض، قامت بتقشيره في وعاء مع الزبدة، ثم بدأت مباراة بين بتروسيان وتال. دفاع غرونفلد. التفريعة النصف سلافية. وصلت إلى الوضعية التي يصير فيها حصان الملك الأسود بمربع الملكة الثاني في النقلة الثامنة، لكنها أحست بالضجر. قامت بتحريك القطع بسرعة بالغة لا تسمح لها بالتحليل، ولم توقف نفسها كما كان بيني ليجعلها تفعل لكي تتبع كل ما كان يحصل. أنهت آخر ملعقة من البيض وخرجت إلى الحديقة عبر الباب الخلفي.

كان صباحاً حاراً. نما العشب في الفناء أكثر من اللازم، وكاد يغطي الممر الطوبي الصغير الذي يؤدي إلى حيث تنتصب ورود الشاي الرثة. عادت إلى الداخل ولعبت القلعة البيضاء إلى مربع الملكة الأول، ثم حدّقت في الرقعة. لم تكن ترغب في دراسة

الشطرنج. كان الأمر مرعباً: كان ينتظرها كمٌّ هائل من الدراسة حتى تتجنب أي إهانة في موسكو. تجاهلت خوفها وصعدت إلى الطابق العلوي لتأخذ حماماً. بينما كانت تجفف شعرها ارتأت بنوع من الارتياح أنه يحتاج إلى تصفيف. سيكون ذلك أمراً تقوم به اليوم. بعد ذلك بإمكانها المرور بمتجر بورسيل والنظر إلى الأرائك من أجل غرفة المعيشة. لكنه لن يكون من الصائب شراء واحدة - ليس قبل أن تحصل على مزيد من المال. وكيف لعشب الحديقة أن يُجز؟ اعتاد فتى أن يفعل ذلك من أجل السيدة ويتلي، لكنها لا تعرف رقم هاتفه أو عنوانه.

كانت بحاجة إلى تنظيف المكان. ملأت خيوط العنكبوت والملاءات والمخدات غير المرتبة المكان. بإمكانها استعمال أخرى جديدة. وملابس جديدة كذلك. ترك هاري بلتيك موسى حلاقته في الحمام؛ هل يجب عليها إرسالها بالبريد؟ أصبح الحليب حامضاً والزبدة قديمة. ملأت البلورات الثلجية المجمد، حيث علقت كومة من وجبات الدجاج المجمد في الخلف. غطى الغبار السجادة بغرفة النوم، كما طبعت البصمات النوافذ وتواجدت الحصى على عتباتها.

تخلصت بيث من الارتباك الذي أصابها وأخذت موعداً في الساعة الثانية مع روبيرتا لتقص شعرها. سوف تسأل أين يمكن أن تجد عاملة نظافة لبضعة أسابيع. ستذهب لطلب بعض الكتب في مكتبة موريس، ومن ثم تتناول الغداء عند توبي.

لم يكن بائعها المعتاد موجوداً في مكتبة موريس ذاك اليوم، ولم تفقه بديلته شيئاً بخصوص طلب كتب الشطرنج. تمكنت بيث من جعلها تأتي بكتالوغ ثم طلبت ثلاثة كتب عن الدفاع الصقلي. كانت بحاجة إلى كتب عن مباريات الأساتذة الكبار ومجلات مخبر

الشطرنج. لكنها لم تكن تعرف أي مطبعة يوغوسلافية قامت بنشرها، ولا البائعة الجديدة كانت تعرف ذلك هي الأخرى. كان الأمر مثيراً للغضب. كانت في حاجة إلى مكتبة جيدة كمكتبة بيني. بل أفضل. وهي تفكر في الأمر، أدركت في الأخير بغضب أن بإمكانها العودة إلى نيويورك ونسيان كل هذه الحيرة، وأن تواصل مع بيني من حيث توقفت. لكن ماذا بمقدور بيني أن يعلّمها الآن؟ ماذا بمقدور أي أميركي أن يعلّمها؟ لقد تفوقت عليهم جميعاً. كانت وحدها. سيتعين عليها سد الفجوة التي تفصل الشطرنج الأميركي عن نظيره الروسي بنفسها.

تعرّف عليها رئيس النُّدُل في مطعم توبي فأجلسها إلى طاولة جيدة قرب مقدّمة الصالة. طلبت سلطة هليون كمقبّل، وأخبرت النادل أنها تريده قبل طلب الطبق الرئيسي. «هل ترغبين في كوكتيل؟»، سألها بسرور. نظرت حولها إلى المطعم الهادئ، إلى الناس وهم يتناولون غداءهم، وإلى مائدة التحلية قرب الحبل المخملي في مدخل قاعة الطعام. «جيبسون»، قالت. «مع مكعبات ثلج».

تم إحضاره على الفور. كان من الرائع النظر إليه. كان القدح نظيفاً وشفافاً؛ الجين بداخله بلوري؛ وكانت البصلتان البيضاوان كلؤلؤتين. لدغ عقب تذوقه شفتها العليا، ثم حنجرتها، مسبباً إزعاجاً حلواً مع نزوله. كان تأثيره على معدتها المنقبضة ملحوظاً؛ أنهته على مهل، فبدأ الحنق العميق في داخلها يخمد. طلبت واحداً آخر. كان شخص ما في الظل في نهاية الصالة يعزف على البيانو. نظرت بيث إلى ساعتها. كانت الثانية عشرة إلا ربعاً. كان من الجميل أن يكون المرء حياً.

لم تقم أبداً بطلب طبق رئيسي. غادرت مطعم توبي في الساعة الثانية، محدّقة في أشعة الشمس، ثم قطعت شارع مين واقتحمت متجر ديفيد مانلي للنبيذ. اشترت باستعمال شيكّين سياحيين بحوزتها صندوقاً من بورغوندي بول ماسون، أربع زجاجات من جين غوردون، وزجاجة من نبيذ مارتيني أند روسّي، وجعلت السيد مانلي يطلب لها سيارة أجرة. كان كلامها واضحاً وحاداً؛ وكانت خطاها ثابتة. كانت قد تناولت ست سيقان هليون واحتست أربعة كؤوس جيبسون، وقد غازلت الكحول لسنوات. لقد حان الوقت لإتمام العلاقة.

كان الهاتف يرن عندما دخلت، لكنها لم تردّ. ساعدها السائق في حمل الصندوق فأعطته دولاراً كبقشيش. بعد رحيله، قامت بإخراج الزجاجات في آن واحد ورتّبتها داخل الخزانة بجانب المحمصة، وأمام علب السباغيتي والشيلي القديمة الخاصة بالسيدة ويتلي. قامت بعد ذلك بفتح زجاجة جين وفتحت سدادة النبيذ الأحمر. لم تعدّ كوكتيلاً من قبل. سكبت الجين في القدح ثم أضافت قليلاً من النبيذ ومزجتهما بملعقة من ملاعق السيدة ويتلي. حملت الشراب بحذر إلى غرفة المعيشة، جلست وأخذت رشفة طويلة.

كانت تحس كل صباح بإحساس فظيع، ولكنها استطاعت التعامل مع الوضع. ذهبت إلى متجر كروغر في اليوم الثالث واشترت ثلاث علب صغيرة من البيض وبعض الوجبات المجمدة. بعدها كانت دائماً ما تتناول بيضتين قبل أول كأس نبيذ. وعند حلول منتصف النهار تكون قد غفت. كانت تستيقظ على الأريكة أو كرسي

ما وأطرافها متصلبة ومؤخرة رقبتها مبللة بعرقها الساخن. في بعض الأحيان، ورأسها يترنح، كانت تحس في أعماق معدتها بتوتر أشبه بألم فقأ دمل في الفك -وجع أسنان شديد الألم لدرجة أن شراباً كحولياً هو الوحيد القادر على التخفيف من وطأته. أحياناً كان يجب أن ترغم نفسها على شربه، رغماً عن امتناع جسدها. كانت تبتلعه وتنتظر أن يزول الألم تدريجياً.

في صباح يوم السبت، سكبت النبيذ بالخطأ على رقعة الشطرنج في مطبخها، وفي يوم الاثنين ارتطمت بالطاولة وأوقعت بعض القطع على الأرض. تركتها هناك ولم تلتقطها من الأرض إلا عند حلول يوم الخميس، عندما جاء الفتى أخيراً ليجز العشب. استلقت على الأريكة لتشرب من آخر زجاجة نبيذ وهي تستمع لهدير جزازة العشب، ورائحة العشب المقطوع حديثاً تعم الأرجاء. بعد أن دفعت له أجرته، خرجت إلى رائحة العشب ونظرت إلى المرجة الخضراء. أثّر فيها ما رأته من تغيير حالة المرجة السابقة. عادت إلى الداخل، أخذت محفظتها واتصلت بسيارة أجرة. لم يكن القانون يسمح بتوصيل المشروبات الكحولية. سيتوجب عليها أن تذهب وتشتري صندوقاً جديداً بنفسها. الخيار الحكيم هو أن تشتري صندوقين. ستجرب نبيذ ألمادن. قال أحدهم إن بورغوندي ألمادن أفضل من بول ماسون. ستجربه. قد تضيف بضع زجاجات النبيذ الأبيض كذلك. كما أنها تحتاج إلى الطعام.

جاءت وجبات الغداء في علب. يصبح طعم يخنة اللحم بالفلفل الحار لذيذاً إذا أضفت إليه بعض البهار وتناولته مع كأس نبيذ بورغوندي. كان ألمادن أفضل من بول ماسون، لاذعاً بشكل أقل على اللسان. إلا أن شراب جيبسون كان قوياً للغاية، وبدأت تأخذ

حذرها منه، تتركه كشراب أخير قبل أن يغمى عليها أو، أحياناً، كشرابها الأول في الصباح. بحلول الأسبوع الثالث، كانت تأخذ كأس جيبسون معها إلى الفراش، هذا إذا استطاعت الصعود إلى الطابق العلوي. كانت تضعه على المنضدة وتغطيه بمجلة **مخبر الشطرنج** لتمنع الكحول من التبخر، وكانت تشربه فور استيقاظها في منتصف الليل، أو في الصباح قبل نزولها إلى الطابق السفلي.

أحياناً كان الهاتف يرن، لكنها لم تكن تجيب إلا عندما كان ذهنها وصوتها صافيين. لطالما تحدثت بصوت مرتفع لتتفقد مدى صحوتها من السُّكر قبل رفع السماعة. كانت تردد جملاً من قبيل «جدار دار طين دارنا أكبر من جدار دار طين جارنا»، وإن نطقتها سليمة أجابت على الهاتف. اتصلت سيدة من نيويورك تريد استقبالها في برنامج مسائي شهير. لكنها رفضت.

لم تتفقد كومة المجلات التي وصلت بينما كانت في نيويورك حتى أسبوعها الثالث من الشرب، حين وجدت مجلة **نيوزويك** التي أرفقت صورتها. خصّصوا لها صفحة كاملة في فصل «الرياضة». التُقطت الصورة عندما واجهت بيني، وتذكرت لحظة التقاطها، خلال افتتاحية المباراة. كانت وضعية القطع في لوحة العرض واضحة في الصورة، وتأكدت من أن ما تذكرته كان صائباً: التُقطت الصورة بعد نقلتها الرابعة. بدا بيني مستغرقاً في التفكير وعازلاً نفسه، كعادته. ذكر المقال أنها المرأة الأكثر موهبة منذ فيرا مينتشيك. شعرت بيث بالضيق، وهي نصف ثملة، للمساحة التي أخذها المقال بالحديث عن مينتشيك، ذاكراً وفاتها في انفجار لندن سنة 1944 قبل الإشارة إلى أن بيث كانت أفضل منها. وما علاقة كونهما امرأتين بالموضوع؟ لقد كانت أفضل من أي لاعب ذكر في أميركا. تذكرت

الصحفية من مجلة **لايف** والأسئلة المتعلقة بكونها امرأة في عالم الرجال. اللعنة عليها، لن يبقى هذا العالم مخصصاً للرجال عندما تنتهي منه. كانت ساعة الظهيرة، وضعت مقلاة من المعكرونة المعلبة على النار ثم أكملت قراءة المقال. كانت آخر فقرة هي الأقوى:

> في سن الثامنة عشرة، تربعت بيث هارمون على عرش الشطرنج الأميركي. قد تكون أكثر اللاعبين موهبة منذ مورفي أو كابابلانكا؛ لا أحد يعلم مدى موهبتها - مدى روعة الإمكانية التي تحملها داخل جسد الفتاة ذاك بعقلها الباهر. ولكي نكتشف ذلك، لكي نُري العالم ما إذا كانت أميركا قد تجاوزت مركزها المتدني في عالم الشطرنج، سيتوجب عليها أن تذهب إلى حيث يوجد الرجال الكبار. سيتوجب عليها أن تذهب إلى الاتحاد السوفياتي.

أغلقت بيث المجلة وسكبت كأساً من نبيذ ألمادن لتتناوله مع المعكرونة. كانت الساعة الثالثة بعد الزوال وكان الجو شديد الحرارة. وكان مخزون النبيذ يوشك على النفاد؛ تبقت زجاجتان فقط على الرف فوق المحمصة.

بعد مرور أسبوع على قراءتها لمقال مجلة **نيوزويك**، استيقظت في صباح يوم خميس غير قادرة على النهوض من فراشها من شدة مرضها. حاولت الجلوس، لكن لم تجد لذلك سبيلاً. شعرت بألم نابض في رأسها ومعدتها. كانت لا تزال مرتدية سروال الجينز والتي-شيرت من الليلة السابقة، وقد أشعراها بالاختناق. بيد أنها لم تقدر على خلعهما. علق التي-شيرت بالجزء العلوي من جسدها،

وقواها الخائرة لا تساعدها على سحبه نحو الأعلى. كان هناك كأس جيبسون على المنضدة. نجحت في أن تدحرج نفسها وتمسكه بكلتا اليدين، وشربت نصفه قبل أن تحاول التقيؤ. للحظة ظنت أنها تختنق، إلا أنها استرجعت أنفاسها أخيراً وأكملت الشراب.

شعرت بذعر شديد. كانت وحدها في تلك الغرفة الشبيهة بالفرن وخائفة من أن تموت هناك. هل تسمّمت من كثرة النبيذ؟ حاولت الجلوس من جديد، وبمساعدة النبيذ القوي داخلها نجحت في ذلك. جلست هناك لبضع دقائق محاولة أن تهدئ من روعها ثم ذهبت مترنحة إلى الحمام حيث أفرغت ما كان في أحشائها. بدا ذلك أنه طهرها. نجحت في أن تخلع عنها ثيابها، وبخوف يعتريها من أن تنزلق في الحمام وتكسر حوضها كما تفعل النساء المسنات غير الثابتات، أطلقت ماء دافئاً ليملأ حوض الاستحمام وأخذت حماماً. يجب أن تتصل بماك أندروز، الطبيب السابق للسيدة ويتلي، وتأخذ موعداً في وقت ما في الظهيرة. في حال استطاعت الوصول إلى مكتبه. كان هذا أسوأ من مخلفات الثمالة، لقد كانت مريضة.

إلا أنها في الأسفل، وبعد أن أخذت حمامها، صارت أكثر رزانة واستطاعت تناول بيضتين من دون عناء. وبدت فكرة رفع سماعة الهاتف والاتصال بشخص ما بعيدة الآن. كان هناك حاجز بينها وبين ذاك العالم الذي سيربطها به الهاتف؛ ولم تتمكن من اختراق ذلك الحاجز. ستكون على ما يرام. ستقلل من الشرب، تدريجياً. قد تستطيع الاتصال بماك أندروز بعد احتساء كأس شراب. صبّت لنفسها كأساً من نبيذ شابلي وشرعت في ارتشافه. أشعرها ذلك بتحسن شديد كما لو أنها شربت شيئاً من دواء سحري.

في اليوم التالي، حينما كانت تتناول فطورها، رن الهاتف فحملته من دون تفكير. شخص ما يدعى إد سبنسر كان على الطرف الآخر من الخط؛ استغرقها الأمر بعض الوقت لتتذكر أنه كان مدير البطولة المحلية.

- الأمر بخصوص يوم غد، قال.
- يوم غد؟
- البطولة. نتساءل ما إذا كان بإمكانك القدوم أبكر بساعة. صحيفة لويسفيل سترسل أحد مصوّريها. أيمكنك القدوم على الساعة التاسعة؟

أحست بقلبها يهوي داخل صدرها. كان يتحدث عن بطولة ولاية كنتاكي، وقد نسيتها تماماً. كان من المفترض بها أن تدافع عن لقبها. كان يجب عليها الذهاب إلى ثانوية هنري كلاي صباح الغد لتشرع ببطولة تمتد ليومين كبطلة الدورة الماضية. كانت العروق برأسها تنبض بحرارة وكانت يدها التي تمسك القهوة غير ثابتة.

- لا أدري، قالت. أيمكنك معاودة الاتصال بعد ساعة؟
- طبعاً، آنسة هارمون.
- شكراً لك. سأخبرك في غضون ساعة.

أحست بالرعب يتسلل إلى دواخلها، ولم ترغب في لعب الشطرنج. لم تكن قد نظرت إلى كتاب عن الشطرنج أو لمست أي قطعة منذ شرائها المنزل من ألستون ويتلي. لم تكن ترغب في التفكير في الشطرنج حتى. كانت قنينة الليلة الماضية ما تزال راقدة بجوار محمصة الخبز، على المنضدة. صبّت نصف كأس، وعندما شربته، لسع فمها، وكان المذاق مريعاً. أفرغت الكأس التي لم تستطع إنهائها في حوض المغسلة، ثم أخذت عصير برتقال من الثلاجة. إذا

لم تقم بتصفية ذهنها وتشارك بالبطولة، فستكون أكثر سُكراً ومرضاً يوم غد. أنهت عصيرها، وصعدت إلى الطابق العلوي، وهي تفكر في كل ذاك النبيذ الذي شربته، تتذكر انهماره في قعر معدتها. شعرت بأنها أخطأت في حق دواخلها وأساءت معاملتها. كانت بحاجة إلى دش ساخن وملابس نظيفة.

ستكون مضيعة للوقت. بلتيك لن يكون هناك، وليس هناك أي شخص آخر بمثل كفاءته. لم تكن كنتاكي ذات شأن في الشطرنج. متجردة من ملابسها تماماً بالحمام، شرعت تراجع تفريع ليفينفيش للدفاع الصقلي، تضيّق عينيها وتتصوّر القطع على رقعة لعب خيالية. قامت بالنقلات العشر الأولى من دون خطأ، رغم أن القطع لم تكن تظهر بالوضوح ذاته الذي كانت عليه السنة الماضية. ترددت بعد النقلة الثامنة عشرة، حين لعب الأسود البيدق إلى مربع الحصان الرابع وحصل على وضعية متعادلة. سميسلوف ضد بوتفينيك، 1958. حاولت أن تلعب بقية المباراة، لكن رأسها بدأ يؤلمها، وبعد أن توقفت لأخذ حبتَي أسبيرين، ما عادت متأكدة أين يجب أن تكون البيادق. لكنها قامت بالنقلات الثماني عشرة الأولى بشكل صحيح. ستبقى متيقظة هذا اليوم وتلعب غداً. حين ربحت بطولة الولاية للمرة الثانية قبل سنتين، كان الأمر بسيطاً. بعدها هي، وربما هاري، لم يكن هناك أي لاعب آخر قوي في كنتاكي. غولدمان وسايزمور لم يكونا يشكلان أية عقبة.

حين رن الهاتف مجدداً، أخبرت إد سبنسر أنها ستكون هناك في تمام التاسعة والنصف. نصف ساعة ستكون أكثر من كافية لالتقاط الصور.

بمكان ما في عقلها، كانت تأمل أن يظهر تاونز حاملاً الكاميرا، لكن، لم يبدُ له أثر. لم يظهر الشخص الذي أرسلته لويسفيل هو الآخر. تموضعت أمام الرقعة رقم واحد أمام مصورة تمثل جريدة **هيرالد-ليدر**، قامت بحوار امتد لثلاث دقائق مع رجل من قناة تلفزية محلية، ثم استأذنت لتقوم بجولة قصيرة، وتمشّت بالحي قبل أن تبدأ البطولة. نجحت في تمضية اليوم السابق من دون شرب ونامت بعمق كفاية بمساعدة ثلاث حبات خضراء، لكن معدتها كان ينتابها شيء من المغص. كان الجو ما يزال صباحاً، لكن الشمس كانت ساطعة جداً؛ وجدت نفسها وقد تعرّقت بعد دورة واحدة حول الحي. كانت قدماها تؤلمانها. عمرها ثماني عشرة سنة، لكنها أحست كما لو كانت في الأربعين. يجب أن تتوقف عن الشرب. كان خصمها الأول شخصاً يدعى فوستر تصنيفه 1800 نقطة. ستلعب بالقطع السوداء، لكن الأمر سيكون سهلاً - خصوصاً إذا ما حاول لعب البيدق إلى مربع الملك الرابع وسمح لها بلعب الدفاع الصقلي.

بدا فوستر هادئاً كفاية، بالنظر إلى أنه كان يواجه بطلة الولايات المتحدة في مباراته الأولى. كان حدسه سليماً بعدم اتباع افتتاح البيدق إلى مربع الملك الرابع ضدها. لعب البيدق إلى مربع الملكة الرابع، فقررت تجنب الدخول في تفريع مناورة الملكة وجرّه إلى أراضٍ مجهولة عبر لعب الدفاع الهولندي. وذلك عنى دفع البيدق إلى مربع فيل الملك الرابع. اتبعا نقلات مألوفة لبعض الوقت حتى، وبطريقة ما، وجدت نفسها في وضعية «الجدار الصخري». لم تكن تلك وضعية تحب أن تلعبها، وبعد أن شرعت في تقييم الوضع الذي بدت عليه الرقعة، بدأت تحسّ بأنها متضايقة من نفسها. الشيء الذي

يجب القيام به، فكرت في نفسها، هو فتح اللعب والانقضاض على فوستر. كانت تستمتع بالتظاهر باللعب بأقل من قوتها حتى الآن، لكنها ضاقت ذرعاً بذلك وأرادت أن تنهي المباراة. ما زال رأسها يؤلمها، ولم يجعلها كرسيها الدوّار أكثر راحة. كان هناك الكثير من المتفرجين في القاعة. كان فوستر أشقر شاحب البشرة في عشرينياته؛ يقوم بنقلاته باحتراز شديد يثير حنقها. بعد النقلة الثانية عشرة، نظرت إلى الوضعية المنغلقة على الرقعة، ثم وبسرعة دفعت أحد بيدقَي الوسط لتضحي به؛ ستفتح اللعبة وتبدأ القيام بتهديدات. لا بد أنها تتفوق على هذا المخبول بنحو 600 نقطة في التصنيف؛ ستمسح به الأرض، تذهب لتناول غدائها وتحظى ببعض القهوة، وتكون مستعدة لغولدمان أو سايزمور بعد الظهيرة.

لكن التضحية بالبيدق كانت مستعجلة نوعاً ما. بعد أن أخذ فوستر بحصانه عوض أن يأخذ بالبيدق الذي خططت له، وجدت نفسها مجبرة على الدفاع وإلا سقط بيدقها الثاني كذلك. عضت على شفتها، بانزعاج ظاهري، ثم بدأت تبحث عن شيء تُرهبه به. لكنها لم تستطع إيجاد أي شيء. كان عقلها يعمل ببطء لعين. تراجعت بالفيل لحماية بيدقها.

رفع فوستر حاجبيه قليلاً وهو يرى ذلك، وجلب قلعة إلى عمود الملكة، العمود الذي فتحته بالتضحية ببيدقها. رمشت. لم يرُقها المنعطف الذي اتخذته هذه المباراة. صار الألم برأسها أسوأ. قامت من أمام رقعة اللعب، توجهت نحو المدير وطلبت منه حبوب أسبيرين. وجد بعضاً منها بمكان ما، وأخذت منه ثلاثاً، أغرقتها داخل جوفها بماء من كوب ورقي، قبل أن تعود إلى فوستر. ومع مرورها وسط القاعة الرئيسية للبطولة، رفع الجميع نظرهم عن الرقع

أمامهم ليحدّقوا فيها. تملّكها الغضب فجأة، لكونها وافقت على اللعب بهذه البطولة من الدرجة الثالثة، ولكونها يجب أن تعود إلى مكانها لمجابهة فوستر. كرهت الوضعية التي كانت فيها: إذا هزمته فالأمر لا يعني لها شيئاً، وإذا هزمها فسيجعلها ذلك تبدو مريعة. لكنه لن يستطيع هزيمتها. لم يستطع بيني واتس التغلب عليها، ولن يستطيع طالب متخرج من لويسفيل، يلعب بتحفظ، أن يحشرها في الزاوية. ستجد تركيبة نقلات بمكان ما تستطيع أن تمزقه بها إرباً.

لكن لم تكن هناك أية تركيبة لتجدها. ظلت تحدّق في الوضعية التي ما فتئت تتغير شيئاً فشيئاً، نقلة بعد أخرى، ولم تنفتح لها. كان فوستر جيداً -أفضل من تقييمه، كما يبدو- لكنه ليس بالجودة الكافية. راقبها الناس الذين ملأوا القاعة وهي تنتقل إلى الدفاع أكثر فأكثر، محاولة ألا تبدي ملامحها حالة الخطر التي بدأت تطغى على نقلاتها. ثم ما كان الخطب بخصوص **ذهنها**؟ لم تحظ بشراب كحولي لمدة يوم وليلتين. ما كان **الخطب**؟ في قعر معدتها، بدأت هذه المرة تحسّ بالرعب يتملّكها. إذا ما كانت قد دمرت موهبتها...

بعد ذلك، وفي النقلة الثالثة والعشرين، بدأ فوستر سلسلة من المبادلات في وسط الرقعة، ووجدت نفسها عاجزة عن إيقافها، تشاهد قطعها تختفي من على الرقعة بإحساس مقرف في معدتها، تشاهد وضعيتها وهي تتدهور أكثر فأكثر. وجدت نفسها تلعب مباراة خاسرة، تحت وطأة تقدم كاسح ببيدقين للاعب تصنيفه 1800 نقطة. لم يكن بوسعها القيام بأي شيء حيال ذلك. سيقوم بترقية بيدق ويهينها به.

رفعت ملكها من الرقعة قبل أن يتمكن من القيام بذلك، وغادرت الغرفة دون أن تنظر إليه، متلمسة طريقها عبر المجموعة

المتجمهرة، متحاشية النظر إلى أعينهم، تكاد تحبس أنفاسها، متجهة نحو الغرفة الرئيسية وبعد ذلك نحو المكتب.

- أشعر بأنني مريضة، قالت للمدير. سيتوجب عليّ أن أنسحب.

سارت باتجاه الشارع الرئيسي، بخطوات ثقيلة وإعصار جارف يعصف بدواخلها، وهي تحاول ألا تفكر في المباراة. كان الأمر مريعاً. لقد سمحت لهذه البطولة بأن تكون اختباراً لها -ذاك النوع من الاختبارات المزيفة التي يقوم بها سكير لنفسه- ومع ذلك فشلت فيه. يجب ألا تشرب حين تعود إلى البيت. يجب أن تقرأ وتلعب الشطرنج، تلملم شتات نفسها وتمسك بزمام الأمور. لكن فكرة الذهاب إلى المنزل الخالي كانت مرعبة. ما كان بإمكانها أن تفعل سوى ذلك؟ لم يكن هنالك أي شيء ترغب في فعله ولا أحد لتتصل به. لم تكن هنالك أية عواقب مترتبة عن خسارة تلك المباراة ولم تكن البطولة ذات شأن، لكن الإهانة كانت أعظم من أن تستطيع تحمّلها. لم تكن ترغب في سماع محادثات بخصوص كيفية خسارتها أمام فوستر، ولم تكن ترغب في رؤية فوستر ذاته مجدداً. **يجب ألا تشرب**. كانت تنتظرها بطولة جادة في كاليفورنيا بعد خمسة أشهر. **ماذا لو كانت قد أفسدت نفسها بنفسها؟** ماذا لو كانت قد مسحت عن سطح دماغها أيّاً كانت تلك التشابكات والتداخلات العصبية التي كانت تشكل موهبتها؟ تذكرت أنها قرأت مرة بمكان ما عن أحد مغنّي البوب الذي اشترى رسماً أصلياً لمايكل أنجلو - وأخذ ممحاة وقام بمسحه، مُبقياً على ورقة بيضاء خالية تماماً. وجدت الضياع الذي لحق بالرسم صادماً. والآن كانت تحس بصدمة مشابهة وهي تتخيل سطح دماغها وقد مُسحت منه موهبتها في لعب الشطرنج.

في البيت، شرعت تقرأ كتاباً عن اللعب الروسي، لكنها لم تستطع التركيز. بدأت تراجع مباراتها ضد فوستر، وهي تعدّ الرقعة في المطبخ، لكن تلك النقلات كانت مؤلمة جداً. الجدار الصخري اللعين ذاك، ودفعة البيدق المتسرعة. نقلة غرّ. شطرنج رديء. شطرنج اليوم الذي يلي الثمالة. رن الهاتف، لكنها لم ترفعه. جلست أمام الرقعة وتمنّت لوهلة لو أن لها أحداً لتتصل به. هاري بلتيك سيكون في لويسفيل. ولم تكن تريد إخباره عن مباراتها مع فوستر. سيعلم ذلك بنفسه قريباً. كانت تستطيع الاتصال ببيني. لكن بيني كان يعاملها ببرود وجفاء منذ باريس، ولم ترغب في التحدث إليه. لم يكن هناك أي شخص آخر. قامت من مكانها وفتحت الدرج بجوار الثلاجة، أخرجت قنينة نبيذ أبيض وصبّت لنفسها كأساً مليئاً عن آخره. صوت بداخلها كان يبكي من أثر الحنق الحار في داخلها، لكنها تجاهلته. شربت نصف الكأس في جرعة واحدة طويلة ووقفت في انتظار أن تحس بتأثيره. ثم أنهت الكأس، وصبّت آخر. يستطيع المرء أن يحيا من دون شطرنج. معظم الناس فعلوا ذلك.

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي على الكنبة، وهي ما تزال مرتدية ملابس باريس التي ارتدتها حينما خسرت ضد فوستر، كانت مرتعبة بشكل جديد. كانت تستطيع أن تحس بدماغها ضبابياً -بشكل ملموس- من أثر الكحول، قدرته على تحديد التموضع المكاني صارت رعناء، وما عادت رؤيتها ثاقبة البتة. لكن بعد الفطور، استحمّت وغيّرت ثيابها، ثم صبّت لنفسها كأساً من النبيذ. حدث الأمر بطريقة ميكانيكية تقريباً؛ تعلمت كيف تقطع حبل التفكير وهي تفعل ذلك. أهم شيء كان تناول بعض الخبز أولاً، كيلا يكون للنبيذ تأثير حارق على معدتها.

استمرت في الشرب لأيام، لكن ذكرى المباراة التي خسرتها وخوفها مما كانت تفعله بموهبتها الفذة لم يكونا ليغادراها، إلّا حينما تكون سكرى للغاية إلى درجة أنها لا تعود قادرة على التفكير. كان هناك مقال عنها في جريدة الأحد، مرفوقاً بإحدى الصور التي التُقطت لها ذاك الصباح في المدرسة الثانوية، معنوناً كالآتي: **بطلة الشطرنج تنسحب من بطولة**... رمت بالجريدة دون أن تقرأ المقال.

ثم، وذات صباح، بعد ليلة من الأحلام السوداء والمربكة، استيقظت بصفاء ذهني غير معهود: إذا لم تتوقف عن الشرب حالاً، فستدمر كل ما تملكه. إذا كانت قد سمحت لنفسها بالغوص داخل هذه الأوحال، فلا بدّ أن تجد موطئ قدم في مكان ما لترتكز عليه وتدفع نفسها خارجاً، لتتحرر. سيتوجب عليها الحصول على بعض المساعدة. تذكرت فجأة الشخص الذي تريد منه أن يساعدها، فأشعرها ذلك بارتياح عظيم.

الفصل الثالث عشر

لم يكن رقم جولين مُدرجاً في دليل هاتف لكسينغتون. حاولت بيث العثور على معلومات عنها في لويسفيل وفرانكفورت، لكنها لم تجد أثراً لـ«جولين ديويت». من الممكن أن تكون قد تزوجت وغيّرت اسمها، أو حتى أن تكون في شيكاغو أو كلونديك، وبيث لم تقابلها أو تتواصل معها منذ أن غادرت ميثوين. هناك وسيلة واحدة فقط للوصول إلى مبتغاها. وثائق تبنّيها موجودة في درج مكتب السيدة ويتلي. أخذت بيث الملف ووجدت في داخله رسالة تحمل اسم وشعار ميثوين بالأحمر. كان رقم الهاتف مكتوباً عليها. للحظات عديدة، ظلت بيث تحمل الرسالة بتوتر. كانت الرسالة موقّعة بخط صغير وأنيق: **هيلين ديردورف، المشرفة العامة.**

كانت الساعة تقارب الثانية عشرة ظهراً، وبيث لم تحظ بمشروب بعد. فكرت لوهلة في احتساء كأس جيبسون لتحافظ على توازنها، لكنها لم تستطع غض الطرف عن غباء الفكرة، فشراب جيبسون ذاك كان سيثبط عزيمتها. قد تكون سكيرة لكنها ليست بالغبية. صعدت إلى الطابق العلوي وأخذت قارورة الليبريوم المكسيكي خاصتها، وتناولت حبّتين. وفي انتظار أن يخفّ توترها،

تجولت في الحديقة التي كان قد جزّ الفتى عشبها بالأمس. تفتحت ورود الشاي أخيراً. سقطت البتلات عن معظمها، وحلت محل الورود في بعض السيقان تمور كروية الشكل، ومكتنزة. لم تلاحظ بيث قط هذه الأزهار عندما كانت تتفتح خلال يونيو ويوليو.

عند عودتها إلى المطبخ، أحست أنها أكثر اتزاناً. بدأ تأثير المهدئات يظهر. كم يقتل ميليغرام واحد منها من خلايا الدماغ؟ من المستبعد أن يكون تأثيرها أسوأ من الكحول. توجهت إلى غرفة المعيشة واتصلت بمأوى ميثوين.

وضعها عامل الهاتف قيد الانتظار. مدت بيث يدها نحو القارورة وأخرجت منها حبة خضراء وابتلعتها. تناهى إلى مسامعها أخيراً صوت هش بشكل صادم من سماعة الهاتف. «هيلين ديردورف تتكلم».

لم تستطع بيث للحظة أن ترد وأرادت إقفال الخط، لكنها أخذت نفَساً عميقاً، ثم أجابت:

- سيدة ديردورف، معك بيث هارمون.

- حقاً؟ بدا الصوت متفاجئاً.

- نعم.

- حسناً.

خطر ببال بيث خلال لحظة الصمت التي تلت أنه لم يكن لدى السيدة ديردورف شيء لتقوله. ربما تواجه هي أيضاً صعوبة في التحدث إلى بيث كما هي الحال مع هذه الأخيرة.

- حسناً، قالت السيدة ديردورف. لقد قرأنا الكثير عنك.

- كيف حال السيد شايبل؟ سألت بيث.

- السيد شايبل ما زال معنا. هل هذا ما اتصلت بخصوصه؟

– اتصلت بخصوص جولين ديويت. أود التواصل معها.

– أنا آسفة، قالت السيدة ديردورف، لا يمكننا الإفصاح عن عناوين وأرقام نزلائنا.

– سيدة ديردورف، أجابت بيث بصوت تملكته الأحاسيس فجأة، سيدة ديردورف، هلّا فعلت ذلك من أجلي. يجب أن أتحدث إلى جولين.

– هناك قوانين...

– سيدة ديردورف، قالت بيث، أرجوك.

تغيرت نبرة السيدة ديردورف.

– حسناً إليزابيث. ديويت تعيش في لكسينغتون. هذا رقم هاتفها.

– يا إلهي! قالت جولين على الهاتف. يا إلهي!

– كيف حالك يا جولين؟ أحست بيث بالرغبة في البكاء، لكنها أبقت صوتها متزناً.

– يا إلهي! قالت جولين ضاحكة. من الجيد سماع صوتك يا فتاة. هل ما زلتِ قبيحة؟

– أما زلتِ سوداء البشرة؟

– أنا سيدة سوداء البشرة حقاً، قالت جولين. وأنت فقدت قبحك. لقد رأيتك على مجلات أكثر من باربرا سترايساند، يا صديقتي المشهورة.

– لمَ لمْ تتصلي بي؟

– شعرتُ بالغيرة.

– جولين، قالت بيث، هل تمّ تبنّيك يوماً؟

- تباً، لا. لقد تخرّجت من ذاك المكان. لمَ لمْ ترسلي لي بطاقة تهنئة أو علبة بسكويت؟

- سأشتري لك العشاء اليوم. هل يمكنك المجيء إلى مطعم توبي في الشارع الرئيسي على الساعة السابعة؟

- سألغي حصة دراسية، قالت جولين. اللعنة! بطلة الولايات المتحدة في لعبة الشطرنج التاريخية، فائزة حقّة!

- هذا ما أود التحدث عنه، قالت بيث.

عند لقائهما في مطعم توبي، تلاشت عفويتهما. قضت بيث يومها من دون شراب، وقصّت شعرها في صالون روبيرتا، ونظفت المطبخ وهي بالكاد تتمالك نفسها من شدة حماسها للقاء جولين مجدداً. وصلت إلى المطعم ربع ساعة قبل الموعد وبدا عليها التوتر وهي ترفض اقتراح النادل بأن يجلب لها مشروباً. كان هناك مشروب كولا أمامها حين وصلت جولين.

للوهلة الأولى لم تتعرف بيث على جولين، فالمرأة التي توجهت نحو طاولتها مرتدية ما يشبه بدلة شانيل بتصفيفة أفرو كاملة وكثيفة، كانت طويلة إلى درجة أن بيث لم تصدق أنها بالفعل جولين. لقد بدت كنجمة سينما أو أميرة روك-أند-رول؛ كان جسمها أكثر امتلاء من ديانا روس وكانت بمثل روعة لينا هورن. حين استوعبت بيث أنها بالفعل جولين، أن ابتسامتها وعينيها ما زالتا كما تتذكرهما، وقفت محرجة وعانقتها. كانت رائحة عطر جولين قوية، وأحست بيث بالخجل. ربتت جولين على ظهر بيث وهما تتعانقان وقالت: «بيث هارمون. بيث الصغيرة!».

جلستا ونظرتا إحداهما إلى الأخرى بإحراج. قررت بيث أنها ستحتاج إلى كأس كحول إن أرادت المضي في هذا. لكن من حسن

الحظ، عندما أتى النادل وكسر صمتهما، طلبت جولين مياهاً غازية، فطلبت بيث الكولا مجدداً.

كانت جولين تحمل شيئاً في ظرف مغلق وضعته على الطاولة أمام بيث. أخذته بيث ووجدت أن في داخله كتاباً. خمنت على الفور عنوانه، ثم أزالت الظرف عنه. لقد كان كتابها القديم البالي: **افتتاحيات الشطرنج الحديثة**.

- تم تبنّيك، قالت جولين. كنتُ طوال الوقت غاضبة منك بسبب ذلك.

تجهّمت بيث وهي تفتح الكتاب عند الصفحة الأولى، حيث كُتب بخط طفولي «إليزابيث هارمون، مأوى ميثوين».

- ليس بسبب كوني بيضاء البشرة؟

- ومن قد يغفل ذلك؟ أجابت جولين.

حدّقت بيث في وجه جولين الطيب والجميل، وشعرها اللافت للأنظار، ورموشها السوداء الطويلة وشفتيها الممتلئتين، فزال عنها الخجل وغمرها ارتياح جسدي صافٍ، ورسمت على وجهها ابتسامة عريضة وقالت: «أنا سعيدة لرؤيتك». كانت في الواقع تريد أن تقول: «أحبك».

خلال النصف الأول من الوجبة، تحدثت جولين عن ميثوين، عن نومها خلال القداس وعن كرهها للطعام وعن السيد شل والآنسة غراهام وأفلام يوم السبت الكاثوليكية. حين تطرقت إلى موضوع السيدة ديردورف قلدت صوتها الضيق وحركات رأسها وكانت مضحكة جداً. كانت تأكل ببطء وتضحك كثيراً، ووجدت بيث نفسها تضحك كذلك. لقد مر وقت طويل منذ أن ضحكت، ولم تشعر أبداً بمثل هذه الراحة مع شخص آخر، ولا حتى برفقة السيدة ويتلي.

طلبت جولين كأساً من النبيذ الأبيض مع طبق لحم العجل، وترددت بيث للحظة قبل أن تطلب ماء مثلجاً.

- لست راشدة كفاية؟ سألت جولين.

- لا، ليس الأمر كذلك. عمري ثماني عشرة سنة.

رفعت جولين حاجبيها باستغراب ثم شرعت في إكمال وجبتها. بعد بضع لحظات بدأت في الحديث مجدداً.

- حين انتقلتِ إلى منزلك السعيد، بدأت أنا في ممارسة الكرة الطائرة بجدية. تخرجت في الثامنة عشرة وحصلت على منحة جامعية في التربية البدنية.

- وما رأيك فيها؟

- لا بأس بها، أجابت جولين أسرع من المعتاد، ثم أضافت: لا، ليست كذلك. إنها في الحقيقة مضيعة للوقت. لا أريد أن أكون مدربة لياقة بدنية.

- بإمكانك فعل شيء آخر.

هزت جولين رأسها.

- لم أع بواقع الأمر حقاً حتى حصولي على الإجازة العام الماضي. كانت تتحدث وفمها مملوء. ابتلعت مضغتها وانحنت إلى الأمام واضعة مرفقيها على الطاولة. كان عليّ دخول المجال القانوني أو الحكومي. قدراتي تناسب زماننا هذا تماماً، لكنني أهدرتها في تعلم القفزات الجانبية وعضلات البطن الرئيسية. أصبحت تتحدث بنبرة منخفضة وقوية. أنا امرأة سوداء. أنا يتيمة. من المفروض أن أدرس في هارفرد، من المفروض أن تكون صورتي على غلاف مجلة تايم مثلك.

- ستبدين رائعة مع باربرا والترز، قالت بيث. بإمكانك التحدث عن الحرمان العاطفي الذي يواجهه الأيتام.

- من قد يقوم بذلك أفضل مني؟ قالت جولين. أود التحدث عن هيلين ديردورف ومسكّناتها اللعينة.

ترددت بيث للحظة، ثم قالت:

- هل ما زلت تتناولين المسكّنات؟

- لا، أجابت جولين. تبّاً، لا. ثم ضحكت وأضافت: لن أنسى أبداً يوم سرقتِ ما يعادل قارورة كاملة منها وسط غرفة الاستعمالات المتعددة وأمام جميع من في الميتم. تجمدت هيلين في مكانها كالتمثال بينما وقفت بقيتنا وأفواهنا مفتوحة مصدومين. ضحكت مجدداً. جعل ذلك منك بطلة بالفعل. كنت أحكي هذه الحادثة للنزلاء الجدد بعد أن غادرت. كانت جولين قد أنهت وجبتها. ابتعدت عن الطاولة الآن ودفعت بصحنها إلى الوسط، ثم مالت إلى الوراء وأخرجت علبة سجائر من جيب سترتها ونظرت إليها لبرهة. حين نُشرت صورتك في مجلة **لايف** كنت أنا من وضعها في لوحة الإعلانات في المكتبة. لا تزال هناك على حد علمي. أشعلت سيجارة باستخدام ولاعة صغيرة سوداء وأخذت نَفَساً عميقاً. «موزارت أنثى تدهش عالم الشطرنج». يا إلهي.

- ما زلتُ أستعمل المهدئات، قالت بيث. الكثير منها.

- أوه، يا لك من مسكينة، قالت جولين بسخرية وهي تنظر إلى سيجارتها.

التزمت بيث الصمت لبعض الوقت. كان الصمت بينهما ثقيلاً. ثم قالت:

- فلنطلب التحلية.

- موس الشوكولاتة، قالت جولين. خلال تناولها للتحلية، توقفت ونظرت إلى الجهة المقابلة من الطاولة. لا تبدين في حال جيدة يا بيث، قالت جولين. وجهك منتفخ. أومأت بيث برأسها وأكملت تحليتها.

قادت جولين بيث إلى بيتها في سيارتها VW الرمادية. حين وصلتا إلى جان-ويل، قالت بيث:

- أود أن تدخلي معي لبعض الوقت. أريدك أن تري منزلي.

- بالطبع، قالت جولين. أرتها بيث مكان ركن السيارة، وعندما ترجّلتا منها قالت جولين: ذلك المنزل بأكمله ملكك؟

أجابتها بيث:

- نعم.

ضحكت جولين وقالت:

- أنت لست يتيمة، لم تعودي كذلك.

لكن عندما تجاوزتا عتبة الباب إلى المدخل الصغير، صدمتهما رائحة العفن المنبعثة من المنزل. لم تُلقِ بيث لها بالاً من قبل. عم المكانَ صمتٌ محرج بينما كانت بيث تشعل أضواء غرفة المعيشة وتتفقد الأرجاء. لم تنتبه قط للغبار على شاشة التلفاز أو للبقع على الأريكة. في ركن سقف الغرفة قرب السلالم، كانت هناك شبكة عنكبوت كثيفة. كان المكان بأسره مظلماً وعفناً.

تجولت جولين في الغرفة وهي تنظر حولها، ثم قالت:

- لا بدّ أنك تستهلكين شيئاً آخر غير الحبوب يا عزيزتي.

- أشرب النبيذ.

- أصدقك.

أعدّت بيث بعض القهوة في المطبخ. الأرضية نظيفة هناك على

الأقل. فتحت النافذة التي تطل على الحديقة ليدخل بعض الهواء المنعش إلى المنزل.

كانت رقعة شطرنج بيث لا تزال على الطاولة. أخذت جولين الملكة البيضاء وحملتها لبعض الوقت، ثم قالت:

- أملّ من الألعاب بسرعة. لم أتعلم الشطرنج قط.

- تودين أن أعلمك؟

ضحكت جولين.

- ستكون تلك حكاية طريفة. أرجعت الملكة إلى مكانها على الرقعة. لقد تمرنت على الكرة الطائرة وكرة المضرب وكرة المجداف. أنا ألعب التنس والغولف والدودجبول والمصارعة. لا أحتاج إلى الشطرنج. ما أحتاج إليه هو أن تخبريني عن كل هذا النبيذ.

مدّت لها بيث كوب قهوة.

وضعته جولين على الطاولة وأخرجت سيجارة. وهي جالسة بهذا المطبخ الكئيب، مرتدية بدلتها الزرقاء اللامعة وبتصفيفة شعرها الأفرو، بدت جولين وكأنها المركز المشع للغرفة.

- بدأ الأمر بالحبوب؟ سألت جولين.

- كنت أحب الحبوب، قالت بيث. كنت أحبها كثيراً.

هزّت جولين رأسها مرتين من جانب إلى آخر.

- لم أحظ بمشروب اليوم، قالت بيث فجأة. من المفترض أن ألعب في روسيا العام القادم.

- لوتشينكو، قالت جولين. وبورغوف.

تفاجأت بيث بمعرفة جولين للأسماء.

- أنا خائفة.

- لا تذهبي إذاً.

- إذا لم أذهب، فلن يكون لدي ما أقوم به، وسأظل أشرب.

- يبدو أنك تشربين في جميع الأحوال.

- عليّ فقط الإقلاع عن الشرب وعن المهدئات وترتيب هذا البيت. انظري إلى كل تلك البقع على الموقد. أشارت بيدها إليه. عليّ أن أدرس الشطرنج ثماني ساعات في اليوم وعليّ أن أشارك في بضع بطولات. يريدون مني اللعب في سان فرانسيسكو، ويريدون مني الظهور في برنامج **تونايت شو**. عليّ فعل كل ذلك.

نظرت إليها جولين بتمعن.

- ما أريده هو كأس كحول، قالت بيث. لو لم تكوني هنا لشربت زجاجة نبيذ.

عبست جولين وقالت:

- تتصرفين مثل سوزان هيوارد في تلك الأفلام.

- هذا ليس فيلماً، قالت بيث.

- إذاً توقفي عن التصرف كما لو أنه كذلك. سأخبرك بما يجب فعله. سوف تأتين غداً صباحاً إلى صالة رياضة ألومناي في يوكليد أفينيو في العاشرة. أنا أتمرن في ذلك الوقت. أحضري معك حذاء رياضياً وسروالاً قصيراً. عليك أن تزيلي ذلك الانتفاخ من وجهك قبل أن تخططي لأي شيء آخر.

حدّقت فيها بيث.

- لطالما كرهت صالات الرياضة...

- أتذكّر ذلك، قالت جولين.

فكرت بيث في الأمر. كانت هناك قناني نبيذ أبيض وأحمر في الخزانة وراءها وللحظة نفد صبرها وأرادت من جولين المغادرة بسرعة حتى يتسنى لها أن تأخذ قنينة وتزيل سدادة الفلين وتسكب لنفسها كأساً كاملاً من النبيذ. كان بإمكانها استشعار الشراب يسري في بلعومها.

- لن يكون الأمر بذلك السوء، قالت جولين. سأجلب لك منشفتين نظيفتين ويمكنك استعمال مجفف شعري.

- لا أعرف كيف أصل إلى هناك.

- استقلّي سيارة أجرة، أو تمشّي بحق الجحيم!

نظرت إليها بيث بفزع.

- عليك أن تتحركي يا فتاة، قالت جولين. توقفي عن الانغماس في بؤسك.

- حسناً، قالت بيث. سأكون هناك.

عندما غادرت جولين، احتست بيث كأساً واحداً من النبيذ فقط. فتحت جميع نوافذ البيت وشربت كأسها في الحديقة، حيث كان القمر -الذي أوشك أن يصير بدراً- يشع فوق السقيفة في الخلف. كان النسيم عليلاً. أخذت بيث وقتها في احتساء النبيذ، تاركة النسيم يهب من نافذة المطبخ ليداعب الستائر ويجول في المطبخ وغرفة المعيشة وينظف الهواء في الداخل.

كانت صالة الرياضة غرفة ذات سقف عالٍ وجدران بيضاء. وكان الضوء يدخل من نوافذ عملاقة على الجانب الذي يضج بآلات غريبة المظهر. كانت جولين ترتدي سروالاً ضيقاً أصفر اللون وحذاء

رياضياً. كان الجو دافئاً، لذلك كانت بيث قد ارتدت سروالها القصير الأبيض في سيارة الأجرة. في الجهة المقابلة من غرفة التمرين، كان شاب بائس المظهر يرتدي سروالاً قصيراً رمادي اللون مستلقياً على ظهره فوق مقعد، يرفع الأثقال ويئن. عداه لم يكن أحد آخر غيرهما في الصالة.

شرعتا في التمرين على دراجات ثابتة. ضبطت جولين قوة السحب في دراجة بيث على درجة عشرة، وفي دراجتها على درجة ستين. بعد عشر دقائق على الدراجة، كانت بيث تتعرق بشدة وكانت عضلات ساقيها تؤلمها.

- سيزداد الأمر صعوبة، قالت جولين.

شدت بيث على أسنانها واستمرت في الدوس.

لم تستطع تتبع الإيقاع في آلة الظهر والورك، وانزلقت مؤخرتها عن كرسي الجلد الصناعي الذي استلقت عليه لرفع الأثقال بساقيها. حددت جولين الأثقال بأربعين باونداً، لكن حتى هذا الوزن بدا مستعصياً على بيث. بعد ذلك تمرنت على آلة حيث يجب عليها رفع الأثقال بكاحليها، مما جعل الأوتار في أعلى ساقيها بارزة ومؤلمة، ثم توجب عليها الجلوس فوق آلة ذكّرتها بالكرسي الكهربائي ورفع الأثقال بمرفقيها.

- شدي البكتورلز[1]، قالت جولين.

- ظننت ذلك نوعاً من الأسماك، قالت بيث.

ضحكت جولين.

- ثقي بي، عزيزتي، هذا ما تحتاجين إليه.

---

(1) Pectorals : عضلات الصدر. (المترجم)

قامت بيث بجميع التمارين، بغضب وبأنفاس مقطوعة. اشتد غضبها لكون جولين تتمرن بأوزان أثقل بكثير من التي تستعمل هي. لكن ذلك بديهي، فجسم جولين مثالي.

كان الاستحمام بعد التمرين مذهلاً. كانت هناك رشاشات ماء قوية، ورشت بيث جسدها جيداً لتزيل عنه العرق. فركت نفسها بالصابون بعناية، وشاهدت وهي تزيل الصابون بماء ساخن لاذع الرغوةَ تتنقل على الأرضية البيضاء عند قدميها.

كانت عاملة المطعم تمد صحن ستيك ساليزبوري لبيث حين أتت جولين واضعة صينيتها قرب صينية بيث.

- لا، لن تأكلي أياً من هذا. أخذت جولين الصحن وأرجعته. لا مرق ولا بطاطس.

- لست سمينة، قالت بيث. لن يضرني أكل البطاطس.

لم تقل جولين شيئاً. عند مرورهما أمام الهلام وفطيرة القشدة البافارية، هزت جولين رأسها.

- لكنك أكلت موس الشوكولاتة ليلة البارحة، قالت بيث.

- ليلة البارحة كانت مميزة، أجابت جولين. هذا يوم مختلف.

تناولتا الغداء على الساعة الحادية عشرة والنصف لأن جولين لديها حصة دراسية عند الثانية عشرة. حين سألتها بيث عن موضوع الحصة، أجابتها جولين:

- أوروبا الشرقية في القرن العشرين.

- هل هذا يدخل ضمن التربية البدنية؟ سألت بيث.

- لم أخبرك عن كل شيء البارحة. أنا أدرس الماجستير في العلوم السياسية.

حدقت بيث فيها.

- Honi soit qui mal y pense[1]، قالت جولين.

حين استيقظت بيث في اليوم التالي، كانت تشعر بألم في ظهرها وساقَيها، فقررت عدم الذهاب إلى التمرين. لكن حين فتحت الثلاجة لتحضر فطورها، وجدت أكواماً من الوجبات الجاهزة وفكرت فجأة في شكل ساقَي السيدة ويتلي الباهتتين عندما كانت تلف جوربَيها إلى الأسفل. اشمأزت بيث وهزت رأسها وأخذت تُخرج العلب. التفكير في الدجاج المقلي المجمد ولحم البقر المشوي والديك الرومي جعلها تشعر بالغثيان، فرمت كل العلب في كيس بلاستيكي. وحين فتحت الخزانة لتتفقد المعلبات، وجدت ثلاث قنانٍ من نبيذ ألمادن ماونتن راين موضوعة أمام العلب. ترددت قليلاً ثم أقفلت باب الخزانة. ستفكر في ذلك لاحقاً. تناولت خبزاً محمصاً وقهوة سوداء للفطور، وفي طريقها نحو صالة الرياضة رمت كيس الوجبات المجمدة في القمامة.

أثناء الغداء، أخبرتها جولين عن لوحة إعلانات تخص اتحاد الطلاب تضم قائمة الطلاب الذين يودون القيام بأعمال لا تتطلب مهارة، مقابل دولارَين للساعة. أوصلتها جولين إلى هناك في طريقها إلى حصتها، وسجلت بيث رقمين من القائمة. بحلول الثالثة بعد الظهر كان طالب في شعبة إدارة الأعمال ينفض السجاد في الحديقة الخلفية وطالب في شعبة تاريخ الفن ينظف الثلاجة وخزانات المطبخ. لكن بيث لم تشرف على عملهما، بل قضت وقتها وهي تتدرّب على تفريعات دفاع نيمزو الهندي.

---

(1) «عار على من ظن به شراً» هو شعار فرسان الرباط، وهي أعلى مراتب الفرسان في المملكة المتحدة. (المترجم)

مع حلول يوم الاثنين التالي، كانت بيث تستعمل الآلات السبع جميعها وتقوم بتمارين البطن بعد ذلك. وفي يوم الأربعاء، أضافت جولين عشرة باوندات لكل آلة من أجلها وجعلتها تحمل خمسة باوندات على صدرها أثناء قيامها بتمارين البطن. في الأسبوع التالي بدأتا في لعب الكرة الطائرة. كانت حركات بيث غير متناسقة وأنفاسها تنقطع بسهولة. هزمتها جولين شر هزيمة. استمرت بيث في اللعب بإصرار وهي تلهث وتتعرق، متسببة أحياناً في كدمات في يدها وهي ترمي الكرة السوداء الصغيرة. تطلّب الأمر عشرة أيام وبعض الارتدادات المحظوظة لتفوز بيث بأول مباراة لها.

- علمت أنك ستفوزين عما قريب، قالت جولين. كانتا واقفتين وسط الملعب تتصببان عرقاً.

- أكره الخسارة، قالت بيث.

في ذلك اليوم، وصلتها رسالة من كريستشن كروسيد. كان ما يقارب عشرين اسماً مرفقاً في الجانب أسفل الصفحة تحت صليب منقوش. جاء في الرسالة ما يلي:

آنسة هارمون العزيزة:

بما أننا لم نستطع التواصل معك عبر الهاتف، فقد قررنا إرسال هذه الرسالة لبيان مدى اهتمامك في دعم كريستشن كروسيد لك خلال البطولة المقبلة المقامة في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية.

كريستشن كروسيد هي منظمة غير ربحية مكرسة لفتح الأبواب المغلقة لرسالة المسيح. مسيرتك كمتدربة في مؤسسة مسيحية -مأوى ميثوين- جديرة بالذكر. نود أن

نساندك في كفاحك المقبل حيث إننا نتشارك قيمك المسيحية وتطلعاتك. إذا كنت مهتمة بدعمنا، نرجو منك التواصل معنا عبر مكاتبنا في هيوستن.

مع فائق الاحترام وحب المسيح،

كروفورد ووكر

المدير

كريستشن كروسيد

قسم العلاقات الخارجية

كادت بيث ترمي الرسالة لولا أنها تذكرت قول بيني إن مجموعة كنسية أعطته المال من أجل رحلته إلى روسيا. كانت تحتفظ برقم هاتف بيني على قطعة ورق مطوية في علبة ساعة الشطرنج. أخذت قطعة الورق واتصلت بالرقم. بعد الرنة الثالثة، أجاب بيني.

- مرحباً، قالت. معك بيث.

أجابها بيني بشيء من البرودة، لكن عندما حدثته عن الرسالة، قال من دون تردّد:

- وافقي. إنهم فاحشو الثراء.

- هل سيدفعون ثمن تذكرتي إلى روسيا؟

- بل أكثر من ذلك، سيرسلونني معك إن طلبت منهم ذلك. ستكون لنا غرفتان مستقلتان بالنظر إلى توجهاتهم.

- ولِمَ قد يصرفون كل ذلك المال؟

- يريدون منا هزيمة الشيوعيين باسم المسيح. هم من دفعوا جزءاً من تكاليف رحلتي منذ سنتين. توقف قليلاً. هل ستعودين إلى نيويورك؟ كان صوته محايداً بعناية.

- عليّ البقاء في كنتاكي لمدة أطول. أنا أتمرن في صالة رياضية وسأشارك في بطولة في كاليفورنيا.

- حسناً، قال بيني. يبدو لي ذلك جيداً.

في ذلك المساء، كتبت بيث رسالة لكريستشن كروسيد تبدي فيها اهتمامها بدعمهم لها مضيفة أنها تود أن يرافقها بنجامين واتس كمساعد لها. استعملت الورق ذا اللون الأزرق الفاتح وشطبت اسم «السيدة ألستون ويتلي» المكتوب في الأعلى وكتبت «إليزابيث هارمون» بدلاً منه. حين خرجت لوضع الرسالة في صندوق البريد، قررت الاستمرار في المشي إلى وسط المدينة وشراء ملاءات وأغطية وسائد جديدة ومفرش طاولة للمطبخ.

كان ضوء سان فرانسيسكو في الشتاء مذهلاً؛ لم تر بيث مثيلاً له من قبل. لقد أضفى على خطوط المباني وضوحاً خارقاً، وحين صعدت إلى قمة مبنى تلغراف هيل ونظرت إلى الوراء، انحبست أنفاسها لشدة وضوح المنازل والفنادق المتراصة على طول الشارع الطويل المنحدر الذي يحده صفاء لون الخليج الأزرق الساحر. رأت بيث متجر أزهار في الزاوية واشترت منه باقة قطيفة. حين استدارت للنظر إلى الخليج مجدداً، لمحت ثنائياً شاباً على بعد مبنى منها يصعدان باتجاهها. كانا يلهثان وتوقفا لالتقاط أنفاسهما. تفاجأت بيث حين أدركت أن التسلق كان سهلاً بالنسبة إليها، ثم قررت المشي لمسافات طويلة خلال الأسبوع الذي ستقضيه هناك. ربما قد تجد صالة رياضة في مكان ما.

في الصباح، حين مشت إلى أعلى التل في طريقها إلى البطولة، كان لا يزال الجو جميلاً والألوان براقة، لكنها كانت متوترة. كان

المصعد في الفندق الكبير مزدحماً. كان عدد من الناس يحدّقون فيها وكانت تشيح بنظرها بتوتر. توقف الرجل الجالس وراء المكتب عما يفعله فور ظهور بيث.

- هل أتسجل هنا؟ سألت بيث.

- لا داعي لذلك آنسة هارمون. تفضلي بالدخول مباشرة.

- أي رقعة؟



رفع الرجل حاجبيه وقال:

- الرقعة الأولى.

كانت الرقعة الأولى في غرفة وحدها. كانت الطاولة موضوعة فوق منصة علوها ثلاثة أقدام، ووراءها شاشة عرض بحجم شاشة سينما منزلية. على طرفَي الطاولة كان هناك كرسيان دواران كبيران مصنوعان من الجلد البني والكروم. بقيت خمس دقائق على بداية المباراة والمكان مكتظ بالناس. توجب على بيث شق طريقها عبرهم لتصل إلى فضاء اللعب. بينما هي تقوم بذلك، تلاشى طنين الحديث. نظر الجميع إليها. حين صعدت درج المنصة، بدأ الجميع بالتصفيق. حاولت أن تبقي ملامحها محايدة لكنها كانت تشعر بالذعر. آخر مباراة شطرنج لعبتها كانت قبل خمسة أشهر، وكانت قد خسرتها.

لم تكن بيث تعلم حتى من هو خصمها؛ لم تفكر في السؤال عن ذلك. جلست هناك لوهلة وتفكيرها مشوش، إلى أن ظهر شاب تبدو عليه الغطرسة ليشق طريقه عبر الجمهور ويتسلق درج المنصة بسرعة. كان له شعر طويل وشارب عريض متدلٍّ، وكان يبدو مألوفاً. حين عرّف بنفسه، تذكرت بيث اسمه -أندي ليفيت- من مجلة

الشطرنج. جلس في مكانه بصلابة. جاء عندهما أحد مدراء البطولة وقال لليفيت بهدوء: «يمكنك ضغط زر ساعتها الآن». مد ليفيت يده وضغط على زر ساعة بيث وهو يبدو غير مبالٍ. حافظت بيث على ثباتها وحركت بيدق ملكتها مبقية عينيها على الرقعة.

عندما بلغا منتصف اللعبة، كان مدخل الصالة مكتظاً بالناس وكان أحدهم يحاول تهدئة الحشد والحفاظ على النظام. لم تر بيث جمهوراً بهذا الحجم في مباراة من قبل. وجهت انتباهها نحو الرقعة مجدداً وحركت القلعة بتأنٍّ إلى عمود مفتوح. تستطيع الهجوم بعد ثلاث نقلات إن لم يجد ليفيت وسيلة لصدها، وإن لم تغفل عن شيء بخصوص الوضعية. بدأت في محاصرته بحذر مطيحة ببيادق ملكه المحصن، ثم أخذت نفَساً عميقاً ونقلت قلعة إلى الصف السابع. كانت تستطيع سماع صوت لاعب شطرنج فذ في سينسيناتي منذ سنين مضت في مخيلتها: «القلعة في الصف السابع مثل شوكة سمكة في الحلق». نظرت إلى الطرف الآخر نحو ليفيت، وقد بدا بالفعل كما لو أن قلعتها عظم دجاج مغروس في حلقه بعمق. غمرها الابتهاج وهي تشاهده يحاول إخفاء ارتباكه، وحين أتبعت القلعة بالملكة في الصف السابع من دون رحمة، استسلم فوراً. غمرت الغرفة تصفيقات صاخبة وحماسية، وحين نزلت بيث عن المنصة، كانت الابتسامة مرتسمة على شفتيها. كان الناس ينتظرونها حاملين نسخاً قديمة من مجلة الشطرنج ليحصلوا على توقيعها فوق صورتها على الغلاف، وآخرون أرادوا توقيعها على برامجهم أو قطع ورق عادية.

حين كانت توقّع واحدة من المجلات، نظرت للحظة إلى صورتها بالأبيض والأسود وهي تحمل كأس البطولة الكبير في أوهايو، وفي خلفيتها بيني وبارنز وآخرون غير واضحين. كان وجهها

يبدو تعباً وعادياً، وتذكرت بخزي مفاجئ كيف أن المجلة بقيت لشهر في مغلّفها البريدي في كومة فوق الأريكة قبل أن تفتحها وتجد صورتها. دفع أحدهم بمجلة أخرى نحوها لتوقّعها، فتناست الذكرى. شقت طريقها عبر الغرفة المكتظة وهي تهدي توقيعها، وعبر حشد آخر كان ينتظر في الخارج ويملأ المساحة الفاصلة بين الفضاء حيث لعبت والصالة الرئيسة حيث ما زالت المنافسة جارية. كان مديران يحاولان تهدئة الحشد لكي لا يشوشوا على بقية المباريات عند مرورها، وكان بعض اللاعبين ينظرون بغضب من فوق رقعهم ويكشرون في اتجاهها. كل أولئك الناس مجتمعون حولها، يتدافعون للوصول إليها ويتهافتون عليها بإعجاب؛ كان الأمر مثيراً ومخيفاً. قالت لها واحدة من النساء اللائي تلقّين توقيعها: «أنا لا أعرف شيئاً عن الشطرنج يا عزيزتي لكنني متحمسة جداً من أجلك»، وأصر رجل في منتصف العمر على أن يصافحها وقال: «أنت أفضل شيء حدث للعبة منذ كابابلانكا».

- شكراً، قالت بيث. تمنيت لو كان الأمر بالسهولة نفسها بالنسبة إليّ.

ربما هو كذلك، فكرت بيث. دماغها يبدو بحالة جيدة. ربما هي لم تفسده.

سارت بيث بخطى واثقة تحت أشعة الشمس الساطعة على طول الشارع المؤدي إلى فندقها. ستذهب إلى روسيا بعد ستة أشهر. وافقت كريستشن كروسيد على شراء تذاكر أيروفلوت لها ولبيني ولسيدة من الاتحاد الأميركي للشطرنج، كما ستدفع أيضاً فواتير فندقهم، وبطولة موسكو ستوفر الوجبات. كانت تدرس الشطرنج ست ساعات في اليوم، وبإمكانها المواصلة على ذلك النحو. توقفت

لشراء الأزهار مجدداً؛ اختارت هذه المرة زهور القرنفل. كانت قد طلبت منها موظفة الاستقبال توقيعها البارحة عند عودتها من تناول العشاء، وستجلب لها مزهرية أخرى بكل سرور. قبل مغادرتها إلى كاليفورنيا، أرسلت بيث شيكات عبر البريد للاشتراك في جميع المجلات التي يتصفحها بيني. ستحصل على *Deutsche Schachzeitung*، أقدم مجلة شطرنج، و*British Chess Magazine*، ومن روسيا *Shakhmatni v USSR*، إضافة إلى *Échecs Europe* و*American Chess Bulleting*. كانت تخطط للعب كل مباريات الأساتذة الكبار فيها وحفظ المباريات المهمة منها وتحليل كل النقلات التي أثرت على سيرها أو التي طورت فكرة جديدة لم ترها بيث من قبل. وعند حلول الربيع قد تذهب إلى نيويورك وتشارك في بطولة أميركا المفتوحة وتقضي بعض الوقت مع بيني. كانت الأزهار في يدها متوهجة باللون القرمزي، وأشعرها سروالها الجينز الجديد وقميصها القطني بالانتعاش وهي تسير في هواء سان فرانسيسكو البارد، وفي آخر الطريق كان المحيط الأزرق يحيل على حلم من الاحتمالات اللامتناهية. تاقت روح بيث إلى هذا الحلم في صمت وهي تناجي المحيط.

حين عادت بيث إلى المنزل ومعها كأس البطولة وشيك المرتبة الأولى، وجدت في كومة الرسائل ظرفين إداريين كان أولهما من اتحاد الشطرنج، فيه شيك بقيمة أربعمئة دولار واعتذار قصير لعدم تمكنهم من إرسال مبلغ أكبر، والثاني من كريستشن كروسيد. كان هذا الأخير يحتوي على رسالة من ثلاث صفحات، تتحدث عن ضرورة تعزيز التفاهم الدولي عن طريق القيم المسيحية والقضاء على

الشيوعية في سبيل تلك القيم نفسها. كلمة «هو»[1] المكتوبة بخط سميك جعلت بيث تحس بالاضطراب. وُقّعت الرسالة من طرف أربعة أشخاص بعد عبارة «مع فائق الاحترام وحب المسيح». كان في داخل الظرف أيضاً شيك مطوي بقيمة أربعة آلاف دولار. حملت الشيك في يدها لمدة طويلة. قيمة جائزة سان فرانسيسكو المالية ألفا دولار، وكان عليها دفع نفقات سفرها منها. أما حسابها المصرفي فقد ظل يتضاءل خلال الأشهر الستة الماضية. كان أملها أن تحصل على ألفي دولار من كريستشن كروسيد على أكثر تقدير. مهما كانت أفكارهم مجنونة، فإن هذا المال هدية من السماء. اتصلت بيث ببيني لتطلعه على الخبر السعيد.

صباح يوم الأربعاء، حين عادت من لعب الإسكواش، وجدت الهاتف يرن. خلعت معطفها الواقي من المطر على عجل وألقته على الأريكة ثم رفعت سماعة الهاتف. كان الصوت صوت امرأة.

– هل هذه إليزابيث هارمون؟

– نعم.

– أنا هيلين ديردورف، من ميثوين.

لم تستطع بيث الكلام من شدة الصدمة.

– لدي ما أقوله لك، إليزابيث. توفي السيد شايبل الليلة الماضية. ظننت أنك قد تودين معرفة ذلك.

تراءت لها فجأة صورة الحارس العجوز السمين وهو منحنٍ فوق رقعة شطرنجه في القبو والمصباح الكهربائي العاري فوق رأسه،

(1) الضمير «هو» يعود على السيد المسيح. (المترجم)

وهي تقف بجانبه تراقب تعمده وغرابة وجوده هناك وحده بجانب المدفأة.

- الليلة الماضية؟ سألت بيث.

- كانت نوبة قلبية. كان في الستينيات من عمره.

ما قالته بيث بعد ذلك فاجأها، فقد خرجت الكلمات من فمها من دون تفكير.

- أود أن أحضر الجنازة.

- الجنازة؟ قالت السيدة ديردورف. لست متأكدة متى - لدى السيد شايبل أخت غير متزوجة، اسمها هيلدا شايبل. يمكنك الاتصال بها.

عندما قادتها عائلة ويتلي إلى لكسينغتون قبل ست سنوات، ساروا على طرق إسفلتية ضيقة تمر عبر البلدات، حيث كانت بيث تحدق عبر نوافذ السيارة عند إشارات المرور إلى المارّة وهم يعبرون الطريق ويمشون على الأرصفة المزدحمة أمام المحلات التجارية مرتدين ملابس زاهية. أما الآن، وهي عائدة إلى هناك رفقة جولين، كانت الطريق الإسمنتية مكونة من أربعة ممرات معظمَ الطريق وكانت البلدات مرئية فقط كأسماء مطبوعة على لافتات خضراء.

- كان يبدو كمعتوه لئيم، قالت جولين.

- ولم يكن من السهل لعب الشطرنج معه. أعتقد أنني كنت مرعوبة منه.

- كنت أخاف منهم جميعاً، قالت جولين. اللُّعناء.

تفاجأت بيث بسماع ذلك. كانت جولين في مخيلتها لا تعرف معنى الخوف.

- ماذا عن فيرغوسن؟

- كان فيرغوسن مثل واحة في الصحراء، أجابت جولين، لكنه كان يرعبني في بداية الأمر. اتضح في الأخير أنه طيب. ابتسمت جولين. فيرغوسن يا فيرغوسن.

ترددت بيث لحظة.

- هل كان هناك أي شيء بينكما؟

تذكرت تلك الحبوب الخضراء الزائدة.

ضحكت جولين.

- وددت لو كان ذلك صحيحاً.

- كم كان عمرك عندما أتيت إلى المأوى؟

- ست سنوات.

- هل تعرفين أي شيء عن والديك؟

- أعرف جدتي فقط، وهي ميتة في مكان ما بالقرب من لويسفيل. لا أريد معرفة أي شيء عنهما. لا يهمني ما إذا كنت لقيطة ولا يهمني سبب تركهما لي مع جدتي ولا سبب رميها لي في ميثوين. أنا فقط سعيدة لأنني تحررت من كل ذلك. سأحصل على الماجستير في شهر أغسطس، وأرحل عن هذه الولاية إلى الأبد.

- ما زلت أتذكر والدتي، قالت بيث. لكن ذكرى أبي أقل وضوحاً.

- من الأفضل نسيان كل ذلك، قالت جولين. إن استطعت.

انتقلت جولين إلى أقصى اليسار وتجاوزت شاحنة فحم وسيارتَي تخييم. في الأمام كانت لافتة خضراء تشير إلى المسافة المتبقية إلى ماونت سترلينغ. كان فصل الربيع، وقد مضت سنة بالضبط منذ أن ذهبت آخر مرة في رحلة في سيارة، وقد كانت مع

بيني. فكرت بيث في كآبة بنسيلفانيا تورنبايك. كان هذا الطريق الإسمنتي الأبيض جديداً ومنعشاً، تجاوره حقول كنتاكي والأسوار البيضاء والمزارع من كل جانب.

بعد مدة أشعلت جولين سيجارة وسألتها بيث:

- أين ستذهبين بعد تخرّجك؟

بدأت بيث تظن أن جولين لم تسمعها عندما أجابت أخيراً:

- تلقيت عرضاً من مكتب محاماة أبيض في أتلانتا يبدو واعداً.

صمتت جولين من جديد.

- يريدون زنجياً مستورداً ليسايروا توجهات يومنا هذا.

نظرت بيث إليها.

- لا أعتقد أنني كنت لأتوغل أكثر في الجنوب لو كنت سوداء.

- لكنك لست كذلك، قالت جولين. سيدفع لي هذا المكتب في أتلانتا ضعف ما يمكن أن أحصل عليه في نيويورك. سأتولى العلاقات العامة، وهو المجال الذي أبرع فيه وأعرفه كراحة يدي، وسيعطونني مكتباً فيه نافذتان وفتاة بيضاء لطباعة رسائلي.

- لكنك لم تدرسي القانون.

ضحكت جولين.

- أظن أن ذلك ما يريدونه. حسناً، سلوكم وليفينغستون لا يريدون امرأة سوداء لتقوم بمراجعة الأضرار. ما يريدونه هو امرأة سوداء نظيفة ذات مؤخرة جميلة ورصيد لغوي جيد. عندما أجريت المقابلة، استعملت الكثير من الكلمات مثل «مستهجن» و«ثنائية»، وقد ابتلعوا الطعم على الفور.

- جولين، قالت بيث، أنت أكثر ذكاء من ذلك بكثير. يمكنك التدريس في الجامعة، كما أنك رياضية جيدة...

- أنا أعرف ما أفعله، قالت جولين. ألعب التنس والغولف بشكل جيد كما أنني طموحة. أخذت نفَساً طويلاً من سيجارتها. لا يمكنك تصور كم أنا طموحة. مارست الرياضة بجد، وكان المدربون يتوقعون أني سأصبح محترفة إذا استمررت في ذلك.

- لا يبدو ذلك سيئاً.

أخرجت جولين الدخان من فمها ببطء.

- بيث، قالت، ما أريده هو ما تملكينه أنت. لا أريد أن أتدرب على الباكهاند[1] طوال سنتين لأكون في آخر المطاف مجرد محترفة في دوري للهواة. أنت الأفضل في ما تفعلينه منذ مدة طويلة، حتى أنك نسيت كيف هي الحال بالنسبة إلى بقيتنا.

- وددت لو كنت بنصف جمالك...

- توقفي عن قول ذلك، قالت جولين. لا يمكنك تمضية حياتك أمام مرآة، وعلى أية حال لم تعودي قبيحة. ما أعنيه هو موهبتك. سأقايض مؤخرتي لأتمكن من لعب التنس كما تلعبين أنت الشطرنج.

كان اليقين في صوت جولين غامراً. نظرت بيث إلى وجهها من الجانب، وإلى تصفيفة الأفرو التي تلامس سقف السيارة، وإلى ذراعيها البنيتين الناعمتين الممتدتين إلى يديها اللتين تمسكان بالمقود بثبات، وإلى الغضب الذي يغمر ملامحها، ولم تقل شيئاً.

بعد مرور دقيقة، قالت جولين:

- حسناً، الآن، ها نحن أولاء.

على بعد ميل في اتجاه اليمين انتصبت ثلاث بنايات من طوب

---

(1) نوع من أنواع الضربات في التنس. (المترجم)

غامق اللون وأسقف ومصاريع نوافذ سوداء؛ مأوى ميثوين للأطفال اليتامى.

كان درج خشبي مطلي باللون الأصفر في نهاية ممر خرساني يؤدي إلى المبنى. في وقت مضى، كانت هذه الدرجات تبدو لبيث واسعة ومهيبة، وكانت اللوحة النحاسية الباهتة بمثابة تحذير صارم. أما الآن، فلا يبدو سوى كمدخل لمؤسسة ريفية رثة. كان الطلاء على الدرجات يتقشر والشجيرات المحيطة بها قذرة وأوراقها مغطاة بالغبار. كانت جولين في الملعب تنظر إلى الأراجيح الصدئة والزلاقة القديمة التي لم يُسمح لهم باستخدامها إلا عندما كان فيرغوسن هناك ليشرف عليهم. وقفت بيث على الطريق تحت أشعة الشمس وهي تتفرس في الأبواب الخشبية. في داخل المبنى، يوجد مكتب السيدة ديردورف الكبير ومكاتب أخرى، بينما تستحوذ المكتبة والكنيسة على جناح بأكمله. في الجناح الآخر، كان هناك فصلان دراسيان، وبجوارهما في نهاية الرواق يوجد الباب المؤدي إلى القبو.

لقد كانت مباريات شطرنج صباح الأحد من المسلَّمات بالنسبة إلى بيث. إلى أن جاء ذلك اليوم. ما زالت حنجرتها تنقبض حين تتذكر الصورة الصامتة التي تلي صراخ السيدة ديردورف «إليزابيث!» والحبوب المبعثرة والزجاج المكسر. ثم لا مزيد من الشطرنج. بدلاً منه كانت هناك ساعة ونصف من الكنيسة ثم كان عليها مساعدة السيدة لونسديل في صف الكراسي والاستماع لها وهي تلقي أحاديثها. بعد جمع الكراسي، كان على بيث قضاء ساعة أخرى وهي تكتب الملخص الذي كلفتها به السيدة ديردورف. كانت تكتب

ملخصاً كل أحد لمدة سنة، وكانت السيدة ديردورف ترجعه لها كل اثنين مليئاً بعلامات حمراء ومواعظ مروعة من قبيل «أعيدي الكتابة. تنظيم معيب». كان عليها البحث عن مفردة «شيوعية» في المكتبة لكتابة أول ملخص. كانت بيث قد أحست في قرارة نفسها أنه من المفترض أن تهتم المسيحية بأشياء أخرى غير ذلك.

جاءت جولين ووقفت بجانبها وعيناها نصف مغمضتين بسبب أشعة الشمس.

- تعلمت اللعب هناك؟

- في القبو.

- تباً، قالت جولين. كان عليهم تشجيعك وإرسالك إلى معارض أخرى. إنهم يحبون الإشهار كغيرهم تماماً.

- إشهار؟ كانت بيث تشعر بالدوار.

- الإشهار يجلب النقود.

لم تفكر يوماً أن يشجعها أحد هناك. بدأ عقلها يستوعب الفكرة الآن وهي تقف أمام المبنى. كان من الممكن أن تشارك في بطولات وهي في سن التاسعة أو العاشرة، مثل بيني. كانت ذكية ومتحمسة، وكان عقلها نهماً ومتلهفاً للشطرنج. كان بإمكانها اللعب ضد أساتذة كبار وتعلّم أشياء لن يستطيع شايبل أو غانز تعليمها إياه أبداً. كان غيريف يخطط لأن يصبح بطل العالم حين كان في الثالثة عشرة. لو حظيت بنصف إمكانياته كانت لتكون بمثل براعته وهي في العاشرة. للحظة اندمجت في ذهنها مؤسسة الشطرنج الروسية الاستبدادية برمّتها مع استبداد المكان الذي كانت تقف فيه الآن. المؤسسات. ليس في الشطرنج انتهاك للمسيحية ولا للماركسية. الشطرنج ليس

أيديولوجياً. لم يكن سيضر ديردورف أن تدعها تلعب، أو أن تشجعها على ذلك. كانت ستكون مفخرة ميثوين. كانت تستطيع رؤية وجه ديردورف في ذهنها، الخدان النحيفان المحمران بالروج، والابتسامة الضيقة الموبخة، والبريق السادي في عينيها. لقد أسعدها أن تبعد بيث عن اللعبة التي تحبها. لقد أسعدها ذلك.

- هل تريدين الدخول؟ سألت جولين.

- لا. لنبحث عن ذلك الفندق.

كان في الفندق مسبح صغير على بعد ياردات قليلة فقط من الطريق، وكانت تحيط به بعض أشجار القيقب مرهفة المظهر. كان المساء دافئاً كفاية للسباحة قليلاً بعد العشاء. تبين أن جولين سبّاحة ماهرة، حيث كانت تسبح ذهاباً وإياباً على طول الحوض من دون مجهود يذكر، بينما كانت بيث تطفو تحت لوح الغوص. توقفت جولين بالقرب منها وقالت:

- كنا جبانتَين. كان علينا أن نذهب إلى مبنى الإدارة. كان علينا أن ندخل إلى مكتبها.

أقيمت الجنازة في الصباح في الكنيسة اللوثرية. كان هناك ما يقارب عشرة أشخاص وتابوت مغلق. حجم هذا الأخير كان عادياً، وتساءلت بيث لثانية كيف يمكن أن يناسب رجلاً بمقاس شايبل. على الرغم من أن الكنيسة كانت أصغر، إلا أن الجنازة كانت تشبه إلى حد كبير جنازة السيدة ويتلي في لكسينغتون. بعد مرور الدقائق الخمس الأولى، شعرت بيث بالملل والاضطراب، وكانت جولين غارقة في النوم. بعد المراسم، تبعتا الموكب الصغير إلى القبر. قالت جولين:

- أتذكّر أنه أصابني بالذعر ذات مرة. صرخ عليّ لأبتعد عن

أرضية المكتبة. كان قد قام بمسحها للتو، وكان السيد شل قد أرسلني لإحضار كتاب. العجوز الأخرق، كان يكره الأطفال.

- لم تكن السيدة ديردورف في الكنيسة.

- لم يكن أي منهم هناك.

كان القداس بجانب القبر محبطاً. أنزلوا التابوت وتلا القس صلاة. لم يبك أحد. بدا الجميع وكأنهم ينتظرون في طابور عند نافذة الصراف في البنك. كانت بيث وجولين الشابتين الوحيدتين هناك، ولم يتحدث إليهما أي من الآخرين. غادرتا فور انتهاء الجنازة، وسارتا على طول ممر ضيق في المقبرة القديمة عبر شواهد القبور الباهتة ورقع الهندباء. لم تشعر بيث بأي حزن على الرجل الميت ولا على رحيله. كل ما شعرت به هو الذنب لأنها لم ترسل له العشرة دولارات الخاصة به. كان عليها أن ترسل له شيكاً في البريد منذ سنوات.

كان عليهما المرور بالقرب من ميثوين في طريقهما إلى لكسينغتون. قبل المنعطف بقليل، قالت بيث: «لندخل. هناك شيء أود رؤيته»، فأدارت جولين السيارة وركنتها أمام الميتم.

بقيت جولين في السيارة. ترجلت بيث وشقت طريقها عبر الباب الجانبي لمبنى الإدارة. كان داخل المبنى مظلماً وبارداً. مباشرة أمامها كان باب كُتب عليه: **هيلين ديردورف - المشرفة العامة**. مشت على طول الرواق نحو الباب الموجود في آخره. حين فتحته، رأت ضوءاً في الأسفل ثم نزلت الدرج ببطء.

لم تكن رقعة الشطرنج أو القطع هناك، لكن الطاولة التي كان يلعب فوقها كانت لا تزال قرب المدفأة وكرسيه غير المصبوغ كان

في موضعه المعتاد. المصباح العاري فوقها كان مضاء. وقفت بيث تنظر إلى الطاولة، ثم جلست بعناية على كرسي السيد شايبل ونظرت إلى الأعلى ولمحت شيئاً لم يسبق لها أن رأته.

خلف المكان الذي كانت تجلس فيه للعب، كان هناك لوح تقسيم مصنوع من قطع خشبية عشوائية مثبتة بقضائب. كان هناك تقويم معلق فيها من قبل، فيه صور من بافاريا فوق أيام كل شهر. لا وجود للتقويم الآن، فقد كان اللوح بأكمله مغطى بصور ومقتطفات وأغلفة من **مجلة الشطرنج**، كل منها مثبتة على الخشب بعناية ومغطاة بطبقة من البلاستيك الشفاف للإبقاء عليها نظيفة وخالية من الغبار، بخلاف كل شيء في ذلك القبو القذر. لقد كانت صوراً لها. كانت هناك مباريات مطبوعة من **مجلة الشطرنج** ومقالات صحف من **هيرالد-ليدر** من لكسينغتون **وتايمز** من نيويورك ومن بعض المجلات الألمانية. مقالة مجلة **لايف** القديمة كانت هناك أيضاً، وقربها غلاف **مجلة الشطرنج** الذي يظهرها وهي تحمل كأس بطولة الولايات المتحدة. مُلئت المساحات الصغيرة بصور من الجرائد، بعضها مكرر. كانت هناك على الأقل عشرون صورة.

- هل وجدت ما كنت تبحثين عنه؟ سألتها جولين لدى عودتها إلى السيارة.

- بل أكثر من ذلك، أجابت بيث. كانت على وشك أن تضيف شيئاً لكنها لم تفعل. سارت جولين بالسيارة نحو الخلف وغادرت الموقف واتجهت مجدداً نحو الطريق المؤدي إلى الطريق السريع.

عندما صعدتا المنحدر ودخلتا الطريق السريع، داست جولين على دواسة الوقود بقوة وانطلقت السيارة بسرعة. لم تنظر أي منهما

إلى الوراء. كانت بيث قد توقفت عن البكاء آنذاك وكانت تمسح وجهها بمنديل.

- حمّلت نفسك أكثر من طاقتك أليس كذلك؟ قالت جولين.

- لا. نفخت بيث بأنفها. أنا بخير.

بدت أطول السيدتين مثل هيلين ديردورف. ربما لم تبد مثلها بالضبط، بقدر ما كانت تظهر كتوأم روحي لها. كانت ترتدي بدلة باللون البيج وحذاء ذا كعب عالٍ وكانت تبتسم كثيراً بطريقة خالية تماماً من المشاعر. كان اسمها السيدة بلوكر. كانت السيدة الأخرى ممتلئة ومحرجة قليلاً وكانت ترتدي ثوباً داكناً مطرزاً بالأزهار وحذاء عملياً. كان اسمها الآنسة دودج. كانتا في طريقهما من هيوستن إلى سينسيناتي وزارتا بيث للتحدث معها. جلستا جنباً إلى جنب على أريكة بيث وتحدثتا عن الباليه في هيوستن وكيف أن المدينة تنمو ثقافياً. من الواضح أنهما كانتا تريدان بيث أن تعلم أن كريستشن كروسيد ليست مجرد منظمة أصولية ضيقة الآفاق. من الواضح أيضاً أنهما جاءتا لإلقاء نظرة على بيث. كانتا قد راسلتاها من قبل.

استمعت بيث بتهذيب لهما وهما تتحدثان عن هيوستن والوكالة الجديدة التي تساعدان في إنشائها في سينسيناتي. كانت وكالة لحماية البيئة المسيحية. توقفت المحادثة لبرهة، ثم أخذت الآنسة دودج الكلمة.

- ما نريده حقاً يا إليزابيث هو تصريح.

- تصريح؟ كانت بيث جالسة على كرسي السيدة ويتلي المقابل للأريكة.

تابعت السيدة بلوكر الحديث.

- تود كريستشن كروسيد أن تجعلي موقفك علنياً. في عالم حيث الكثير يبقون صامتين... لم تكمل الجملة.

- أي موقف؟ سألت بيث.

- كما تعلمين، فإن انتشار الشيوعية هو أيضاً انتشار للإلحاد.

- أفترض ذلك، قالت بيث.

- هذه ليست مسألة افتراض، قالت السيدة بلوكر بسرعة. إنها الحقيقة. حقيقة ماركسية لينينية. الكلمة المقدسة بمثابة لعنة بالنسبة إلى الكرملين، ومن أهم أهداف كريستشن كروسيد محاربة الكرملين وكل الملحدين الموجودين فيه.

- ليس لدي أي اعتراض على ذلك، قالت بيث.

- جيد. نريد تصريحاً. قالت السيدة بلوكر ذلك بطريقة توحي بشيء التقطته بيث من قبل في طريقة كلام السيدة ديردورف. كانت نبرة المتنمر المتمرس. أحست بيث بالشعور نفسه الذي يعتريها حين يستخدم لاعب ملكته ضدها مبكراً.

- تريدين مني أن أقدم تصريحاً للصحافة؟

- تماماً! قالت السيدة بلوكر. إذا كانت كريستشن كروسيد سـ - توقفت عن الكلام ولمست الظرف المتواجد في حضنها كأنها تقدر وزنه. لقد حضّرنا شيئاً مسبقاً.

نظرت إليها بيث بذهول ولم تقل شيئاً.

فتحت السيدة بلوكر الظرف وأخرجت ورقة مطبوعة وأعطتها لبيث.

كانت من نفس نوع ورق الرسالة الأولى الذي طبعت فيه لائحة من الأسماء في الجانب. نظرت بيث إلى اللائحة ووجدت «تيلسا ر.

بلوكر، الأمينة التنفيذية»، فوق ستة أسماء لرجال كتب أمامها المختصر «.Rev»[1]، ثم قرأت التصريح بعجالة. بعض العبارات كانت مسطّرة، مثل «**الرابطة الشيوعية الملحدة**» و«**المسعى المسيحي للنضال**». رفعت بيث نظرها عن الورقة ونظرت إلى السيدة بلوكر، التي كانت تجلس وركبتاها ملتئمتان تنظر حول الغرفة بنفور مكبوح.

- أنا لاعبة شطرنج، قالت بيث بهدوء.

- بالطبع أنت كذلك عزيزتي، قالت السيدة بلوكر. كما أنك مسيحية.

- لست متأكدة من ذلك.

حدّقت فيها السيدة بلوكر.

- اسمعي، قالت بيث، أنا لا أنوي أبداً قول شيء كهذا.

انحنت السيدة بلوكر نحو الأمام وأخذت التصريح.

- لكن كريستشن كروسيد استثمرت قدراً كبيراً من المال...

كان في عينيها بريق رأت بيث مثله من قبل.

وقفت بيث. «سأرجع المال». ذهبت إلى المكتب وأخرجت دفتر شيكاتها. للحظة أحست أنها منافقة وبلهاء. هذا المال كان من أجل تذاكر سفرها هي وبيني والسيدة التي سترافقهم من الاتحاد. كان سيغطي فاتورة الفندق والنفقات الإضافية في الرحلة أيضاً. لكن في أسفل الشيك الذي أرسلوه إليها قبل شهر، في المكان الذي يكتب فيه عادة «بدل إيجار» أو «فاتورة كهرباء» لبيان الغرض من المال، كتب شخص ما -على الأرجح السيدة بلوكر- «في خدمة المسيح». ملأت بيث شيكاً بقيمة أربعة آلاف دولار لكريستشن

---

(1) قس. (المترجم)

كروسيد، وفي المساحة الموجودة في الأسفل كتبت «إرجاع كامل للمبلغ». كان صوت الآنسة دودج لطيفاً بشكل مفاجئ. «آمل أنك تعين ما تفعلينه يا عزيزتي». بدت قلقة بصدق.

- آمل ذلك أيضاً، ردّت بيث.

ستغادر طائرتها إلى موسكو في غضون خمسة أسابيع.

ردّ بيني على الهاتف عند الرنة الأولى.

- أنت مجنونة، قال عندما حكت له ما جرى.

- في كل الأحوال، لقد قضي الأمر، قالت بيث. ولا يمكن الرجوع فيه.

- هل دُفع ثمن التذاكر؟

- لا ، قالت بيث. لم يُدفع ثمن شيء.

- عليك أن تدفعي المال مسبقاً لإينتوريست من أجل الفندق.

- أعلم ذلك. لم ترق نبرة بيني لبيث. لدي ألفا دولار في حسابي المصرفي. كان سيكون المبلغ أكثر من ذلك، لكني كنت أهتم بشؤون هذا المنزل. سنحتاج إلى ثلاثة آلاف أخرى على الأقل.

- لا أملك ذلك المبلغ، قال بيني.

- ما الذي تعنيه؟ لديك المال.

- **لا أملك ذلك المبلغ**. كان هناك صمت طويل. يمكنك الاتصال بالاتحاد، أو مكتب وزارة الخارجية.

- لا يستلطفونني في الاتحاد، قالت بيث. يظنون أنني لم أفعل ما بوسعي من أجل الشطرنج.

- كان عليك الظهور في **تونايت** وفيل **دوناهو**.

- اللعنة يا بيني، قالت بيث. توقف عن ذلك.

- أنت مجنونة، قال بيني. لِمَ تكترثين لما يؤمن به أولئك الحمقى؟ ما الذي تحاولين إثباته؟

- بيني. لا أريد الذهاب إلى روسيا وحدي.

ارتفعت نبرة بيني فجأة وصرخ:

- أيتها الحمقاء، أيتها الحمقاء المجنونة اللعينة!

- بيني...

- أولاً، لم تعودي إلى نيويورك، ثم ترتكبين هذه الحماقة. تباً لك. فلتذهبي وحدك.

- ربما لم يكن عليّ القيام بذلك. بدأت بيث تحس بالبرودة في أعماقها. ربما لم يكن عليّ إرجاع الشيك إليهم.

- «ربما» هي كلمة للفاشلين. كان صوت بيني كالصقيع.

- بيني، أنا آسفة.

- سأقفل الخط، قال بيني. كنتِ صداعاً في الرأس حين التقيت بك أول مرة، وما زلتِ كذلك الآن. لا أريد أن أتحدث معك بعد اليوم.

أقفل الخط. وضعت بيث الهاتف في مكانه. لقد أفسدت الأمر. لقد فقدت بيني.

اتصلت بالاتحاد وكان عليها الانتظار على الخط لمدة عشر دقائق قبل أن يجيبها المدير. كان لطيفاً ومتعاطفاً وتمنى لها التوفيق في موسكو، لكنه قال إنهم لا يملكون المال الكافي لدعمها.

- معظم ما نملك يأتي من المجلة. الأربعمئة دولار التي أرسلناها هي كل ما يمكننا تقديمه.

لم يعاود أحد الاتصال بها من واشنطن إلا في صباح الغد.

كان شخصاً اسمه أومالي من الشؤون الثقافية. حين أخبرته بالمشكلة، استمر في الحديث عن مدى حماسهم هناك في وزارة الخارجية، بسبب «تلقينها درساً للروس في لعبتهم الخاصة». سألها كيف يمكنه المساعدة.

- أحتاج إلى ثلاثة آلاف دولار على الفور.

- سأرى ما يمكنني فعله، قال أومالي. سأعاود الاتصال بك في غضون ساعة.

ولكنه لم يتصل مجدداً إلا بعد مرور أربع ساعات. سارت بيث حول المطبخ وحول الحديقة وأجرت مكالمة سريعة مع آن ريردون، التي كان من المقرر أن تكون المرافقة المطلوبة من قبل كريستشن كروسيد. حصلت آن ريردون على تصنيف نسائي يبلغ 1900 نقطة أو نحو ذلك، وكانت على الأقل على دراية باللعبة. كانت بيث قد هزمتها مرة في مكان ما في الغرب، وحطمت قطعها من دون رحمة على الرقعة. لم يرد أحد على الهاتف. أعدّت بيث لنفسها القهوة وأخذت تتصفح بعض نسخ *Deutsche Schachzeitung*، في انتظار المكالمة. كادت تشعر بالغثيان بسبب تفريطها في أموال كريستشن كروسيد بتلك الطريقة. أربعة آلاف دولار - مقابل موقف. أخيراً رن الهاتف.

كان أومالي مجدداً. لم يحالفه الحظ. كان شديد الأسف، لكن لم تكن هناك طريقة لتسليم الأموال الحكومية إليها من دون مزيد من الوقت والموافقات.

- لكننا سنرسل أحد رجالنا معك.

- أليست لديكم مصروفات نثرية أو شيء من هذا القبيل؟ سألت

بيث. لست بحاجة إلى أموال لتقويض الحكومة في موسكو. أنا فقط أريد أن يرافقني بعض الناس لمساعدتي.

- أنا آسف، قال أومالي. أنا آسف حقاً.

بعد إنهاء المكالمة، عادت بيث إلى الحديقة. سترسل الشيك إلى مكتب إينتوريست بواشنطن في الصباح. كانت ستذهب بمفردها، أو مع أي كان من توكله وزارة الخارجية للذهاب معها. كانت قد درست اللغة الروسية، لذلك لن تكون تائهة تماماً، وسيتحدث اللاعبون الروس اللغة الإنجليزية على أي حال. يمكنها القيام بتدريبها الخاص. كانت تتدرب وحدها لعدة أشهر. أنهت كوب قهوتها. لقد تدربت وحدها معظم سنوات حياتها.



الفصل الرابع عشر

كان عليهما الجلوس في قاعة انتظار بمطار أورلي لسبع ساعات متواصلة، وحينما حل وقت الصعود إلى طائرة الأيروفلوت، كان على امرأة شابة في زي أخضر زيتوني أن تضع ختماً على تذاكر الجميع والتأكد من جوازات سفرهم، بينما انتظرت بيث والسيد بوث في مؤخر الصف لساعة إضافية. لكنها ابتهجت حين بلغت مقدمة الصف أخيراً، فقالت المرأة: «بطلة الشطرنج!» وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، تلتها إشراقة مفاجئة لملامحها. حينما ابتسمت بيث في وجهها، قالت المرأة: «حظاً طيباً!» كما لو أنها قصدت ذلك فعلاً. كانت المرأة، بالطبع، روسية. لم يكن أي مسؤول في أميركا ليتعرف على اسم بيث.

كان مقعدها قرب نافذة في مؤخر الطائرة، ذا تنجيد بلاستيكي بني اللون وأغطية أذرع بيضاء اللون. أخذ السيد بوث مقعده بجوارها. أخذت تنظر عبر النافذة إلى سماء باريس الرمادية، المياه المنتشرة في برك حول المدارج، وسنى الطائرات الخافت تحت التساقطات المسائية. أحست كما لو أنها وصلت موسكو بالفعل. بعد بضع دقائق، تقدم مضيف بين الصفوف يقدم أكواباً من الماء.

أفرغ السيد بوث زهاء نصف كأسه في جوفه ثم دس يده في جيب سترته. بعد قليل من التلمّس، أخرج قارورة فضية صغيرة سحب غطاءها بأسنانه. ملأ الكأس بالويسكي، أعاد وضع الغطاء، ثم أعاد القارورة إلى مخبئها. ثم حمل الكأس نحو بيث بطريقة لامبالية، فحركت رأسها بالنفي. لم يكن ذلك يسيراً عليها. كان الشراب ليخفف عنها. لكن لم ترقها تلك الطائرة غريبة الشكل، ولم يرقها الرجل الجالس بجوارها.

لم تستلطف السيد بوث، في الحقيقة، منذ لقائهما أول مرة في مطار كينيدي وتقديمه لنفسه. مساعد كاتب الشؤون الثقافية. سيحرص على أن يطلعها على مجرى الأمور في موسكو. لم تكن ترغب في أن يريها أحد كيف تتصرف - خصوصاً هذا الرجل ذا الصوت الأجش في بدلته الغامقة، حاجبَيه المقوّسَين، وضحكته المسرحية المتكررة. حينما قدم معلومة كونه لعب الشطرنج في جامعة ييل في الأربعينيات، لم تقل شيئاً؛ تحدث عن الأمر كما لو كان ضلالاً مشتركاً بينهما. ما كانت تريده فعلاً هو السفر مع بيني واتس. لم تكن قادرة حتى على الوصول إلى بيني في الليلة السابقة. كان خطه مشغولاً خلال المرتين الأولى والثانية، ثم بعد ذلك، لا جواب. تلقت رسالة من الاتحاد الأميركي للشطرنج بتمنيات طيبة، وكان ذلك كل شيء.

وضعت رأسها على مسند رأس المقعد، أغمضت عينيها وحاولت الاسترخاء، متجاهلة الأصوات -الروسية، الألمانية والفرنسية- التي تحيط بها. في أحد جيوب حقيبة يدها، كانت قارورة تحوي ثلاثين حبة خضراء. لم تأخذ أياً منها لما يفوق الستة أشهر، لكنها قد تفعل على هذه الطائرة لو دعت الضرورة إلى ذلك. سيكون ذلك أفضل من الكحول بكل تأكيد. كانت بحاجة إلى

الراحة. جعل الانتظار الطويل بالمطار أعصابها مرهقة. وقد حاولت الاتصال بجولين مرتين من دون جدوى.

ما كانت بحاجة إليه حقاً هو وجود بيني واتس برفقتها هنا. لو أنها لم تتصرف بحمق، رادّةً ذاك المال، متّخذةً موقفاً في شيء لم تكن تبالي به فعلاً. لم يكن الأمر كذلك. لم تكن لئيمة برفضها لأن يتم التنمر عليها، لكشف خدعة تلك المرأة. لكنها كانت بحاجة إلى بيني. لوهلة، سمحت لنفسها بتخيّل السفر برفقة د. ل. تاونز، معاً في موسكو. لكن ذلك لا يغير شيئاً. كانت مشتاقة إلى بيني، وليس تاونز. اشتاقت إلى ذهن بيني الحاد والمتنبّه، إلى حكمه على الأمور، وإلى عناده، وإلى معرفته بالشطرنج وبها. كان ليجلس في المقعد المجاور، وكانا ليتحدثا عن الشطرنج، وفي موسكو، بعد مبارياتها، كانا ليحلّلا لعِبها ويضعا خطة للمنافس المقبل. كانا ليتناولا وجبتيهما معاً في الفندق، كما كانت تفعل مع السيدة ويتلي. كانا ليَريا موسكو معاً. لكن بيني كان في نيويورك، بينما كانت هي على متن طائرة حالكة متوجهة إلى أوروبا الشرقية.

ما إن اخترقت الطائرة السحب الثقيلة وتسنّى لها أن تنظر من أعلى إلى روسيا، التي كانت تبدو من العلو أشبه بكنتاكي من أي شيء آخر، كانت قد تناولت ثلاث حبات، حظيت بنوم لائق لبضع ساعات وبدأت تحس بذاك الوخز في عينيها الذي كانت تحس به بعد رحلة طويلة في الحافلة. تذكرت تناولها للحبات في منتصف الليل. تمشّت نحو الحمام عبر ممر مليء بأناس نيام وجلبت بعض الماء في كوب بلاستيكي غريب الشكل.

اتضح لاحقاً أن السيد بوث كان مفيداً بخصوص معاملات الجمارك. كانت لغته الروسية جيدة، ووجّهها نحو المخدع المناسب

من أجل التفتيش. فاجأها اليسر الذي مضى به الأمر: قام رجل متقدم في السن في الزي الموحد بتفتيش أمتعتها من دون تمحيص، دس أصابعه في أركان الحقائب لبضع مرات، ثم أغلقها. وكان ذلك كل شيء.

حينما خرجا من البوابة، كانت سيارة ليموزين من السفارة في انتظارهما. مضت بهما السيارة عبر حقول حيث الرجال والنساء يعملون تحت أشعة الشمس الصباحية الباكرة، وفي مكان ما على الطريق، شاهدت ثلاثة جرارات ضخمة -أضخم من أي شيء آخر رأته عيناها في أميركا- وهي تمضي ببطء عبر حقول امتدت على لمح البصر. كانت الحركة المرورية على الطريق شبه منعدمة. بدأت السيارة تمر بمحاذاة بنايات من ستة وثمانية طوابق بنوافذ صغيرة، وبما أنه كان أحد صباحات يونيو الدافئة -ولو أنه كان تحت سماء رمادية- فقد كان الناس جالسين أمام أبواب بيوتهم. ثم بدأت الطريق تتسع، ومروا أمام حديقة خضراء صغيرة، ثم واحدة أخرى مترامية الأطراف، وبعد ذلك أمام بنايات جديدة وعملاقة بدت كما لو أنه تم بناؤها لتدوم إلى الأبد. بدأت الحركة المرورية تشتدّ أكثر الآن، وكان هناك أناس على دراجات هوائية على جانب الطريق، بينما كان راجلون كثر على الأرصفة.

كان السيد بوث متكئاً نحو الخلف في بدلته المتغضّنة، بعينَين نصف مغمضتَين. جلست بيث في مؤخر السيارة الطويلة وجسمها متصلّب، تنظر خارج النافذة التي على جوارها. لم يكن في موسكو أي شيء يجعل المرء يشعر بالتهديد: كانت تبدو مثل أي مدينة كبيرة أخرى. لكنها لم تستطع جعل دواخلها تسترخي. ستبدأ البطولة صباح اليوم التالي. كانت تشعر بوحدة تامة، وكانت مرتعبة.

حدّثها أستاذ الجامعة كيف أن الروس يشربون الشاي من كؤوس زجاجية، ويتم ترشيحه عبر مكعبات سكرٍ يقبضون عليها بين أسنانهم، لكن الشاي الذي جرى تقديمه في هذا البهو كان بكؤوس خزفية مزينة بنقوش إغريقية مذهّبة. جلست في كرسيها الفيكتوري، بمسند عالٍ للظهر، وركبتاها مضغوطتان معاً، تمسك الصحن الدائري الصغير والفنجان الذي يعلوه، وحاولت الإنصات بانتباه إلى ما يقوله المدير. تحدّث ببضع جمل بالإنجليزية، ثم بالفرنسية. ثم بالإنجليزية مجدداً: مرحباً بالزوار في الاتحاد السوفياتي؛ ستبدأ المباريات في تمام العاشرة صباحاً كل يوم؛ سيتم تعيين حَكم لكل رقعة، ويجب الالتجاء إليه في حال وجود أي مخالفة. لن يسمح بالتدخين أو الأكل خلال وقت اللعب. تم تعيين مرافقِين في حال كانت هناك ضرورة لاستخدام الحمام. وسيكون من الملائم رفع اليد اليمنى في تلك الحالة.

كانت الكراسي مصفوفة على شكل دائري، وكان المدير على يمين بيث. على الجهة المقابلة منها، جلس ديميتري لوتشينكو، فيكتور لاييف وليونيد شابكين، جميعهم في بدلات أنيقة، قمصان بيضاء، وربطات عنق داكنة. قال السيد بوث إن الروس يرتدون ملابسهم كما لو أنهم اختاروها من كتالوغ مونتغمري وارد[1]، لكن هؤلاء الرجال كانوا متأنقين، في معاطف صوفية رمادية فاخرة. هؤلاء الثلاثة فقط -لوتشينكو، ولاييف، وشابكين- يشكلون بانثيون، كوكبة لامعة، كانت مؤسسة الشطرنج الأميركية برمّتها لتشعر

(1) Montgomery Ward: سلسلة متاجر توصل بضائعها بالبريد إلى القرى والأرياف في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأميركية. (المترجم)

بالخزي لو أنها وقفت بجوارهم. وعلى يسارها كان فاسيلي بورغوف. لم تستطع جعل نفسها تنظر باتجاهه، لكنها كانت تستطيع شم العطر الذي كان يضعه. بين بورغوف واللاعبين الروس الثلاثة الآخرين، كان هناك بانثيون آخر لا يتخلّف إلا بقليل عن الكوكبة - جورج فلنتو من البرازيل، بيرنت هلشتروم من فلندا، وجان-بول دوهاميل من بلجيكا، يرتدون بدلات محافِظة أيضاً. احتست شايها وحاولت أن تبدو هادئة. تدلّت أمام النافذة الطويلة أقمشة كستنائية ثقيلة، بينما كانت الكراسي مُنجّدَة بكستنائي مخملي الملمس، تتخلله خيوط مذهّبة. كانت التاسعة والنصف صباحاً، وكان الصباح الصيفيّ في الخارج بديعاً، لكن الأقمشة كانت تغطي النوافذ بشكل كامل. بدا السجاد الشرقي على الأرضية كما لو أنه جُلب من متحف. وكانت الجدران مكسوّة بخشب الورد.

رافقتها امرأتان إلى المكان قادمتين من الفندق. صافحت بقية اللاعبين، بعد ذلك جلسوا بهذه الوضعية لمدة نصف ساعة. في غرفة فندقها الشاسعة والغريبة، كان أحد الصنابير يقطر بمكان ما، وبالكاد تمكنت من النوم. كانت ترتدي فستانها الأنيق الأزرق الغامق منذ السابعة والنصف، وأحست بأنها بدأت تتعرّق. كان النايلون يحيط ساقَيها بغلاف من الدفء. بلغ شعورها بأنها في مكان لا تنتمي إليه نهايته. كلما نظرت إلى الرجال حولها، كانوا يبتسمون بخفة لا تكاد تُرى. أحست كما لو أنها طفلة في مجلس للبالغين. أحست بالصداع. سيتوجب عليها أن تطلب من المدير الأسبيرين.

ثم، أنهى المدير خطابه فجأة، ووقف الرجال. قفزت بيث من مكانها لتنتصب على قدميها، فاهتز الفنجان على الصحن. هرع النادل في بلوزته البيضاء -والذي كان قد قدم لهم الشاي- نحوها

ليأخذ عنها. أما بورغوف، الذي كان قد تجاهلها تماماً باستثناء المصافحة الاعتباطية في بداية اللقاء، فقد واصل تجاهلها حين مر من أمامها واتجه نحو الباب الذي كان المدير قد قام بفتحه. تبعه الآخرون، بيث تمشي خلف شابكين وأمام هلشتروم. حين تجاوزوا الباب نحو ممر مفروش بالسجاد، توقف لوتشينكو للحظة والتفت إليها. «أنا مسرور لتواجدك هنا»، قال. «أتحرق شوقاً لمواجهتك». كان شعره الأبيض طويلاً مثل قائد أوركسترا وكان يرتدي ربطة عنق رمادية خلابة، تحت ياقة بيضاء. لم يكن بالإمكان التشكيك في الدفء البادي على محيّاه. «شكراً»، قالت. كانت قد قرأت عن لوتشينكو في الثانوية؛ كانت **مجلة الشطرنج** قد تحدثت عنه بالانبهار نفسه الذي أحست به بيث الآن. كان بطل العالم حينها، ثم انهزم أمام بورغوف في مباراة طويلة قبل سنوات.

مشوا عبر الممر لمسافة طويلة قبل أن يتوقف المدير أمام باب آخر ويفتحه. تقدم بورغوف أولاً، ثم تبعه الآخرون.

كانت الغرفة أشبه بردهة، بباب مغلق بالطرف القصي. كان بإمكان بيث سماع موجة صوت بعيدة، وحينما تقدم المدير لفتح الباب، صار الصوت أقوى. لم يكن بالإمكان تمييز أي شيء عدا ستار غامق اللون، لكن حين بدا لها ما كان من حوله، حبست أنفاسها. كانت تواجه حلبة لعب كبيرة مملوءة بالناس. كان ذلك أشبه بالمنظر من خشبة المسرح الوطني ومقاعده مملوءة عن آخرها. امتد الجمهور نحو الخلف لمئات الياردات، ووُضعت في الممر الفاصل كراسي قابلة للطي حيث كانت مجموعات متفرقة من الناس يتحدثون. وما إن تقدم اللاعبون فوق سجاد الخشبة حتى خيّم الصمت على المكان. حدّق الجميع باتجاههم. في الطابق الذي

يعلو الخشبة كانت هناك شرفة واسعة، بلافتة حمراء عريضة، وفوقها اصطفت صفوف وصفوف من الوجوه.

على الخشبة، كانت هناك أربع طاولات، كل منها بحجم مكتب. كانت جميعها جديدة وأنيقة بطريقة لا تخطئها عين، وعلى كل منها وُضعت رقعة شطرنج كبيرة، حيث تم ترتيب القطع في مكانها. على يمين اللاعب بالقطع السوداء، وضعت ساعات خشبية كبيرة الحجم، وعلى يمين اللاعب بالقطع البيضاء، وُضع إبريق ماء وكأسان. تم إعداد الكراسي كي يرى الجمهور اللاعبين من الجانب. خلف كل منها وقف حَكم ذكر في قميص أبيض وربطة عنق سوداء، وخلف كل حكم عُلّقت لوحة عرض كبيرة تبدو القطع عليها كما في بداية المباراة. كانت الإضاءة ساطعة، لكنها لم تُسلّط بشكل مباشر، قادمة من سقف مُضاء يعلو منطقة اللعب.

ابتسم المدير في وجه بيث، أخذ بيدها ثم قادها نحو وسط الخشبة. لم يبدر عن الجمهور أدنى صوت. تحدث المدير عبر مايكروفون عتيق انتصب وسط الخشبة. رغم أنه كان يتحدث بالروسية إلا أن بيث فهمت الكلمات «شطرنج» و «الولايات المتحدة الأميركية»، وأخيراً اسمها: إليزابيت هارمون. كان التصفيق مفاجئاً، حاراً ومدوّياً؛ شعرت به يسري عبر جسدها. رافقها المدير إلى كرسيها في الركن البعيد، وأجلسها خلف القطع السوداء. ثم راقبته وهو يجلب كلاً من اللاعبين الأجانب من أجل تقديم يليه تصفيق حار. بعد ذلك، أتى الدور على الروس، بداية بلاييف. صار التصفيق يصم الآذان، وحين وصل إلى آخرهم، فاسيلي بورغوف، استمر التصفيق بالتصاعد.

كان لاييف منافسها في المباراة الأولى. اتخذ مكانه على

الكرسي المقابل لها خلال الحفاوة التي حظي بها بورغوف، وقد رمقته بنظرة سريعة خلال ذلك. كان لاييف في عقده الثالث. ازدان وجهه الشبابي النضر بابتسامة صغيرة، لكن الملل كان بادياً على حاجبيه، وبأنامل نحيفة كان يطرق على الطاولة بخفة ودون أن يصدر عنه أدنى صوت.

حين خفتت التصفيقات وتلاشت، مضى المدير -وهو محمرّ الوجنتين من أثر الابتهاج- نحو طاولة بورغوف، الذي كان يلعب بالقطع البيضاء، ونقر الساعة بخفّة. ثم مضى نحو الطاولة التالية وفعل الشيء ذاته. ثم الطاولة التي تليها. وحين وقف عند طاولة بيث، ابتسم بشكل واضح في وجه اللاعبَين، ثم ضغط على الزر الذي من جهة بيث، مطلِقاً ساعة لاييف.

تنهد لاييف بهدوء وحرك بيدق ملكه إلى الصف الرابع. ردّت بيث، من دون تردد، بتقديم بيدق فيل ملكتها، وقد بدأت الراحة تغمرها لأنها بصدد لعب مباراة شطرنج لا غير. كانت القطع كبيرة وصلبة؛ برزت أشكالها على الرقعة بوضوح مريح، كل قطعة على مربعها الخاص بالوسط تماماً، منحوتة بدقة، باستدارة مثالية، وزوايا مصقولة، مدهونة بطبقة طلاء برّاق. لم تكن الرقعة براقة، مُلبّسة بالنحاس على طول حوافها الخارجية. كان مقعدها من مادة صلبة، لكنه كان ناعماً؛ كانت قد عدلت نفسها لتجلس في وضع أكثر ملاءمة، تشعر براحة المقعد، وتشاهد لاييف يحرك حصان الملك إلى مربع الفيل الثالث. التقطت حصان ملكتها، مستمتعة بثقل القطعة بين أناملها، ووضعته في مربع فيل الملكة الثالث. دفع لاييف بيدق ملكته إلى المربع الرابع؛ أخذت ببيدقها، ثم وضعت بيدقه على يمين الساعة. الحكم، مولياً إياهما ظهره، كان ينقل كل الحركات على

اللوحة الكبيرة. كانت ما تزال تشعر بتشنّج في كتفيها، لكنها بدأت تسترخي قليلاً. كانت في روسيا، وكان الأمر غريباً، لكن الأمر كان ما يزال بخصوص الشطرنج.

كانت بيث على دراية بأسلوب لاييف من خلال دراستها للنشرات، وكانت متيقنة أنه إذا ما لعبت البيدق إلى مربع الملك الرابع في النقلة السادسة، فسيتبعها بتفريع بوليسلافسكي بنقل حصانه إلى مربع الفيل الثالث ومن ثم يقوم بالتبييت على جناح الملك. فقد سبق له أن فعل الشيء ذاته ضد بتروسيان وتال سنة 1965. أحياناً، يقوم اللاعبون بنقلات جديدة وغريبة في بطولات مهمة، نقلات تتطلب الاستعداد لأسابيع مسبقاً، لكن حدسها يخبرها أن الروس لن يغامروا بفعل ذلك في مباراة ضدها. على حد علمهم، لا يختلف مستوى لعبها عن مستوى بيني واتس، ولاعبون مثل لاييف لا يضيعون وقتهم في الاستعداد لمباراة ضد بيني. فحسب معاييرهم، لم تكن بيث لاعبة مهمة، وأكثر ما كان يميزها هو جنسها. بل وحتى ذلك لم يكن مميزاً بالنسبة إلى الروس. كانت هناك امرأة تدعى نونا غابريندااشفيلي واجهت جميع الأساتذة الروس الكبار سابقاً لعدة مرات، رغم أن مستواها ليس في مستوى هذه البطولة. يتوقع لاييف أن يفوز بسهولة. أخرج حصانه وقام بالتبييت كما توقّعت بالضبط. تفاءلت بيث بخصوص ما قرأته قبل ستة أشهر مضت، فمن الجميل أن تعرف ما تتوقعه. وقامت بالتبييت.

بعد أن اجتازا الافتتاحية من دون أرتكاب أي خطأ، تباطأ لعبهما تدريجياً مع وصولهما إلى مرحلة منتصف اللعبة ووضعيتاهما متوازنتان، بنقصان حصان وفيل لكل منهما وحماية الملكين، فلا وجود لأي ثغرة في وضعيتيهما. عند النقلة الثامنة عشرة كان هناك

توازن خطير على الرقعة. لم يكن هذا هو الشطرنج الهجومي الذي بنت به بيث سُمعتها الأميركية، كان شطرنجاً غير معروف، خفيّ وجلي.

وبما أن لاييف يلعب بالقطع البيضاء، فهو ما زال يملك الأفضلية، راوغها بنقلات مراوِغة وحذقة. إلا أن بيث تحدّتها ولم تخسر نقلة ولا موقفاً. عند النقلة الرابعة والعشرين، وجدت فرصة للإبداع، وذلك بفتح عمود لقلعتها على جناح الملكة مع إجباره على إرجاع فيل. عندما قامت بهده النقلة، درسها لاييف لبعض من الوقت ثم نظر إليها بنظرة مختلفة، وكأنه يراها لأول مرة. غمرتها نشوة آنذاك. درس الرقعة مجدداً ثم سحب فيله إلى الوراء. قدمت هي قلعتها إلى الأمام، وكانا الآن متعادلَين.

وبعد خمس نقلات وجدت طريقة للتقدم عليه. دفعت ببيدق إلى الصف الخامس، مقدّمة إياه كتضحية. وبهذه النقلة، وهي من أجمل ما قامت به من نقلات على الإطلاق، وبحركة هادئة كالحركات التي سبقتها، انتقل لاييف إلى الدفاع. لم يأخذ البيدق لكنه كان مضطراً إلى إرجاع الحصان الذي هاجمه البيدق إلى مربع ملكته الثاني. نقلت قلعتها إلى الصف الثالث وكان عليه أن يرد على ذلك. لم تقسُ عليه وإنما كانت تضغط بلطف. وشيئاً فشيئاً، بدأ يتنازل محاولاً أن يبدو غير مكترث للأمر. وبالرغم من ذلك، لا بد أنه كان مندهشاً، فلا يفترض بالأساتذة الروس الكبار أن يقعوا في مواقف كهذه ضد فتاة أميركية. تابعت مطاردته، وأخيراً وصلت إلى اللحظة التي ستنقل فيها حصانها إلى مربع الملكة الخامس حيث لا يستطيع زعزعته. وضعته في ذلك المربع، وبعد نقلتين، وضعت قلعتها على عمود الحصان، فوق ملكه مباشرة. تمعّن في هذه الوضعية جيداً لبعض

الوقت وساعته تعد الثواني بصوت مرتفع، ثم قام بما كانت تنتظره بيث على أحر من الجمر. دفع بيدق فيل ملكه ليهاجم به القلعة وضغط على ساعته من دون أن ينظر إليها.

لم تتردّد بيث في التقاط فيلها وتُسقط به بيدقه، مضحية بالفيل. عندما سجل الحكم نقلتها على لوحة العرض، تلقت تجاوباً مسموعاً من الجمهور وهم يهمسون. سيتوجب على لاييف أن يفعل شيئاً ما، لا يمكنه أن يتجاهل الفيل. بدأ التوتر يظهر على يديه، إذ تتخلل إحداهما شعره، بينما تدق الأخرى بأناملها على الطاولة. استندت بيث إلى ظهر كرسيها وتمطّت. لقد نالت منه.

عدّت الساعة عشرين دقيقة وهو يدرس هذه النقلة إلى أن نهض عن الطاولة ومدَّ يده. نهضت بيث بدورها وصافحته. ظل الجمهور صامتاً. قدم مدير البطولة وصافحها هو الآخر ثم رافقته خارج القاعة تحت تصفيقات بدأت فجأة.

كان من المفترض أن تتناول بيث غداءها مع السيد بوث وأناس آخرين أتوا من السفارة. فولجت بهو الفندق الشاسع الذي بدا كصالة ألعاب رياضية مفروشة بالزرابي وكراسي من الطراز الفيكتوري مرتبة على امتداد حيطانه. ولكنه لم يكن هناك. كانت لدى موظفة الاستقبال ورقة فيها رسالة موجهة إلى بيث مكتوب فيها: «أنا فعلاً آسف جداً، تلقينا شغلاً هنا ولن نستطيع المجيء، سأبقى على تواصل معك». كانت الرسالة مكتوبة بآلة وكذلك اسم السيد بوث في أسفل الورقة. وجدت بيث أحد مطاعم الفندق -صالة ألعاب رياضية أخرى مفروشة بالسجاد- وكان مستواها باللغة الروسية كافياً لطلب «بلينشيكي» وشاي ومربى التوت البري. بدا وجه النادل ذو الأربعة

عشر عاماً تقريباً جدياً، قدم كعكات الجريش الصغيرة على صحنها ووضع الزبدة الذائبة والكافيار والكريمة الحامضة بملعقة فضية. لم يكن هناك في المطعم سوى مجموعة من الرجال المسنّين يرتدون زي ضباط القوات العسكرية ورجلان آخران يبدوان سلطويَّين ببدلتيهما ذات الثلاث قطع. وبعد لحظات، أتى نادل آخر يحمل على صينية فضية إبريقاً يحتوي ما يشبه الماء وبجانبه كأس صغير. ابتسم وقال: «فودكا؟».

هزت برأسها بسرعة وردت عليه: «Nyet» ثم سكبت لنفسها كأس ماء من الإبريق الزجاجي الموضوع في وسط الطاولة.

كان لديها وقت فراغ في المساء وكانت هذه فرصتها للتجول في ساحة سفيردلوف وبيلي غورود ومتحف سانت بازيل، لكن لم تكن لديها رغبة في ذلك رغم الجو الصيفي الجميل. ربما ستتجول غداً أو بعد غد. كانت مرهقة وفي حاجة إلى قيلولة، فقد ربحت مباراتها الأولى ضد أستاذ روسي كبير وكان هذا، بالنسبة إليها، أكثر أهمية من أي شيء آخر تستطيع رؤيته في تلك المدينة الكبيرة. ستبقى هنا لمدة ثمانية أيام، وبإمكانها أن ترى موسكو في مرة أخرى. كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد الظهر عندما أنهت غداءها، فأخذت المصعد نحو غرفتها وحاولت أن تنام.

كانت غير قادرة على النوم بعد هزيمتها للاييف. استلقت على سريرها الكبير والناعم محدّقة في السقف لساعة تقريباً ولعبت المباراة ضده في ذهنها مراراً وتكراراً، تحاول تارة أن تجد نقاط ضعف في طريقة لعبها، وتستمتع تارة أخرى بإحدى نقلاتها. وحينما وصلت إلى المرحلة التي ضحّت فيها بالفيل، تفوهت بصوتٍ عالٍ بشيء مثل: «زاب!» أو «بوو!». كان ذلك مذهلاً. لم تقم بأي خطأ، أو

بالأحرى لم تجد أياً. لم تكن هناك نقاط ضعف. كانت أنامله تنقر على الطاولة بطريقته المتوترة تلك والعبوس ظاهر على وجهه. بيد أنه، بعد انسحابه، بدا متعباً ومنطوياً فقط.

أخيراً أخذت قسطاً من الراحة. قامت من فراشها وارتدت سروال جينز وقميصاً أبيض ثم فتحت الستائر الكبيرة أمام النافذة. أسفل الطوابق الثمانية، كان هناك نوع من ملتقى الطرق، تعمرها بعض السيارات فقط. كان هناك منتزه وراء الشوارع مليء بالأشجار، وعندها قررت بيث أن تخرج لتتمشى.

وبينما هي ترتدي جوربَيها وحذاءها، بدأت تفكر في دوهاميل الذي ستلعب ضده غداً بالقطع البيضاء. لم تكن تعرف إلا مباراتين له، لعبهما قبل بضع سنين. تضمنت المجلات التي أحضرتها معها مباريات أحدث وعليها أن تطلع عليها الآن. وكانت هناك مباراته ضد لوتشنيكو التي كانت ما تزال جارية عند مغادرتها. سيتم طبعها وتسليمها الليلة للاعبين عندما يجتمعون في عشاء رسمي هنا في الفندق. فمن المستحسن أن تقوم ببعض التمارين الآن وتترك المشي إلى وقت آخر.

كان العشاء مملاً، بل أكثر من ذلك، كان مثيراً للغضب. كانت بيث جالسة عند طرف الطاولة الطويلة مع دوهاميل وفلنتو وهلشتروم، في حين كان اللاعبون الروس يجلسون عند الطرف الآخر برفقة زوجاتهم. كان بورغوف جالساً عند رأس الطاولة مع المرأة نفسها التي رأته بيث معها في حديقة الحيوانات في مكسيكو سيتي. ظل الروس يضحكون طوال عشائهم ويشربون كميات هائلة من الشاي ويتحركون بإفراط. أما زوجاتهم، فكن ينظرن إليهم بهيام صامت. حتى لاييف الذي كان منعزلاً خلال البطولة هذا الصباح بدا مغموراً

بالفرحة. بدوا وكأنهم يتجاهلون عن عمد طرف الطاولة حيث كانت تجلس بيث. حاولت أن تتحدث إلى فلنتو، إلا أن إنجليزيته كانت رديئة جداً وأقلقت راحتها تلك الابتسامة المصطنعة التي لا تتبدل. بعد عدّة دقائق من المحاولة، ركّزت على وجبتها وفعلت ما تستطيع فعله لتجاهل صوت الضجيج الآتي من طرف الطاولة الآخر.

بعد العشاء، وزّع مدير البطولة أوراق مطبوعة عليها نتائج المباريات التي جرت اليوم. في المصعد راحت تراجع النتائج، بادئة ببورغوف. الاثنان الآخران تعادلا، لكن بورغوف فاز في مباراته. فاز فوزاً حاسماً.

وفي الصباح التالي، أوصلها السائق إلى البهو عبر طريق جديد ورأت هذه المرة الحشد الضخم الذي كان ينتظر في الشارع من أجل الدخول، وبعضهم يحملون مظلات داكنة للاحتماء من ندى الصباح. أخذها إلى المدخل نفسه الذي دخلت منه في اليوم السابق. كان يقف حوالي عشرين شخصاً هناك. نزلت من السيارة وتجاوزتهم بسرعة لتلج المبنى تحت تصفيقاتهم. هتف أحدهم: «ليزابيتا هارمون!» فقط قبل أن يغلق البواب الباب وراءها.

عند النقلة التاسعة، قام دوهاميل بخطأ في الحكم، فانقضّت عليه بيث وسمَّرت حصانه أمام قلعة. سيشلّ هذا حركته لوهلة بينما تخرج هي فيلها الآخر. ومن خلال دراسة مبارياته، علمت أنه كان حذراً ودفاعه قوياً، وقد قررت في الليلة السابقة أن تنتظر حتى تتسنى لها الفرصة وتباغته. وعند النقلة الرابعة عشرة، كانت تستهدف ملكه بكلا فيلَيها، وفتحت قطريهما بعد أربع نقلات. اختبأ خصمها من هذا التهديد مستعيناً بحصانيه بذكاء ليبقيها بعيدة، بيد أنها أخرجت

ملكتها، فأصبح الأمر مستعصياً عليه. كانت نقلته العشرون محاولة فاشلة لتفادي هجومها، وانسحب عند الحركة الثانية والعشرين. لم تستغرق المباراة إلا ساعة فقط.

كانا قد لعبا في الطرف البعيد من المنصة، بينما تقابل بورغوف وفلنتو عند الآخر القريب. مرت بجانبه تحت تصفيقات الجمهور والمباريات ما زالت جارية، ونظر إليها بسرعة. كانت أول مرة ينظر إليها مباشرة منذ أن تقابلا في مكسيكو سيتي، وأفزعتها نظرته تلك.

انتظرت لوهلة بعيداً عن الأنظار الموجهة إلى مكان اللعب، وباندفاع، ذهبت إلى جانب الستار لتختلس النظر من خلاله. كان مقعد بورغوف فارغاً. كان واقفاً على النهاية الأخرى من المنصة يرى على لوحة العرض الطريقة التي أنهت بها بيث مباراتها. كانت كفه الضخمة تحت ذقنه والأخرى في جيب معطفه. قطّب حاجبيه وهو يدرس الوضعية. ولّت بيث ظهرها بسرعة وغادرت.

وبعد الغداء، تمشت في الشارع واتجهت نحو المنتزه في زقاق ضيق. كان الشارع اسمه شارع سوكولنيكي، حيث كان هناك ازدحام عند مرورها بين حشد كبير من المارّة. نظر إليها بعضهم وابتسم آخرون، لكن لم يحدثها أحد. توقف المطر وكان اليوم جميلاً مشمساً ولم تعد تبدو البنايات الشامخة كالسجن مع ضياء الشمس.

كان جزء من المنتزه مشجراً وعلى جوانبه مقاعد حديدية كبيرة يجلس عليها أشخاص مسنون. واصلت السير محاولة قدر المستطاع أن تتجاهل النظرات الموجهة إليها. ذهبت نحو مكان مظلل بالأشجار، وفجأة وجدت نفسها في ساحة واسعة فيها أزهار تنمو في مثلثات صغيرة موزعة هنا وهناك. وفي الوسط كان يجلس الناس في صفوف على رصيف معبّد. كانوا يلعبون الشطرنج. كانت توجد على

الأقل أربعون رقعة يلعبون عليها. رأت من قبل رجالاً مسنين يلعبون الشطرنج في سنترال بارك وواشنطن سكوير في نيويورك، لكنهم كانوا يعدّون على رؤوس الأصابع وفي مناسبات قليلة. أما هنا، فيملأ حشد كبير من الرجال المسنين الرصيف الشاسع ويتفرقون على مساحته.

تردّدت للحظة على السلالم الرخامية البالية المؤدية إلى الرصيف. كان رجلان عجوزان يلعبان على رقعة من قماش على الدرجات. كان الأكبر سناً، أصلع وبلا أسنان، يلعب مناورة الملك. الآخر كان يستخدم مناورة فالكبير المضادة في مواجهته. بدت لبيث من الطراز القديم ، ولكن من الواضح أنها كانت لعبة متقنة. لم يكترث الرجلان لأمرها، وسارت على الدرجات إلى ظلال الرصيف نفسه.

كان هناك أربعة صفوف من الطاولات الخرسانية وعلى سطحها رقع مصبوغة، حيث يجلس على كل منها لاعبَا شطرنج، وكلهم رجال. وقليلاً ما يسمع حديثهم. وتأتي من خلفها أحياناً صيحات الأطفال التي بدت متشابهة تماماً في اللغة الروسية كما في أي لغة أخرى. مشت ببطء بين صفّين من المباريات، ورائحة دخان التبغ القوي تفوح من غلايين اللاعبين. نظر بعضهم إليها عند مرورها، وبدت وجوه قليلة أنها تعرفت عليها، لكن لم يتحدث إليها أحد. كانوا جميعهم طاعنين في السنّ ولا بد أن العديد منهم شهدوا الثورة وهم أطفال. عموماً، كانت ملابسهم داكنة اللون، فحتى قمصانهم القطنية التي كانوا يرتدونها في الطقس الدافئ هذا كانت رمادية. يبدون كالشيوخ في كل مكان، وكأنهم تنويعات مختلفة للسيد شايبل، يمارسون ألعاباً لا يعيرها أحد أي اهتمام، وعلى بعض الطاولات من حولهم نسخ من **نشرة كش ملك** في طبعتها الروسية.

توقفت للحظة عند طاولة كانت الوضعية فيها مثيرة للاهتمام. كانت افتتاحية صقلية على طريقة ريختر-راوزر. وقد كتبت مقالاً صغيراً حول ذلك في **مجلة الشطرنج** قبل بضع سنوات، عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها. كان الرجال يلعبونها بشكل صحيح، وكان لدى صاحب القطع السوداء تفريع طفيف في بيادقه لم تره من قبل قط، لكن من الواضح أنه كان سليماً. كانت طريقة لعب شطرنج جيدة. مباراة شطرنج من الدرجة الأولى، يلعبها رجلان عجوزان يرتديان زي عمل رخيصاً. نقل الرجل الذي يلعب بالقطع البيضاء فيل ملكته، ثم رفع نظره إليها وعبس. ولوهلة، بين كل هؤلاء الرجال الروس المسنين، أحست بالخجل وهي ترتدي تنورة زرقاء باهتة وجوربين من النايلون وسترة كاشمير رمادية وتتنتعل حذاءً بكعبٍ عالٍ قد يساوي ثمنه قدر ما يكسبه هؤلاء الرجال في شهر.

وفجأة، ارتسمت بسمة عريضة بلا أسنان على وجه الرجل المجعد الذي كان يحدق فيها وقال: «هارمون؟ إليزابيتا هارمون؟» فقالت متفاجئة: «نعم». وقبل أن تتمكن من إكمال ردها، وقف ورمى ذراعيه حولها وعانقها ثم ضحك مردداً: «هارمون! هارمون!» مراراً وتكراراً. وبعد ذلك، اجتمع حولها حشد من الرجال المسنين يرتدون ملابس رمادية، يبتسمون ويمدّون أيديهم بشغف لكي تصافحهم، وثمانية أو عشرة منهم يتحدثون معها بالروسية في آن واحد.

كانت المباراتان اللتان خاضتهما ضد هلشتروم وشابكين صارمتين، بل صعبتين ومرهِقتين، إلا أنها لم تكن في خطر حقيقي قط. أعطاها العمل الذي قامت به خلال الأشهر الستة الماضية

صلابة في نقلاتها الافتتاحية التي كانت قادرة على الحفاظ عليها خلال منتصف المباراة وإلى النقطة التي استسلم كل منهما. من الواضح أن هلشتروم تقبّل الأمر بصعوبة ولم يتحدث إليها بعد المباراة، لكن شابكين كان رجلاً في غاية التحضر والاحترام واستسلم بلطف رغم أن فوزها عليه كان حاسماً ومن دون رحمة.

كانت هناك سبع مباريات في المجموع. تلقى اللاعبون برنامج البطولة أثناء خطاب التوجيه الطويل في اليوم الأول، واحتفظت بيث ببرنامجها في درج طاولتها الليلية مع قارورة حبوبها الخضراء الصغيرة. وفي اليوم الأخير، ستلعب بالقطع البيضاء ضد بورغوف. خصم اليوم كان لوتشينكو، بالقطع السوداء.

كان لوتشينكو أكبر اللاعبين سناً، كان بطل العالم قبل أن تولد بيث. لقد هزم أليخين العظيم في مباراة عندما كان طفلاً، وتعادل مع بوتفينيك وسحق برونشتاين في هافانا. لكنه لم يعد ذلك النمر الذي كان سابقاً، لكن بيث تدرك أنه يصبح لاعباً خطيراً عندما يسمح له بالهجوم. اطلعت على العشرات من مبارياته في كتب **مخبر الشطرنج** -من بينها كتب قرأتها خلال الشهر الذي كانت فيه مع بيني في نيويورك- وحتى بالنسبة إليها، كانت قوة هجومه صادمة. كان لاعباً ورجلاً عظيماً، وسيتوجب أن تتوخى الحذر جيداً.

كانوا على الطاولة الأولى -تلك التي لعب عليها بورغوف في اليوم السابق. انحنى لوتشينكو قليلاً، ثم وقف بجانب كرسيه بينما أخذت هي مقعدها. كان يرتدي اليوم بدلة رمادية زاهية، وعندما توجّه إلى الطاولة لاحظت حذاءه - لامعاً أسود وناعم المظهر، الذي ربما تم استيراده من إيطاليا.

كانت بيث ترتدي فستان قطن أخضر داكناً ولونه عند العنق

والأكمام أبيض. فقد نامت بهناء في الليلة السابقة وكانت مستعدة له.

ولكن في النقلة الثانية عشرة، بدأ يشن عليها الهجوم - بكل حنكة في بادئ الأمر، بنقل بيدق إلى مربع قلعة الملكة الثالث. وبعد مرور نصف ساعة، كان يمهد لهجوم بالبيادق من الأسفل على جناح الملكة، وكان عليها أن تؤخر ما كانت تعده حتى تتعامل مع هذا الموقف. درست الرقعة لفترة طويلة ثم نقلت حصاناً لتدافع به. لم تكن راضية على ما قامت به، لكنّها كانت مجبرة على فعل ذلك. نظرت إلى لوتشينكو، وهزّ برأسه قليلاً -وكأنه يؤدي دوراً مسرحياً- ثم ظهرت ابتسامة صغيرة على شفتيه. مد يده وواصل تقديم بيدق حصانه كما لو كان لا يعرف من أين أتى حصانها. **ما الذي كان يفعله؟** دَرسَت الوضعية ثانيةً فتفاجأت، لقد رأته. إذا لم تجد طريقة للهروب، فسيتحتم عليها أن تأخذ بيدق القلعة بحصانها، وبعد أربع نقلات سيكون قادراً على جلب فيله البريء ظاهرياً من الصف الخلفي إلى مربع الحصان الخامس على جناح الملكة المكسور، ويُسقط قلعة ملكتها في المقابل. كان ذلك على بُعد سبع نقلات، ولم تكن قد انتبهت لذلك.

وضعت مرفقيها على الطاولة وخديها على قبضتيها. أبقت لوتشينكو والقاعة المكتظة ودقات الساعة وكل شيء آخر خارج ذهنها ودرست الوضعية، مجربة العشرات من الاحتمالات. لكن لم تكن هناك أية نتيجة. أفضل ما يمكن أن تفعله هو أن تتخلى عن المبادلة وتأخذ بيدق قلعته لتواسي نفسها. وكان لا تزال لديه فرصة هجوم قائمة على جناح الملكة. كرهت ذلك، ولكن لم يكن أمامها خيار آخر. **كان عليها أن ترى ذلك**. دفعت بيدق قلعة ملكتها كما تحتم

عليها ذلك وظلت تتخيل النقلات تلعب نفسها. وبعد سبع نقلات، أخذ قلعتها مقابل فيله، فتمغصت معدتها حينما رأته يلتقط القطعة بيده ويضعها بجانب الرقعة. وعندما أخذت بيدق القلعة بعد نقلتين، لم يساعدها ذلك في شيء. كانت متأخرة في المباراة، وكان جسدها كله متوتراً.

كان مجرد إيقاف زحف بيادقه على جناح الملكة عملاً جباراً. وكان عليها إعادة البيدق الذي أخذته منه لتتعامل معه، وبعد ذلك، وضع قلعتيه على عمود الملك، فهو لن يستسلم. قامت بتهديد ملكه كتغطية ونجحت في مقايضة إحدى قلعتيه بالقلعة التي تبقت لها. لم يكن من الجيد أن تفعل ذلك وهي في موقف حرج، لأنه عزز وضعيته، ولكنها كانت مجبرة على فعل ذلك. تخلى لوتشينكو عن القطعة المستبدلة، ونظرت إلى شعره الأبيض وهو يأخذ قطعتها، وكرهته لذلك. كرهته لشعره المسرحي وكرهته لتقدمه عليها بسبب هذا التبادل. إذا استمرّا على هذا المنوال، فلن يبقى لها شيء. عليها أن تجد طريقة لإيقافه.

كان منتصف اللعبة بيزنطياً. كان كلاهما محاصرَين وكل قطعة محمية مرة واحدة على الأقل والعديد منها مرتين. بذلت قصارى جهدها لتتجنب التبادل وتعثر على طريقة تعيدها إلى التعادل. رد على كل ما حاولت أن تقوم به، وحرّك قطعه بثقة بيده الجميلة. كانت الفواصل بين النقلات طويلة. وبين الحين والآخر، كانت ترى بصيصاً من إمكانية الوصول إلى أسفل الخط، بعد ثماني أو عشر نقلات، بيد أنها لم تكن قادرة على تحقيق ذلك. نقل القلعة إلى الصف الثالث ووضعها فوق ملكه المبيّت، وانحصرت حركته هناك في ثلاثة مربعات. ليته كان بإمكانها أن تجد طريقة لحَبسه قبل أن

يسحب الحصان الذي يوقفه. ركزت على ذلك بقوة، وشعرت للحظة كما لو أن شدة تركيزها قد تحرق القلعة مثل شعاع الليزر. هاجمتها في ذهنها بالحصانين والبيادق والملكة وحتى بملكها. أجبرته ذهنياً على تقديم بيدق من أجل قطع مربعين من المربعات المتاحة لقلعته، لكن لم يُجدِ ذلك نفعاً.

أحست بدوار من الجهد المبذول، أبعدت مرفقيها عن الطاولة، وضعت ذراعيها في حضنها، هزت رأسها ونظرت إلى ساعتها. كان لديها أقل من خمس عشرة دقيقة. وبقلق، نظرت إلى ورقة نتيجتها. كان عليها القيام بثلاث نقلات أخرى قبل أن يسقط علمها أو تخسر. كان لدى لوتشينكو أربعون دقيقة متبقية في ساعته. لم يكن هناك شيء لفعله سوى التحرك. كانت قد أخذت في الاعتبار نقل الحصان إلى مربع الحصان الخامس وعلمت أنها كانت نقلة سليمة، على الرغم من عدم وجود منفعة معينة. نقلته. وكان رده هو ما توقعته، مما أجبرها على إعادة الحصان إلى مربع الحصان الرابع، حيث كانت تعتزم أن يكون في المقام الأول. كان لديها سبع دقائق متبقية. درست الوضع بعناية ووضعت فيلها على القطر الذي رست عليه قلعته. فنقل القلعة كما توقعت. أشارت إلى مدير البطولة، وكتبت حركتها التالية على ورقة النتيجة ثم أمسكتها بيدها الأخرى لإخفاء ذلك عن لوتشينكو وطوتها من أجل أن تختم. عندما جاء المدير، قالت: «أؤجل»، وانتظرته للحصول على الظرف. كانت منهكة. لم يكن هناك أي تصفيق عندما نهضت ومشت منفعلة خارج المنصة.

كان الجو حاراً في تلك الليلة ففتحت نافذة غرفتها بينما كانت

تجلس إلى طاولة كتابة مزخرفة مع رقعة الشطرنج ، تدرس الوضعية المؤجلة وتبحث عن طرق لإحراج قلعة لوتشينكو أو لاستخدام ضعف قلعته كغطاء لمهاجمته في مكان آخر. بعد ساعتين، أصبحت الحرارة في الغرفة لا تطاق. قررت أن تنزل إلى الردهة ومن ثم أن تمشي حول المبنى - إذا كان ذلك آمناً وقانونياً. شعرت بالدوار من كثرة الشطرنج وقلة الطعام. سيكون من الجميل الحصول على برغر بالجبن. لقد ضحكت بشدة على نفسها، فلم تعتقد نفسها من أولئك الأميركيات اللواتي يشتهين برغر الجبن عندما يسافرن إلى الخارج. يا إلهي، كم كانت متعبة! ستقوم بمشية قصيرة وتعود إلى السرير. لن تلعب التأجيل حتى ليلة الغد، وسيكون لديها بعض الوقت لدراسته بعد مباراتها مع فلنتو.

كان المصعد في آخر البهو. وبسبب الحرارة، كانت العديد من الغرف مفتوحة، وحالما اقتربت من إحداها، سمعت أصوات رجال غليظة في نقاش ما. عندما أصبحت بمحاذاة الباب نظرت إلى الداخل. لا بد أنها جزء من جناح لأن ما رأته كان صالة كبيرة مع ثريا كريستال معلقة من سقف مصبوب بشكل أنيق، زوج من الأرائك الخضراء الفخمة ورسومات زيتية كبيرة على الجدار البعيد، حيث يوجد باب مفتوح يؤدي إلى غرفة نوم. كان هناك ثلاثة رجال يرتدون قمصاناً بأكمام يقفون حول طاولة تتوسط الأريكتين. على الطاولة كان مصفق كريستال وثلاثة كؤوس صغيرة. وكانت على وسط الطاولة رقعة شطرنج، حيث كان هناك رجلان يراقبان ويعلقان بينما كانت أنامل الثالث تحرّك القطع افتراضياً. الرجلان اللذان يشاهدان كانا تيغران بتروسيان وميخائيل تال. والذي كان يحرك القطع كان فاسيلي بورغوف. كانوا ثلاثة من أفضل لاعبي الشطرنج في العالم،

وكانوا يحللون ما يجب أن يكون موقف بورغوف المؤجل من لعبته مع دوهاميل.

ذات مرة، وهي طفلة في طريقها إلى أسفل القاعة في مبنى الإدارة، توقفت للحظة عند باب مكتب السيدة ديردورف، الذي كان مفتوحاً على غير العادة. نظرت إلى الداخل بشكل خفي، ورأت السيدة ديردورف واقفة هناك في المكتب الخارجي مع رجل كبير في السن وامرأة، منهمكين في محادثة، رؤوسهم مجتمعة في حميمية لم تكن لتتوقع أبداً أن تكون السيدة ديردورف قادرة عليها. لقد كانت صدمة لها هذه النظرة إلى عالم الكبار. مدّت السيّدة ديردورف سبابتها وكانت تنقر بها طية صدر سترة الرجل عندما كلّمته وعينها في عينه. بيث لم ترَ الزوجين مرة أخرى ولم يكن لديها أي فكرة عما كانوا يتحدثون عنه، لكنها لم تنسَ المشهد. رؤية بورغوف في صالون جناحه، وهو يخطط لحركته التالية بمساعدة من تال وبيتروسيان، جعلتها تشعر بالشيء نفسه الذي شعرت به آنذاك. شعرت بعدم الأهمية - طفلة تنظر إلى عالم الكبار. من كانت هي لتتوقع؟ لقد كانت في حاجة إلى المساعدة. تخطت الغرفة إلى المصعد، وهي تشعر بالحرج والوحدة الرهيبة.

صار الحشد الذي ينتظر قرب الباب أكبر. شرعوا يصرخون بانسجام فور نزولها من الليموزين، «هارمون! هارمون!»، مبتسمين وملوّحين بأيديهم. تمكن البعض من لمسها أثناء مرورها، فاخترقتهم بتوتر محاولة الابتسام لهم كذلك. نامت فقط بشكل متقطع الليلة الماضية، إذ استيقظت بين الفينة والأخرى لدراسة وضعية من مباراتها المؤجلة مع لوتشينكو، أو لتتمشى حافية القدمين في أرجاء الغرفة،

وهي تفكر في بورغوف والاثنين الآخرين، بربطات عنقهم المرخية وأكمامهم المطوية، وهم يحللون الرقعة كما لو كانوا روزفلت، تشرشل وستالين مع مخطط للحملة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية. مهما أقنعت نفسها أنها بنفس براعتهم، كانت لا تزال تشعر باستياء أن أولئك الرجال ذوي الأحذية السوداء الثقيلة كانوا يعلمون أمراً لم ولن تعلمه أبداً. حاولت أن تركز على مسيرتها الشخصية، على صعودها السريع إلى قمة الشطرنج الأميركي بل وأبعد من ذلك، كيف أصبحت لاعبة أقوى من بيني واتس، كيف هزمت لاييف من دون أدنى شك في نقلاتها، وكيف اكتشفت حتى وهي طفلة خطأً في مباراة مورفي العظيم. لكن كل هذا كان تافهاً وبلا معنى أمام نظرتها الخاطفة إلى مؤسسة الشطرنج الروسي، وإلى الغرفة حيث تآمر الرجال بأصواتهم الغليظة وقاموا بدراسة الرقعة بثقة بدت بعيدة عنها بأشواط.

كان الأمر الإيجابي الوحيد هو كون فلنتو، أضعف لاعب في البطولة، هو خصمها. كان خارج السباق بالفعل بخسارة واضحة وتعادلين. فقط بيث وبورغوف ولوتشينكو لم يخسروا ولم يتعادلوا في أي مباراة. شربت كوب شاي قبل البدء، وقد ساعدها شيئاً ما. الأهم في الأمر أن مجرد كونها في تلك الغرفة مع باقي اللاعبين قد أزال بعضاً مما شعرت به تلك الليلة. كان بورغوف يحتسي شاياً عندما دخلت. تجاهلها كالعادة، وتجاهلته أيضاً، لكنه لم يبدُ -وهو يحمل كأس شاي وتعلو وجهه الثقيل نظرة مضجرة- بالرعب الذي تخيلته عليه الليلة الماضية. عند قدوم المدير ليرافقهما إلى المنصة، ألقى عليها بورغوف نظرة خاطفة قبل خروجه من الغرفة ورفع حاجبيه قليلاً كما لو أنه يقول، «ها نحن أولاء مجدداً!» ووجدت نفسها تبتسم له بتحفظ. وضعت كوبها ثم تبعتهما.

كانت تعرف جيداً مسيرة فلنتو المتقلبة وقد حفظت عشراً من مبارياته. بل وقد قررت بالفعل قبل حتى مغادرتها للكسينغتون أنها ستلعب افتتاحية إنجليزية ضده إذا ما حصلت على القطع البيضاء. بدأت الأمر الآن بدفع بيدق فيل الملكة إلى الصف الرابع. إنه كالدفاع الصقلي بالمقلوب. شعرت بالراحة بخصوصه.

فازت، لكن الأمر استغرق أربع ساعات ونصف كما كان أكثر إرهاقاً مما توقّعت. لقد قاوم في القطرين الرئيسيين ولعب تفريع الأحصنة الأربعة بحنكة فاقت حنكتها بأشواط لوهلة. لكن عندما بلغا منتصف اللعب، رأت فرصة لتغيير الوضع فاغتنمتها. انتهى بها الأمر لتقوم بشيء نادراً ما قامت بفعله: حضانة بيدق عبر أرجاء الرقعة إلى أن بلغ الصف السابع. ستكلف إزالته فلنتو قطعته الأخيرة الباقية. استسلم. كان التصفيق هذه المرة أعلى من أي وقت مضى. كانت الثانية والنصف. فاتها الإفطار وشعرت بالإرهاق. كانت في حاجة إلى الغداء وأخذ قيلولة. كانت في حاجة لأن تستريح قبل المباراة المؤجلة الليلة.

تناولت غداء سريعاً من فطيرة السبانخ ونوع من البطاطس المقلية السلافية في المطعم. لكن بعد صعودها إلى غرفتها في الثالثة والنصف وذهابها إلى السرير، وجدت أن النوم أمر غير وارد. كان هنالك طَرق متقطع بالمطرقة فوق رأسها، كما لو أن عمالاً يقومون بتثبيت أرضية جديدة. كان بإمكانها سماع خطى الأحذية الثقيلة، وبدا الأمر بين الحين والآخر كما لو أن أحداً يسقط كرة بولينغ من ارتفاع متوسط. استلقت في الفراش لعشرين دقيقة، لكن من دون جدوى.

بعد انتهائها من العشاء ووصولها إلى قاعة اللعب كانت منهكة

أكثر من أي وقت مضى. أوجعها رأسها وآلمها جسدها من الانحناء على الرقعة. تمنّت بشدة لو تم إعطاؤها جرعة تُفقدها وعيها لبقية بعد الظهر، ولو استطاعت مواجهة لوتشينكو مدعمة ببضع ساعات كاملة من نوم بلا أحلام. تمنت لو غامرت بأخذ بعض الليبريوم. ستكون بعض الضبابية في رأسها أفضل من هذا.

عند وصول لوتشينكو إلى الغرفة حيث ستلعب المباراة المؤجلة، بدا هادئاً ومرتاحاً. كانت بدلته، الصوفية السوداء هذه المرة، مكوية بطريقة مثالية، وقد لاءمته بطريقة جميلة عند الكتفين. خطر لها أنه غالباً ما يشتري جميع ملابسه من الخارج. ابتسم لها ابتسامة محافظة؛ تمكنت من أن تهز رأسها وتقول، «طاب مساؤك».

وُجدت طاولتان مجهزتان للمباريات المؤجلة. على إحداها نهاية لعبة كلاسيكية، قلعة-بيدق، في انتظار بورغوف ودوهاميل. وُضعت وضعيتها مع لوتشينكو على الطاولة الأخرى. بينما جلست بيث في مكانها إلى الطاولة، دخل بورغوف ودوهاميل معاً ومشيا إلى الرقعة في الجهة الأخرى من القاعة في صمت قاتم. كان هنالك حكم لكل مباراة، وقد تم تجهيز الساعات بالفعل. كان بحوزة بيث تسعون دقيقة من الوقت الإضافي، وكذلك لوتشينكو، بالإضافة إلى خمس وثلاثين دقيقة أخرى بقيت من البارحة. نسيت بيث أمر وقته الإضافي. كانت هنالك ثلاثة أشياء ضدها: حيازته على القطع البيضاء، هجومه الذي لم يتم توقيفه بعد، ثم حصته الإضافية من الوقت.

جلب الحكم الخاص بهما الظرف، فتحه، وأرى ورقة النتائج لكلا اللاعبين، وقام بنقلة بيث بنفسه. ضغط الزر الذي أطلق ساعة لوتشينكو، ومن دون أي تردد تقدم لوتشينكو بالبيدق الذي توقّعته بيث. كان هنالك نوع من الارتياح عقب رؤيته يقوم بالنقلة. كان لا

بدّ لها من أن تأخذ بالاعتبار بضعة ردود أخرى؛ الآن يمكنها إزالة الخطوط الخاصة بتلك الردود من رأسها. سمعت عبر الغرفة بورغوف وهو يسعل بصوت مرتفع ويفرغ أنفه. حاولت أن تبقي بورغوف خارج تفكيرها. ستواجهه غداً، لكن يتعين عليها البدء في العمل على هذه المباراة الآن، وأن تدلي فيها بكل ما لديها. يكاد يكون من المؤكد أن بورغوف سيهزم دوهاميل ويبدأ يومه في الغد غير مهزوم. إذا كانت ترغب في الفوز بالبطولة وجب عليها ضمان المباراة التي أمامها. كان لوتشينكو يسبقها بالاستبدال، ولم يكن ذلك أمراً جيداً. لكن كان عليه أن يتعامل مع تلك القلعة عديمة الجدوى، فبعد بضع ساعات من الدراسة وجدت بيث ثلاث طرق لاستعمالها ضده. إذا ما تمكنت من بلوغها، فستستطيع استبدال فيل مقابلها ومعادلة النتيجة.

نسيت كم كانت متعبة وانغمست في العمل. لقد كان الأمر شاقاً ومعقداً. وكان لدى لوتشينكو ذلك الوقت الإضافي. قررت استعمال خطة طوّرتها في منتصف الليل وبدأت تسحب حصانها من جهة الملكة، آخذة إياه في جولة وهمية لتوصله إلى مربع الملك الخامس. من الواضح أنه كان مستعداً لذلك - قام بتحليل ذلك بنفسه في وقت ما منذ صباح البارحة. ربما ببعض المساعدة. لكن كان هنالك شيء ربما لم يقم بتحليله، رغم براعته، والذي ربما لن يتمكن من رؤيته الآن. قامت بإبعاد فيلها عن القطر الذي كانت فيه قلعته، وتمنت ألا يكتشف ما كانت تخطط له. سيبدو وكأنها تهاجم تشكيلة بيادقه، مجبرة إياه على أن يقوم بتقدم مضطرب. لكنها لم تبال بموضع بيدقه. أرادت أن تزيل القلعة من فوق الرقعة بأي ثمن حتى لو كان القتل.

دفع لوتشينكو بيادقه ببساطة. كان يمكن أن يفكر في ذلك لوقت أطول -كان **يجب** أن يفكر لوقت أطول- لكنه لم يفعل. حرك البيدق. شعرت بيث بقليل من الإثارة. أبعدت الحصان من القطر ولم تضعه في مربع الملك الخامس، بل في مربع فيل الملكة الخامس، مقدمة إياه لملكته. إذا ما أخذَته الملكة، فستأخذ بيث القلعة مقابل فيلها. لن يكون هذا في حد ذاته جيداً لها -أن تدفع الحصان والفيل مقابل القلعة- لكن ما لم يلحظه لوتشينكو هو أنها ستحصل على حصانه في المقابل بسبب نقلة الملكة. كان الأمر جميلاً. جميلاً جداً. نظرت إليه بتردد.

لم تنظر إليه منذ ساعة تقريباً، وكان مظهره مفاجئاً. لقد أرخى ربطة عنقه التي الْتوَت على طرف ياقته. كان شعره مبعثراً. كان يعض على إبهامه وبدا وجهه منهكاً بشكل صادم.

استغرق نصف ساعة لكنه لم يتوصل إلى شيء. قام في الأخير بأخذ الحصان. أخذت القلعة، ورغبت في أن تصرخ من الفرح بعد أن أزيلت من على الرقعة، وأخذ هو فيلها. قامت بكش؛ اعترضه، فدفعت بالبيدق باتجاه الحصان. نظرت إليه من جديد. ستكون المباراة متعادلة الآن. لقد زالت النظرة الأنيقة. لقد غدا عجوزاً متجعداً في بدلة فاخرة، وخطر لها فجأة أنها لم تكن الوحيدة التي أجهدت جراء مباريات الأيام الستة السابقة. كان لوتشينكو يبلغ من العمر سبعاً وخمسين سنة. كانت هي في التاسعة عشرة. وقد تمرنت لخمسة أشهر رفقة جولين في لكسينغتون.

ومنذ تلك اللحظة، فقد روح المقاومة. لم يوجد أي سبب موضعي واضح يجعلها تستعجله لكي يستسلم بعد أن أخذت حصانه؛ كانت مباراة متعادلة نظرياً. كانت بيادق جناح ملكته

متموقعة بقوة. لكن الآن بعد أن أضعفت البيادق ووجّهت لها تهديدات طفيفة بينما هاجمت فيله المتبقي وأجبرته على حماية البيدق الأساسي بملكته. بعد أن فعل ذلك، أخرج الملكة ليبقي بيادقه متماسكة، وعلمت أنها قد نالت منه. أبقت عقلها مركّزاً على ملكه، وانتباهها كاملاً على الهجوم.

تبقت خمس وعشرون دقيقة في ساعتها وبقي لدى لوتشينكو ما يقارب الساعة، لكنها كرست عشرين دقيقة من وقتها لحل الأمر ثم ضربت، ناقلة بيدق قلعة ملكها إلى الصف الرابع. كان بمثابة إعلان واضح بنواياها، وقد قابله بتفكير عميق وطويل قبل التحريك. استعانت بالوقت التي كانت تدقه ساعته لحل الأمر برمّته - كل تفريع عند كل نقلة قد يقوم بها. لقد توصلت إلى إجابة لكل نقلة قد يقوم بها، وعندما قام بنقلته أخيراً، مخرجاً ملكته من دون جدوى بغرض الحماية، تجاهلت بيث فرصة أخذ واحد من بيادقه المهاجمة وتقدمت ببيدق قلعة ملكها مربعاً آخر. كانت نقلة رائعة، وقد عرفت ذلك. لقد سَرّ ذلك قلبها. نظرت إليه عبر الرقعة.

بدا غارقاً في التفكير، كما لو كان بصدد قراءة الفلسفة وقد وضع للتو الكتاب للتأمل في أطروحة معقدة. أصبح وجهه رمادياً، وقد طبعت بشرته الجافة تجاعيد صغيرة. عض على إبهامه مجدداً. ألقى عليها نظرة منهكة خاطفة -نظرة تحمل وزناً ثقيلاً من الخبرة ومسيرة طويلة في الشطرنج- ثم نظر مرة أخرى وأخيرة إلى بيدق قلعتها، الذي كان يقف الآن في الصف الخامس. وقف بعد ذلك.

- ممتاز! قال بالإنجليزية. تعافٍ جميل!

كانت كلماته استرضائية بالنسبة إليها إلى حد الدهشة. لم تكن متأكدة مما ستقوله.

- ممتاز! قال مرة أخرى. انحنى والتقط ملكه، أمسكه بعناية لوهلة ثم وضعه على جنبه في الرقعة. ابتسم منهكاً. أستسلمُ بارتياح.

فجأة، أشعر تعامله على سجيته وانعدام الحقد لديه بيث بالخجل. مدت له يدها، وصافحها بحرارة.

- لقد لعبتُ بعض مبارياتك منذ أن كنت طفلة صغيرة، قالت. لطالما كنت معجبة بك.

نظر إليها بعمق لوهلة.

- هل أنت في التاسعة عشرة من عمرك؟

- أجل.

- لقد اطلعتُ على مبارياتك في هذه البطولة. توقف. أنت أعجوبة يا عزيزتي. لعلّي واجهت لتوّي أفضل لاعب شطرنج في حياتي.

لم تستطع التكلم. حدقت فيه بذهول.

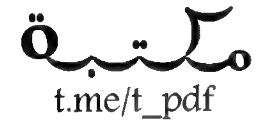
ابتسم لها.

- ستعتادين على الأمر، قال.

انتهت مباراة بورغوف ودوهاميل قبل ذلك بقليل، وكلاهما قد غادر. بعد مغادرة لوتشينكو اتجهت بيث إلى الرقعة الأخرى ونظرت إلى القطع التي كانت ما تزال في موضعها. اجتمعت القطع السوداء حول الملك في محاولة عقيمة لحمايته، والمدفعية البيضاء قادمة نحو ركنه من كل أرجاء الرقعة. الملك الأسود ملقى على جنبه. كان بورغوف قد لعب بالقطع البيضاء.

بالعودة إلى ردهة الفندق قفز رجل عن أحد الكراسي قرب الجدار واتجه نحوها مبتسماً. لقد كان بوث.

- تهاني! قال.
- ماذا حل بك؟ سألته.
هز رأسه متأسفاً.
- واشنطن.
بدأت تقول شيئاً لكن سرعان ما تغاضت عن الأمر. لقد كانت ممتنة لكونه لم يقم بإزعاجها.
كان يحمل جريدة مطوية تحت إبطه. سحبها ثم قدمها لها. لقد كانت جريدة **برافدا**. لم تستطع استيعاب الكتابة السيريلية السميكة للعناوين، لكن بعد أن قلبتها، كانت صورتها وهي تواجه فلنتو أسفل الصفحة الأولى. لقد غطت ثلاثة أعمدة. درست التعليق لوهلة وتمكنت من ترجمته:
- قوة مدهشة من الولايات المتحدة.
- رائع، أليس كذلك؟ قال بوث.
- انتظر حتى هذا الوقت غداً، قالت.



بلغ لوتشينكو السابعة والخمسين من العمر، لكن بورغوف كان في الثامنة والثلاثين. عُرف بورغوف كذلك بكونه لاعب كرة قدم هاوياً وكونه سبق أن حصل على رقم قياسي جامعي في رمي الرمح. وقيل إنه قد تمرن باستعمال الأثقال خلال بطولة ما، في صالة رياضة بقيت مفتوحة إلى وقت متأخر خصيصاً لأجله بأمر من الحكومة. لم يدخن ولم يشرب. كان أستاذاً منذ سن الحادية عشرة. كان الأمر الذي يثير القلق حول لعب مبارياته من **مخبر الشطرنج** ونشرة **كش ملك** هو كونه خسر القليل منها فقط.
لكن كانت بحوزتها القطع البيضاء. كان عليها التشبث بهذه

الأفضلية من أجل النجاة. ستلعب مناورة الملكة. ناقشتها مع بيني لساعات، قبل أشهر، فاتفقا في الأخير أنها الطريقة الأنسب إذا ما حصلت على القطع البيضاء في المواجهة. لم ترغب في أن تلعب ضد دفاع بورغوف الصقلي، بالرغم من معرفتها الجيدة به، وكانت مناورة الملكة أفضل طريقة لتجنبه. كانت تستطيع مقاومته إذا ما حافظت على هدوئها. كانت المشكلة أنه لا يرتكب أخطاء.

عند قدومها عبر المنصة إلى قاعة أكثر اكتظاظاً مما تصورت أن يكون ممكناً، وكل إنش من الممرات ممتلئ، والواقفون متكدسون خلف الصف الأخير وراء الكراسي، حلَّ الصمت على الحشد الهائل فنظرت إلى بورغوف، جالساً بالفعل في انتظارها، عندها أدركت أن شطرنج بورغوف القاسي لن يكون الشيء الوحيد الذي ستواجهه. كان الرجل يرعبها. لقد أرعبها منذ أن رأته أمام قفص الغوريلا في مكسيكو سيتي. كل ما كان يقوم به الآن هو النظر إلى القطع السوداء التي لم يتم لمسها بعد، لكن نبضها ونفسها توقفا عند رؤيته. لم تكن في تلك الشخصية أية علامة ضعف، ساكناً عند الرقعة، غافلاً عن وجودها أو وجود آلاف الناس الآخرين الذين يحدّقون فيه على الأغلب. كان كرمز تهديد. بل وكان من الممكن أن يتم رسمه على جدار كهف ما. مشت ببطء وجلست خلف القطع البيضاء. اندلع تصفيق خافت ورقيق بين الجمهور.

ضغط الحكم على الزر، وسمعت بيث بداية دقات ساعتها. نقلت البيدق إلى مربع الملكة الرابع وهي تنظر إلى القطع. لم تكن مستعدّة للنظر إلى وجهه. لقد بدأت المباريات الثلاث الأخرى على طول المنصة. سمعت حركات اللاعبين الآخرين وهم يجلسون، وطقطقة أزرار الساعات. ثم عم الصمت المكان. وهي تشاهد

الرقعة، رأت فقط ظهر يده، والشعر الأسود الخشن الذي يعلو أصابعه القصيرة والسمينة، وهو ينقل بيدقه إلى مربع الملكة الرابع. حركت بيدقها إلى مربع فيل الملكة الرابع، مقدِّمة بيدق المناورة. قامت اليد برفضه، ونقلت البيدق إلى مربع الملك الرابع. مناورة ألبين المضادة. كان بصدد إحياء رد قديم، لكنها كانت تعرف افتتاحية ألبين. أخذت البيدق، ألقت نظرة خاطفة على وجهه ثم نظرت بعيداً. نقل البيدق إلى مربع الملكة الخامس. لم يُبد وجهه أية مشاعر، ولم يكن مرعباً كما خشيت. قامت بتحريك حصان ملكها وقام هو بتحريك حصان ملكته. كانت الرقصة في تطور. شعرت بالصغر والخفة. شعرت كفتاة صغيرة. لكنها كانت صافية الذهن، وكانت تعرف النقلات.

كانت نقلته السابعة غير متوقعة، وبدا من الواضح حينذاك أنه احتفظ بها ليفاجئها. خصصت لها عشرين دقيقة، استوعبتها جيداً بقدر استطاعتها، وردّت بانحراف كامل عن الألبين. شعرت بالسعادة لكونها خرجت منها إلى العلن. سيتواجهان من الآن بالاعتماد على ذكائهما.

اتضح أن ذكاء بورغوف كان هائلاً. لقد أحرز مساواة وربما أفضلية بنقلته الرابعة عشرة. عدّلت جلستها، أبقت عينيها بعيدتين عن وجهه، ولعبت أفضل شطرنج عرفته، محركة قطعها، مدافعة في كل مكان، ومتيقظة لأي فرصة لعمود مفتوح، قطر من دون عائق، بيدق مضاعف، أو أي احتمال لشوكة أو مسمار أو عائق أو سيخ. رأت هذه المرة الرقعة كاملة في مخيلتها ورصدت كل تغير في توازن القوة التي انتقلت عبر واجهتها. كل جزئية منها قد تم إبطالها بجزئيتها المضادة، لكن كل واحدة كانت على استعداد لتحرر نفسها إذا ما

سُمِح لها، لتكسر البنية. ستحطمها قلعته إذا سمحت لها بالخروج. إذا سمح لملكتها بالانتقال إلى عمود الفيل، فستتم الإطاحة بحماية ملكه. يجب ألا تسمح لفيله أن يقوم بكشّ. يجب ألّا يسمح لها بتقديم بيدق القلعة. لم تنظر إليه ولا إلى الجمهور، ولا إلى الحكم حتى، لساعات. لم تر في كافة عقلها ولا في كافة انتباهها سوى تجسيدات الخطر تلك - حصان، فيل، قلعة، بيدق، ملك وملكة.

كان بورغوف مَن نطق بكلمة «تأجيل». قالها باللغة الإنجليزية. نظرت إلى ساعتها غير مستوعبة للأمر إلى أن أدركت أنه لم يسقط أي علم وأن علم بورغوف كان أقرب لذلك من علمها. بقيت له سبع دقائق. وبقيت لها خمس عشرة. نظرت إلى ورقة نتائجها. كان رقم النقلة الأخيرة أربعين. أراد بورغوف أن يؤجل المباراة. نظرت خلفها؛ كانت بقية المنصة فارغة، انتهت المباريات الأخرى.

بعد ذلك نظرت إلى بورغوف. لم يرخ ربطة عنقه ولم ينزع معطفه كما لم يبعثر شعره. لم يبدُ متعباً. أدارت وجهها. مُلئت رعباً لحظة النظر إلى وجهه الفارغ والعدائي بهدوء.

كان السيد بوث في الردهة. هذه المرة مع بضعة مراسلين. كان هناك ذاك الرجل من **تايمز** النيويوركية وتلك المرأة من **الديلي أوبزيرفر**، وكذا رجل وكالة رويترز، وآخر من وكالة يونايتد برس. كان ضمنهم وجهان جديدان حينما قدموا باتجاهها بالردهة.

- أكاد أموت من التعب، قالت لبوث.

- لا شك لديّ في ذلك، قال. لكنني وعدت هؤلاء الناس...

قام بتقديم الوجهين الجديدين. كان الأول من مجلة **باري-ماتش** والثاني من مجلة **تايم**. نظرت إلى الثاني وقالت: «هل سأظهر على

الغلاف؟» فأجاب: «هل ستهزمينه؟» ولم تعرف بماذا ترد. كانت مرتعبة. لكنها كانت متعادلة على الرقعة، ومتقدمة عليه في الوقت. لم ترتكب أية أخطاء. ولا بورغوف فعل ذلك، هو أيضاً.

كان هناك مصوّران، وتموضعت أمام الكاميرا ليأخذا صورها، وحينما سألها أحدهم إذا كان بإمكانه أخذ صورة لها أمام رقعة شطرنج أخذتهما إلى غرفتها، حيث كانت رقعتها ما تزال على الوضعية ذاتها من مباراة لوتشينكو. بدا ذلك بالفعل كما لو أنه حدث منذ زمن بعيد جداً. أخذت مكانها أمام الرقعة من أجلهما، دون أن تمانع ذلك -بل مرحّبة به، في واقع الأمر- بينما أخذا يملآن لفافة فيلم كامل من صور لجميع أنحاء الغرفة. كان الأمر أشبه بحفلة. فبينما كان المصوران يدرسانها، ويضبطان كاميراتهما ويغيّران العدسات، كان المراسلون يطرحون عليها الأسئلة. كانت تعلم أنه يجب عليها إعداد الرقعة على الوضعية حيث توقفت المباراة والتركيز عليها لإيجاد استراتيجية من أجل اليوم التالي، لكنها رحبت بهذا الإلهاء الضوضائي.

بورغوف سيكون الآن في جناحه الخاص، على الأرجح برفقة بيتروسيان وتال - وربما لوتشينكو ولاييف وباقي المؤسسة الروسية. ستكون معاطفهم الفاخرة معلقة، وأكمامهم مطوية، عاكفين على الرقعة لاستكشاف الوضعية، باحثين عن مواطن الضعف الحالية أو بعد عشر نقلات، يسبرون أغوار ترتيب القطع البيضاء كما لو كانت أطراف جسدها وكانوا جراحين على أهبة الاستعداد لتشريحها. كان هناك شيء من الفحش في مشهد قيامهم بذلك. لا بدّ أنهم سيواصلون دراستهم لساعات متأخرة من الليل، بعد أن يتناولوا عشاءهم حول الرقعة، على تلك الطاولة الشاسعة في غرفة بورغوف،

ليحضّروه للصباح التالي. لكنها كانت مستمتعة بما كانت تفعله في تلك اللحظة. لم ترغب في التفكير في الوضعية التي توقفت عندها المباراة. وكانت تعلم، كذلك، أن الوضعية لم تكن المشكلة. كانت لتعتصر كل الإمكانيات المتفرّعة عنها خلال بضع ساعات بعد العشاء. المشكلة كانت تتعلق بشعورها حيال بورغوف. كان من الجيد أن تستطيع نسيان ذلك لبعض الوقت.

سألوها بخصوص ميثوين، وكالعادة، أحجمت ومنعت نفسها. لكن أحدهم أصرّ قليلاً، ووجدت نفسها تقول:

- لقد منعوني من اللعب. كانت تلك عقوبة.

فتلقّف ذلك في الحال وشرع يبني عليه قصته. بدا بالأمر مسحة من عوالم ديكنز، فقال:

- لمَ قد يعاقبونك بتلك الطريقة؟

أجابت بيث:

- أظن أنهم كانوا قساة من حيث المبدأ. المديرة كانت كذلك، على الأقل. السيدة هيلين ديردورف. هل ستطبعون ذلك؟ كانت تتحدث إلى مراسل تايم.

هز كتفيه.

- ذلك رهين بالقسم القانوني. إذا فزت غداً، قد يفعلون ذلك.

- لم يكونوا قساة جميعهم، أضافت. كان هناك رجل يدعى فيرغوسن، كان مشرفاً من نوع ما. وقد كان يحبنا، على ما أظن.

ثم تحدث مراسل وكالة يونايتد برس الذي كان قد حاورها في أول يوم لها في موسكو.

- من علّمك إذاً إذا كانوا لا يريدون أن تقومي بذلك؟

- اسمه شايبل، قالت، وهي تستحضر صورة الحائط الذي

عُلقت عليه قصاصات من الجرائد بذاك القبو. ويليام شايبل. كان حارس الميتم.

- أخبرينا عن الأمر، قالت المرأة من جريدة **الأوبزيرفر**.

- لعبنا الشطرنج في القبو، بعد أن علّمني كيف ألعب.

من الواضح أن ذلك أعجبهم. كان الرجل من مجلة **باري-ماتش** يحرك رأسه مبتسماً.

- الحارس هو مَن علّمك كيف تلعبين الشطرنج؟

- صحيح، قالت بيث، باختلاج لاإرادي في صوتها. السيد ويليام شايبل. كان لاعباً مثابراً. أمضى الكثير من الوقت على الرقعة، وقد كان جيداً.

بعد أن غادروا، أخذت حماماً ساخناً، ومددت أطرافها في حوض الاستحمام الشاسع. ثم ارتدت سروالها الجينز وشرعت في ترتيب القطع. لكن ما إن انتهت من وضعها على الرقعة، حتى رجع إليها كل ذلك التوتر السابق. في باريس، كانت وضعيتها في هذه المرحلة تبدو أقوى مما هي عليه في الوقت الراهن، ومع ذلك خسرت. ابتعدت عن المكتب واتجهت صوب النافذة، وقد أزاحت الستائر ليتسنى لها النظر إلى موسكو. كانت الشمس ما تزال عالية في السماء، وكانت المدينة في الأسفل تبدو أكثر خفة وبهجة مما يُفترض بموسكو أن تبدو عليه. المنتزه البعيد حيث يلعب الشيوخ الشطرنج كان اخضراره ساطعاً، لكنها كانت مرتعبة. لم تكن تعتقد أن بإمكانها المضي قُدماً وهزيمة فاسيلي بورغوف. لم تكن ترغب في التفكير في الشطرنج. إذا كان هناك جهاز تلفاز في غرفتها، كانت لتشغله. إذا كانت لديها قنينة من أي شيء، كانت لتشربه. فكرت

لوهلة في طلب خدمة الغرف لكنها أوقفت نفسها في الوقت المناسب.

تنهدت ثم رجعت إلى مكانها أمام رقعة الشطرنج. كان يجب أن تُدرس. كان يجب أن تكون لديها خطة لصباح يوم غد على العاشرة.

استيقظت قبل الفجر وظلت مستلقية على سريرها لمدة قبل أن تتفقد الساعة. كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف. ساعتان ونصف. لقد نامت ساعتين ونصف. أغمضت عينيها بانزعاج وحاولت العودة إلى النوم. لكن لم يفلح الأمر. الوضعية التي انتهت عندها المباراة المؤجلة نجحت في فرض نفسها داخل عقلها. ها هي ذي بيادقها، وملكتها. وها هي ذي بيادق بورغوف، وملكته. كانت ترى القطع بكل وضوح، بل لا تستطيع أن تمحوها من ذهنها، لكن لم يبدُ أي شيء منطقياً. أمضت الليلة السابقة تحدّق في تلك الوضعية لعدة ساعات، محاولة أن تخرج بخطة لإكمال المباراة، محركة القطع في شتى الاتجاهات، أحياناً على الرقعة وأحياناً أخرى في ذهنها، من دون جدوى. يمكنها أن تحرّك بيدق فيل الملكة أو أن تحضر الحصان إلى جناح الملك أو أن تضع الملكة على مربع الفيل الثاني. أو مربع الملك الثاني. إذا كانت نقلة بورغوف المحكمة هي القفز بالحصان إلى مربع الفيل الخامس. أما إذا حرك ملكته، فستكون الردود مختلفة. وفي حالة أراد أن يجعل تحليلاتها مضيعة للوقت، قد يلعب بفيل الملك. الخامسة والنصف. أربع ساعات ونصف حتى موعد المباراة. سيكون بورغوف قد أعد تحركاته بالفعل وتوصل إلى خطة لعب بفضل مستشاريه؛ وسيكون الآن نائماً بسلام.

سمعت ضجيجاً مفاجئاً قادماً من الخارج أشبه بمنبه بعيد، وجعلها ذلك تقفز من مكانها. لعله كان مجرد تمرين روسي على إطفاء الحريق أو شيء من هذا القبيل، ولكن يداها اهتزتا للحظة.

تناولت طبق العصيدة مع البيض على الفطور، وعادت لتجلس أمام الرقعة مجدداً. صارت الساعة الثامنة إلا ربعاً. إلا أنها ورغم احتساء ثلاثة أكواب شاي، لم تستطع التفكير بتركيز. حاولت جاهدة أن تفتح ذهنها، أن تجعل مخيلتها تشتغل كما كانت تشتغل حول رقعة شطرنج في العادة، لكنها أبت الخضوع. لم تستطع سوى التخطيط للرد على هجمات بورغوف المحتملة. كانت طريقة لعب مذعنة، وهي تدرك أنها كانت مذعنة. كانت سبب خسارتها في مكسيكو سيتي وقد تكون سبب خسارتها مجدداً. نهضت وذهبت لفتح الستائر، وبينما كانت عائدة إلى الرقعة، رن الهاتف.

أمعنت النظر فيه. طوال إقامتها في هذه الغرفة، لم يرن الهاتف ولا مرة واحدة. بل ولا حتى السيد بوث اتصل بها. وها هو الآن يرن رنات قصيرة متتابعة، بصوتٍ عالٍ. اتجهت نحوه ورفعت السماعة. تحدث صوت امرأة بالروسية. لم تستطع فهم كلمة واحدة.

- بيث هارمون تتكلّم، قالت.

أضاف الصوت شيئاً آخر بالروسية. ومن ثم صوت طقطقة، وبعدها جاء صوت واضح كأنما يتحدث من الغرفة المجاورة:

- إذا حرك الحصان، ردّي عليه ببيدق قلعة الملك. إذا اختار فيل الملك، قومي بالشيء نفسه. ثم افتحي عمود الملكة. تكلفني هذه المكالمة ثروة طائلة.

- بيني! قالت. بيني! كيف عرفت...

- لقد نُشرت في مجلة تايمز. إنه وقت ما بعد الزوال هنا، وقد كنا نعمل عليها لثلاث ساعات. يوجد معي ليفيرتوف، وويكسلر.

- بيني، قالت، سعدت بسماع صوتك.

- **يجب عليك أن تفتحي ذلك العمود.** هناك أربع طرق، وذلك حسب تحركاته. هل هناك رقعة قريبة منك؟

ألقت نظرة على المكتب.

- أجل.

- لنبدأ بحركة حصانه إلى B-5 حيث تقدّمين بيدق قلعة الملك. هل أنت معي؟

- أجل.

- حسناً. لديه ثلاثة احتمالات هنا. أولها الفيل إلى مربع الفيل الرابع؛ إذا لعب هذه النقلة، تقفز ملكتك على الفور إلى مربع الملك الرابع. سيتوقع ذلك، ولكن ما لن يتوقعه هو: البيدق إلى مربع الملكة الخامس.

- لا أرى...

- انظري إلى قلعة ملكته.

أغمضت عينيها ورأتها. لم يقف بين فيلها والقلعة سوى بيدق واحد، وقد كان بيدقها. وإذا حاول أن يوقف البيدق، فسيخلق ذلك مساحة لحصانها. ولكن ما كان بورغوف ومن يساعدونه ليغفلوا عن ذلك.

- معه تال وبيتروسيان يساعدانه.

أصدر بيني تصفيرة.

- أفترض أنه قد يتوقعها، قال. لكن انظري إلى ما بعد ذلك. إذا حرك القلعة قبل أن تخرج ملكتك من مكانها، فأين سيضعها؟

- على عمود الفيل.

- تحرّكين البيدق إلى مربع فيل الملكة الخامس وها هو عمودك تقريباً قد فُتح.

كان محقاً. بدأ ذلك يبدو ممكناً.

- ماذا لو لم يلعب الفيل إلى مربع الفيل الرابع؟

- سأضع ليفيرتوف على الخط.

جاء صوت ليفيرتوف عبر السماعة.

- قد يلعب بالحصان إلى مربع الفيل الخامس وهذا سيعقد الأمور. عدا أنني نجحت في التفكير في استراتيجية تمكنك من التقدم عليه.

لم تُعر ليفيرتوف أي اهتمام أول مرة التقته، إلا أنها كانت لتحضنه في تلك اللحظة.

- أعطني النقلات.

شرع في تلاوة النقلات عليها. كانت معقدة، لكنها لم تجد صعوبة في رؤية مجرى الأمور.

- هذا رائع، قالت.

- سأعيد السماعة إلى بيني، قال ليفيرتوف.

أكمل الاثنان الحديث، يتحريان الإمكانيات، يدرسان نقلة بنقلة، لمدة ساعة تقريباً. كان بيني مدهشاً. لقد فكر في كل الاحتمالات؛ بدأت ترى طرقاً كي تضيق الخناق على بورغوف، تخدعه، تربك قطعه، وترغمه على المساومة والتراجع.

نظرت أخيراً إلى ساعة معصمها وقالت:

- بيني، إنها التاسعة وربع هنا.

- حسناً، قال. اذهبي واسحقيه.



تجمّع حشد خارج المبنى. وقد تم وضع لوحة عرض فوق المدخل الأمامي لمن لم يستطع أن يدخل إلى القاعة؛ ميّزت بيث تلك الوضعية حالاً من داخل السيارة أثناء مرورها. هناك تحت أشعة الشمس كان البيدق الذي كانت تعتزم تحريكه، وهناك العمود الذي كانت ستفتحه بالقوة.

بلغ الحشد بجانب المدخل ضعف العدد الذي كان عليه البارحة. بدأوا يهتفون: «هارمون! هارمون!» قبل أن تفتح باب الليموزين حتى. أغلبهم كانوا كباراً في السن؛ عدد منهم مد يده مبتسماً، محاولين لمسها بينما كانت تسرع لتدخل.

كانت هناك طاولة واحدة الآن، على المنصة الرئيسية. كان بورغوف جالساً لما دخلت. رافقها الحكم إلى مقعدها، وعندما جلست فتح الظرف ومد يده إلى الرقعة. التقط حصان بورغوف وحركه إلى مربع الفيل الخامس. إنها النقلة التي أرادتها. دفعت ببيدق قلعتها مربعاً واحداً إلى الأمام.

سارت النقلات الخمس التالية حسب احتمالية درستها هي وبيني على الهاتف، وتمكنت من فتح العمود. إلا أن بورغوف أحضر قلعته في النقلة السادسة إلى وسط الرقعة وبينما هي تحدق فيها، جالسة على مربع ملكته الخامس، محتلة مربعاً لم تفلح تحليلاتهم في توقعه، غمرها إحساس بعدم الارتياح في قعر معدتها وتيقنت في تلك اللحظة أن المكالمة الهاتفية مع بيني أخفت الخوف فحسب. وقد كانت محظوظة لأن ذلك ساعدها على قطع كل هذا الشوط. شرع بورغوف في خط لعب لم تكن تملك أي رد له. عادت لتكون وحدها مجدداً.

بذلت مجهوداً لرفع ناظريها عن الرقعة وإلقاء نظرة حولها. لقد

لعبت هنا لمدة أيام وما زال حجم الجمهور وحده يصدمها. أعادت ناظريها إلى الرقعة وإحساس بعدم اليقين يغمرها، تنظر إلى القلعة في الوسط. عليها فعل شيء بخصوص تلك القلعة. أغمضت عينيها. ظهرت المباراة لها فوراً في ذهنها بالصفاء الذي تمتعت به منذ كانت طفلة في الميتم. أبقت عينيها مغمضتَين ودرست الوضعية بدقة. كانت بالغة التعقيد كتلك المباريات التي كانت قد لعبتها من كتاب، إلا أنه لم يكن هناك تحليل مطبوع ليُري النقلة المقبلة أو من سيفوز. لم توجد أي بيادق متخلفة، أي مواطن ضعف، أي خط هجوم واضح لأي من اللاعبين. كانت القطع متساوية، ولكن سيطرت قلعته على الرقعة كسيطرة دبّابة على ساحة خيّالة. جثمت القلعة على مربع أسود، ولكن فيل المربعات السوداء الخاص بها كان قد ذهب مع الريح. ولم تستطع بيادقها مهاجمة قلعته. وسيتطلب نقل حصانها قربها ثلاث نقلات. وما زالت قلعتها عالقة في زاويتها. لم تمتلك سوى وسيلة رد واحدة: ملكتها. ولكن أين يمكن أن تضعها بأمان؟

أراحت خديها على قبضتيها الآن، وعيناها ما زالتا مغمضتين. قعدت الملكة في الصف الأخير من دون تشكيل أي تهديد، على مربع فيل الملكة، حيث ظلت هناك منذ النقلة التاسعة. يمكن أن تخرج من مكانها ذاك عبر خط قطري فقط، وكان لها ثلاثة مربعات محتملة. بدا كل واحد منها ضعيفاً. غضت طرفها عن نقاط الضعف ودرست كل مربع على حدة، مختتمة بمربع حصان الملك الخامس. إذا نقلت الملكة إلى هناك، يستطيع أن يضع قلعته أسفلها ويحتل بذلك العمود ويكتسب نقلة. سيكون ذلك كارثياً، إلا إذا فكرت في نقلة مضادة - كش ملك أو هجوم على ملكته. لم يكن هناك كش

ممكن باستثناء حركة بفيلها، وسيكون ذلك بمثابة تضحية. ستقوم ملكته بأخذ الفيل بكل بساطة. ولكن بعد ذلك يمكنها أن تهجم على الملكة بحصانها. وأين سيضعها في تلك الحالة؟ سيكون على ملكته أن تذهب إلى أحد ذينك المربعين الداكنين. تكشّفت لها هجمة محتملة. يمكنها أن تستدرج ملكته إلى فخ يتمثل في هجمة مزدوجة على الملك والملكة بواسطة حصانها. سيأخذ ملكتها بعد ذلك، وستكون أقل منه قطعاً بذلك الفيل. ولكن حصانها سيكون في تلك اللحظة على وشك شن هجمة مزدوجة أخرى. ستستولي بها على فيله. وهذا لن يكون تضحية. ستوازن الكفة من جديد، ويستطيع الحصان المضي قُدماً ليهدد القلعة.

فتحت عينيها، رمشت، وحركت الملكة. أحضر القلعة تحتها. ومن دون تردد، التقطت فيلها وحركته إلى وضعية كش، وانتظرت أن يأخذه بملكته. نظر إليها ولم يحرك ساكناً. لوهلة حبست نفَسها. **هل فاتها شيء؟** أغمضت عينيها مجدداً، مرعوبة، ونظرت إلى الوضعية. يستطيع أن يحرك ملكه، بدلاً من أخذ الفيل. يمكنه أيضاً أن يُدخل...

فجأة سمعت صوته من الجهة الأخرى للطاولة ينطق بالكلمة الصاعقة «تعادل». كان أشبه بتصريح وليس سؤالاً. **كان يعرض عليها التعادل**. فتحت عينيها ونظرت إلى وجهه. لم يسبق أن عرض بورغوف تعادلاً، وها هو يعرضه عليها. يمكنها أن تقبله، وتنتهي البطولة. ويقفان ليصفقوا لهما وتغادر القاعة متعادلة مع بطل العالم.

ارتخى جزء من جسدها، وسمعت صوتها الداخلي يقول: **اقبلي!**

نظرت إلى الرقعة مجدداً - الرقعة الحقيقية التي توسطت الاثنين، ورأت أنهما أوشكا على دخول نهاية اللعبة. عُرف بورغوف

بكونه فتاكاً في نهايات اللعبة. لطالما كرهتها - بل وحتى كرهت قراءة كتاب روبن فاين عن نهايات اللعبة. يجب أن تقبل التعادل. سيُحتسب لها ذلك كإنجاز مهم.

إلا أن التعادل ليس فوزاً. والشيء الوحيد الذي كانت متأكدة من أنها تحبه كان الفوز. نظرت إلى وجه بورغوف مجدداً وقد فاجأها قليلاً ما رأته من تعب على ملامحه. هزت رأسها: لا.

هز كتفيه وأخذ الفيل. للحظة وجيزة أحست نفسها كالخرقاء، ولكنها مسحت الفكرة عن ذهنها وهاجمت ملكته بحصانها تاركة ملكتها قابلة للأخذ. حرك ملكته حيث كان عليه أن يحركها وقدمت حصانها من أجل الهجمة المزدوجة. حرّك ملكه فالتقطت ملكته الثقيلة من الرقعة. والتقط هو ملكتها. هاجمت القلعة فحركها إلى الخلف بمربع. لقد كان هذا الهدف من سلسلة النقلات هذه ابتداء بالفيل -خفض نطاق تغطية القلعة عبر إجبارها على الانتقال إلى مركز أقل تهديداً- ولكن هذه هي اللحظة التي لم تكن واثقة ماذا تفعل فيها. عليها أن تتوخى الحذر. كانا متجهين نحو نهاية لعبة بالقلعة والبيدق؛ لم يكن هناك هامش لعدم الدقة. أحست للحظة أنها عالقة، من دون أي مخيلة أو غاية وخائفة من الخطأ. أغمضت عينيها مجدداً. ما زالت لديها ساعة ونصف من وقتها؛ كان لديها الوقت الكافي لتحقق النصر وتحققه بالشكل الصحيح.

لم تفتح عينيها حتى لترى الوقت المتبقي في ساعتها أو لتنظر إلى الوجه في الجهة الأخرى من الطاولة أو لترى الحشد الهائل الذي قدم إلى هذه القاعة ليشاهدها تلعب. أفرغت ذهنها من كل ذلك وخصصت كل قواها العقلية لرقعة الشطرنج المعقدة الموجودة داخل مخيلتها. لم يهم من كان يلعب بالقطع السوداء أو ما إذا كانت

تلك القطع على الرقعة موجودة في موسكو أو نيويورك أو قبو ميتم؛ كانت هذه الصورة المستحضرة مجالها الخاص.

لم تسمع حتى دقات الساعة. تركت ذهنها يتحرك في صمت فوق الرقعة المتخيلة، يخلط ترتيب القطع ويعيد خلطها من جديد لكيلا تتمكن القطع السوداء من إيقاف تقدم البيدق الذي ستختاره. خلصت الآن إلى أن الاختيار سيقع على بيدق حصان ملكها، المتواجد حالياً في الصف الرابع. حركته ذهنياً إلى الصف الخامس ودرست الطريقة التي سيتحرك بها الملك الأسود لإيقافه. سيضع الحصان الأبيض حداً لتقدم الملك عبر تهديد بيدق أسود أساسي. إذا أرادت أن يواصل البيدق الأبيض تحركه إلى الصف السادس فسيكون عليها أن تحَضّر لذلك. تطلّب الوصول إلى ذلك وقتاً طويلاً، لكنها ظلت في محاولتها تلك من دون كلل. إن قلعتها هي الحل، رغم حاجز مهدِّد -أربع نقلات في المجموع- لكن سيتمكن بيدقها من التقدم إلى الصف السادس. والآن يجب أن يتقدم مرة أخرى. سيتقدّم رويداً رويداً، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة.

تخدر ذهنها لوهلة بسبب الإعياء وأصبحت الرقعة غير واضحة. سمعت نفسها تتنهد وهي تحاول إيضاح الصورة من جديد. أولاً يجب دعم البيدق ببيدق القلعة، وإيصال هذا الأخير إلى ذلك الصف يعني أن تقوم بتمويه عبر التضحية ببيدق في الجناح الآخر من الرقعة. سيمنح ذلك اللاعب الأسود ملكة في ثلاث نقلات وسيكلف هذا اللاعب الأبيض القلعة من أجل التخلص منها. بعد ذلك سينسل البيدق الأبيض، آمناً للحظة، إلى الصف السابع، وعند قدوم الملك الأسود إليه، سيتقدم بيدق القلعة الأبيض ليلزمه مكانه. والآن إلى النقلة الأخيرة، التقدم إلى الصف الثامن للترقية.

لقد قطعت هذا الشوط -هذه النقلات الاثنتي عشرة ابتداء من الوضعية التي رآها بورغوف- عبر اتباع تلميحات وتخمينات وجعلها واقعاً في ذهنها. لم يكن هناك شك في أنه يمكن القيام بها. إلا أنها لم تر أي طريقة أخرى لتقدم البيدق إلى ذاك المربع الأخير دون أن ينجح الملك الأسود في أخذه قبيل أن يرتقي إلى ملكة، مثل زهرة لم تتفتح بعد. بدا البيدق ثقيلاً ويستحيل تحريكه. لم تستطع زحزحته. أتت به كل هذه المسافة ولم تجد وسيلة لتتقدم به أكثر. كان الأمر ميؤوساً منه. لم يسبق لها أن بذلت مجهوداً ذهنياً كهذا في حياتها، ولكن كل ذلك ذهب سدى. لن يُرقّى البيدق إلى ملكة.

مالت إلى الوراء بضجر على كرسيها وعيناها لا تزالان مغمضتين، ثم سمحت لذهنها أن يتوقف عن التفكير لوهلة. ثم أعادته من أجل نظرة أخيرة. ورأت شيئاً ما في البداية هذه المرة. لقد استعمل فيله ليأخذ قلعتها ولن يستطيع الآن إيقاف حصانها. **سيجبر الحصان الملك على التنحي جانباً**. سيترقى البيدق الأبيض، وسيتبع ذلك كش مات في أربع نقلات. كش مات في تسع عشرة نقلة.

فتحت عينيها وغلب عليها وهج القاعة للحظة قبل أن تنظر إلى ساعتها. تبقت لديها اثنتا عشرة دقيقة. كانت مغمضة العينين لما يزيد عن ساعة. لو ارتكبت خطأً لم يكن ليتوفر لها الوقت من أجل استراتيجية جديدة. انحنت إلى الأمام وحركت بيدق حصان الملك إلى الصف الخامس. شعرت بطعن مؤلم في كتفها بعد أن وضعت البيدق؛ كانت عضلاتها متصلبة.

تقدم بورغوف بملكه لإيقاف البيدق. تقدمت بالحصان مجبرة إياه على حماية بيدقه. لقد سار الأمر كما رأته يسير. بدأ التشنّج في

جسدها في الاسترخاء، وبدأ طوال النقلات الست التالية إحساس رقيق بالهدوء بالانتشار فيها. حركت القطع بسرعة مدروسة، وضغطت على زر الساعة بقوة بعد كل نقلة، وبدأت ردود بورغوف في التباطؤ شيئاً فشيئاً. استغرق وقتاً أطول بين النقلات الآن. كان بإمكّانها رؤية عدم اليقين في اليد التي تمسك القطع. حين انتهت من أمر الحاجز المهَدد ودفعت بالبيدق إلى الصف السادس، نظرت إلى وجهه. لم يتغير تعبيره لكنه رفع رأسه ومرر أصابعه عبر شعره، مبعثراً إياه. شعرت برعشة تسري عبر جسدها.

حين تقدمت بالبيدق إلى الصف السابع، سمعت نخيراً رقيقاً أصدره كما لو أنها لكمته في بطنه. استغرقه الأمر وقتاً طويلاً حتى قام بجلب الملك لإيقافه.

انتظرت لوقت قليل فقط، قبل ترك يدها تتحرك نحو الرقعة. بعد أن أمسكت بالحصان كان الإحساس بقوته على أطراف أصابعها رائعاً. لم تنظر إلى بورغوف.

عم صمت شامل بعد أن وضعت الحصان. وبعد وهلة سمعت زفيراً عبر الطاولة ونظرت للأعلى. كان شعر بورغوف مبعثراً، وعلت محيّاه ابتسامة كئيبة. تكلم باللغة الإنجليزية. «إنها لعبتك». دفع كرسيه إلى الوراء، نهض ثم مد يده والتقط ملكه. بدل أن يضعه على جنبه أمسك به ودفعه عبر الرقعة إليها. حدقت فيه. «خذيه»، قال.

بدأت التصفيقات. أمسكت الملك الأسود بيدها واستدارت لتواجه القاعة، تاركة وزن الحفاوة الهائل كاملاً ينصبّ عليها. كان الجمهور واقفاً، يصفق بحرارة متزايدة. استقبلت التصفيق بكل جسدها، وقد شعرت باحمرار وجنتيها ومن ثم بالحرارة والبلل إذ جرف الصوت المدوي فكرها.

وقف فاسيلي بورغوف بعد ذلك قربها، وبعد وهلة، وتحت ذهولها التام، فتح ذراعيه وحضنها، معانقاً إياها بحرارة.

خلال الحفلة التي أقيمت في السفارة، قدم نادل بصينية شامبانيا. هزت رأسها. كان الجميع يشرب وأحياناً يشربون نخبها. وخلال الخمس دقائق حين كان السفير نفسه حاضراً، عرض عليها الشامبانيا ولكنها أخذت المياه الغازية. تناولت الخبز الأسمر بالكافيار وأجابت عن بعض الأسئلة. كان هناك ما يزيد عن عشرة صحفيين وبضعة روس. كان لوتشينكو من بين الحضور، بمظهره الجميل، ولكن خاب أملها لعدم قدوم بورغوف.

كان الوقت لا يزال منتصف الظهيرة، ولم تكن قد تناولت الغداء. شعرت بغياب توازنها وبالتعب، كما لو أنها غادرت جسدها. لم ترقها الحفلات قط ورغم أنها نجمة هذه الحفلة، أحست بعدم الانتماء. ألقى بعض الأشخاص من السفارة نظرات غريبة عليها، كما لو أنها كائن غريب. كانوا يخبرونها بأنهم ليسوا بالقدر الكافي من الذكاء ليلعبوا الشطرنج أو أنهم كانوا يزاولون الشطرنج عندما كانوا صغاراً. لم ترغب في الاستماع إلى أيٍّ من ذلك. أرادت أن تقوم بشيء آخر. لم تعرف ما هو، ولكن أرادت أن تبتعد عن هؤلاء الأشخاص.

اندفعت وسط الحضور وشكرت السيدة من تكساس التي كانت تقوم بدور المضيفة. ثم أخبرت السيد بوث بأنها تريد العودة إلى الفندق.

- سأجلب لك سيارة وسائقاً، قال.

قبل أن تغادر، صادفت لوتشينكو مجدداً. كان يقف مع الروس

الآخرين، بملابسه الفاخرة وملامحه المسترخية. مدت يدها.

- كان شرفاً لي أن ألاعبك، قالت.

أخذ يدها وانحنى قليلاً. لوهلة ظنت أنه سيقبّل يدها، لكنه لم يفعل. ضغط على يدها بيديه الاثنتين.

- كل هذا، قال. إنه ليس كالشطرنج إطلاقاً.

ابتسمت.

- ذلك صحيح.

كانت السفارة في أولتيسا تشايكوفسكوغو، وكانت تبعد حوالي نصف ساعة بالسيارة، بعضها عبر حركة مرورية كثيفة، نحو الفندق. لم تكن قد رأت شيئاً من موسكو تقريباً، وستغادر صباح اليوم التالي، لكنها لم ترغب في رؤية المدينة عبر النوافذ. أعطوها كأس البطولة والجائزة المالية بعد المباراة. أجرت كل المقابلات، وتلقت كافة التهاني. الآن كانت تحس بجدولها الزمني متفككاً شيئاً ما بالأطراف، غير متأكدة ما يجب فعله أو إلى أين يجب الذهاب. ربما تستطيع أن تنام لبعض الوقت، تحظى بعشاء هادئ ثم تنعم بنوم مبكر. **لقد هزمتهم**. لقد هزمت المؤسسة الروسية، هزمت لوتشينكو وشابكين ولاييف، وأرغمت بورغوف على الاستسلام. بعد سنتين، قد تواجه بورغوف من أجل بطولة العالم. يجب عليها أن تتأهل أولاً عبر الفوز ببطولة المرشحين، لكنها تستطيع الفوز بها. سيتم اختيار مكان محايد، وستلتقي ببورغوف، في مواجهة مباشرة، من أجل مباراة من أربع وعشرين جولة. ستكون في الواحدة والعشرين حينها. لا تريد التفكير في ذلك الآن. أغمضت عينيها وارتخت في موخر سيارة الليموزين.

حينما نظرت إلى الخارج، وقد غلبها النعاس، كانوا متوقفين عند إشارة مرورية. أمامهم، على اليمين، لمحت ذاك المنتزه الذي رأته من غرفتها الشاهقة. أيقظت نفسها وانحنت نحو السائق.
«أنزلني عند المنتزه».

تسللت إليها أشعة الشمس عبر الأشجار. بدا أن الأناس الذين انتشروا على المقاعد هم الأناس أنفسهم الذين رأتهم من قبل. لم يكن يعنيها ما إذا كانوا يعرفون من تكون أم لا. مشت عبرهم، على المسار الذي يمتد نحو وسط المكان. لم يكن أحد ينظر إليها. تقدمت نحو الدرج واعتلت الدرجات واحدة بواحدة.

في منتصف الصف الأول من الطاولات تقريباً، كان رجل مسنّ يجلس وحيداً وأمامه كانت القطع مرتّبة على الرقعة. كان في عقده السادس وكان يرتدي القبعة الرمادية والقميص الرمادي المعتادين، بأكمام مطوية. حين وقفت بجواره، نظر إليها بفضول، لكن لم يبدُ على وجهه أنه عرف مَن تكون. جلست خلف القطع السوداء وقالت بلغة روسية حذرة:

- أترغب في لعب الشطرنج؟



والتر تيفيس

مناورة الملكة

«الفتيات لا يلعبن الشطرنج»

«أريد أن ألعب ضد الأفضل»

تحوَّل مسلسل **مناورة الملكة** إلى ظاهرة مجتمعية حقيقية بعدما فرض نفسه على رأس قائمة المسلسلات الأكثر مشاهدة في تاريخ نتفليكس، وأعاد لعبة الشطرنج إلى الواجهة، محقِّقاً مبيعات قياسية حول العالم.

أيُّ سرّ يتوارى خلف هذا الافتتان؟ الإجابة بين سطور هذه الرواية الرائعة لوالتر تيفيس التي تتناول قصة بيث هارمون، اليتيمة الصغيرة التي تعلّمت أساسيات الشطرنج على يد حارسٍ صموت في قبو دار الأيتام، لتبدأ رحلة صعود باهرة وتغدو بطلة شهيرة تهزم كبار أساتذة اللعبة في العالم، وهي تخوض في الوقت ذاته معركتها الخاصة ضد الإدمان.

نتعلّم من هذه البطلة الملهمة كيف لفتاة يتيمة وفقيرة، نشأت في أميركا الخمسينيات المحافظة، أن تحقق أحلامها وتبلغ القمة، بشغفها وجهدها ومثابرتها، وقدرتها الهائلة على تحدي الصعاب، وأن تنجح في بناء مستقبل زاهر على أنقاض ماضٍ بائس.

«لنجلس إذاً ونُصَفِّ أذهاننا، ونوجّه تركيزنا نحو المربعات الأربعة والستين لرقعة الشطرنج» ولندخل عالم بيث هارمون الساحر...

ISBN 978-9920-657-10-5





المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com